سلطنة عمان

وزارة التراث القومى والثقافة

كتاب النور

تأليف العالم الفقيه

عثمان بن أبي عبد الله الأصم

١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
مكتبة [illegible]
الرقم العام : [illegible]
الرقم الخاص : ٢١٤/١

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
• شارع خان جعفر بسيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

هذا كتاب النور

الحمد لله الأول الذى لم يزل قبل كل شىء ، والآخِر الذى لا يزال بعد كل شىء ، والعالم بكل شىء ، والخالق لكل شىء ، والقادر على كل شىء ، والمالك لكل شىء ، والمحصى لعدد كل شىء ، لا محدود كالمحدودات ، ولا كيفية له كالكيفيات ، فنفسه ذاته ، وذاته إثباته ، لا أداة كالأدوات ، ولا نفس كأنفس المنفوسات ، ليس كمثله شىء فى الأرض ولا فى السموات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وسلم تسليما كثيراً .

* * *

الباب الأول

فى التوحيد

واختلاف الناس فى البارىء عز وجل

اختلف الناس فى البارىء عز وجل .

فقال الموحدون: أهل العدل : إنه تعالى واحد ليس كمثله شىء .

وقالت الدهرية بالنفى المحض ليس بشىء، وإنما الدنيا لم تزل كما ترى (نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهرُ وما لهم بذلك من علمٍ إن هم إلا يظنون) .

وقالت الثنوية : اثنين .

وقالت النصارى : ثلاثة .

ثم اختلف الذين قالوا بوحدانية الله ـ عز وجل ـ على وجهين : وجه أثبتوا معبودَهم واحداً (ليس كمثله شىء) وهم أهل العدل ، والباقون مشبِّهة ، وإن اختلفوا فى كيفية البارىء ، وما هو من شىء .

وقال بعض من قال : إن البارىء هو هذا الهواء المحيط بالأشياء ، ونفى ذلك آخرون وقالوا : هو هذه الرياح العاصفة ، وكيف يكون الهواء ، والهواء له بعض، وما كان له بعض فله كل ، وكله مجتمع فى الحرارة ، والحرارة محوطة به ، وكل ذلك فى العقل، والعقل محيط بالهواء. والهواء وما فى الهواء من السموات والأرض وما فيهما فى العقل كحلقة فى أرض فلاة ، وهذا العقل خلفه .

وعبره بعض بالعقل الفعّال ، وبعض عبره بالعقل الكلى .

وقولنا وقول أهل العدل أجمع: إن الله تعالى واحد ليس كمثله شيء ، والتوحيد هو الإقرار بالله ، والوصف له ، والتسمية بأنه تبارك وتعالى واحد ، لا خلاف بين أحد من أهل اللغة أن من وصف شيئا واحداً ، وأفرده بالتسمية له فقد وحّده ، ومعنى التسمية الموحدين بأنهم موحدون: أنهم يثبتون معبودهم أنه واحد . وإذا قال واعتقد أنه واحد، ولم يقل ويعتقد أنه ليس كمثله شيء ، فهو كافر لم يوحده بعد حتى يعتقد أنه واحد ليس كمثله شيء . قال الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

* * *

الباب الثانى

فى جملة التوحيد

قال المؤلف: وأما جملة التوحيد فهى ما ذكر الله تعالى من صفته، فى هذه الآية وهى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .

قال أبو المؤثر: من عرف الله عز وجل، أنه واحد ليس كمثله شىء فقد عرفه. وهذا أقلّ ما يكون به الإنسان موحداً .

قال المؤلف : فكل من ألحد فى ـ الله عز وجل ـ ومال به الهوى عن التوحيد، فعليه التوبة والاستغفار. وعليه أن يرجع يتمسك بهذه الجملة التى أبطلها بما ارتكبه من الكفر والإلحاد فى الله ـ عز وجل ـ وليرجع إلى التمسك بهذه الجملة، ويعتقد أنه تعالى عز وجل واحد، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير. وعليه أن ينفىَ عن الله عز وجل ما خالف جملة التوحيد التى بها يسلم من الهلاك . وعليه السؤال عن بليته تلك التى وقع فيها، حتى يرجع إلى الحق والعدل من أمر التوحيد. وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث

فى الإلحاد

والإلحاد : هو الانحراف والميل عن التوحيد لله عز وجل ، بأنه واحد ليس كمثله شيء .

فإذا مال وعدل عن هذا التوحيد الذى هو اعتقاد أهل العدل ، من أهل التوحيد . ومال عن ذلك الحد ، سمى ملحدا ؛ لأن الإلحاد فى اللغة هو الانحراف عن الشيء ، والعدول عنه إلى ناحية . ومنه سمى لحد القبر ، لأنه عدل به إلى ناحية القبر . فكأن الملحد عدل عن التوحيد إلى الشرك ، وعن الإثبات إلى التعطيل ، ومال عن الحق إلى الباطل .

* * *

الباب الرابع

فى لزوم النظر والاستدلال على الله عز وجل

فلزوم النظر، وكيفية الاستدلال على الله بارىء الصور، من طريقين: من كتاب الله عز وجل، ومن حجة العقل.

أما من كتاب الله فكثير، يلوح ذلك عند تلاوة القرآن. من ذلك قوله عز وجل: « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » فلم يأمرهم — عز وجل — نظر العين، دون التفكر والاعتبار فى المنظور إليه، أن له خالقا خلقه، وبارئا برأه، وأخرجه من العدم إلى الوجود.

فإذا علم ذلك علم أن جميع الأشياء كلها أجمع محدثة، أحدثها الله الذى ليس كمثله شىء. واخترعها من العدم إلى الوجود. وقد قال الله تعالى: « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق » فلم يرد البارىء عز وجل أن يريهم بالعين خاصة، دون الفكرة بالعقل؛ لأنه تعالى يقول: « إن فى ذلك لذِكرى لِمن كان له قلبٌ » أى عقل؛ لأن القلب بضعة لحم لاتغنى شيئا، دون نور العقل الذى يحل فى القلب.

والعقل فى القلب أصله، وفرعه فى الرأس، كالشجرة أصلها فى الأرض، وفرعها فى السماء.

وأما دليل وجوب الاستدلال على الله عز وجل، من جهة العقل، وما أمر به، من الاستدلال والتفكر، من العقل: أن لو أن رجلا لم يشاهد كتاب الله،

ولا أحدًا من عباده ، لَما كان له عذر عن معرفة الله ؛ إذ لم يشاهد الكتاب بأمر الله تعالى فيه بمعرفته ، ولا شاهد أحدا من المخلوقين ، يأمرونه بذلك . فعليه من حجة العقل أن يعلم بحجة عقله ، أن جميع ما يشاهده بعينه له خالق خلقه ، كما أنه يصح فى عقله ، أن يأتى إلى دار مفروغة البناء ، فيحكم عليها أن لا بانى لها ، أو يأتى إلى كتابة ، قد كتبت ، وأحكمت نظما ، فيحكم عليها أن لا كاتب لها . فلما أن كان ذلك فاسداً فى العقل ، وجب فى العقل ، ولزم لزومُ النظر الدال على بارىء الصور . فهذا دليـــل وجوب النظر ، من الكتاب ، وحجة العقل . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس

فى معرفة الله تعالى

قال المؤلف : أول ما افترض الله على عباده المكلفين العقلاء البالغين الحلم : معرفته عز وجل أنه الله الذى لا إله إلا هو واحد ، فرد صمد أحد ، ليس كمثله شىء ، وأنه تعالى لهم خالق ورازق .

وإنما صارت معرفته الله أول المفترضات ؛ لأنه لا تصح عبادة الله إلا حتى يعرف الله ؛ إذ كان من لم يعرف الله ، فهو يعبد غير الله . ومن عبد غير الله ، فقد أشرك بالله « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » .

فمعرفته الله تعالى أول المفترضات ، وأول العبادات وأفضلها . فقد قال النبى ﷺ : أفضلكم إيمانا أفضلكم معرفة .

فمن لم يكن بالله عارفا ، كان به جاهلاً ومن كان به جاهلاً ، لم يكن موحدًا . ومن لم يكن موحدً ، كان ملحدًا .

فعلى كل بالغ عاقل : أن يوحد الله . ولا يوحده إلا من عرفه . ومن لا يعرفه فلا يوحده بل يجحده . وإذا عرف الله : أنه واحد ليس كمثل شىء ، فقد عرفه .

* * *

الباب السادس

فى كيفية استدلال المنقطع عن الناس

أو فى أرض الكفرة

قال المؤلف: ومن كان منقطعا عن الناس، فى بعض الجزائر أو غيرها، لا يرى الناس ، أو فى أرض أهل الكفر .فعلى كل هؤلاء ـ إذا بلغ، وصح عقله ، وزالت عنه الآمات،ونظر إلى السماء سقفاً مرفوعا ،وإلى الأرض مهاداً موضوعا ،كالبيت المصنوع ـ أن يعلموا بغرائز عقولهم ، أن هذا البناء لابد له من بان ، كالكتاب لابد له من كاتب ، والمصوَّر لابد له من مصوِّر . وكل صنعة لابد لها من صانع . كما يشاهدون ذلك فى دار الدنيا .

فعلى كل بالغ عاقل ـ فى خاصة نفسه ـ أن يعلم أن له خالقًا خلقه ، كما يعلم يقينًا بقلبه : أن جوارحه التى به مخلوقة ، خلقها خالق ، إذ لا قدرة له على خلق شىء منها ، ولا على تقويم ما اعوج منها ، ولا تطويل ما قصر ، وتقصير ما طال . ولا تغيير ما هو عليه ، من زيادة أو نقصان ، ولا تحسين صورته مما هى عليه ، ولا قبحها .

ولو كان المرء البالغ ، الصحيح العقل ، أعمى البصر ، أصم الأذنين . فواجب عليه ، ولازم له ما وصفنا ، فى متقدم الكتاب .

* * *

الباب السابع

فى بيان معرفة الله تعالى تقع اضطراراً أو كسبا

اختلف الناس فى معرفة الله تعالى ، تقع اضطرار أو كسبا .

فذهب ذاهبون : إلى أن معرفة الله تعالى اضطرارية،جبلت فىقلب الإنسان، معلقة بالعقل ، لا تنفصل ، لاستحالة انفصالها عن العقل . وأنه يستحيل انفصالها عن عقله ، كاستحالة زوال بعض أعضائه .

وذهب ذاهبون إلى أن معرفة الله تعالى معرفتان : أولاها : اضطرارية وهى غريزة . والثانية : اكتسابية .

ومن قال : إن معرفة الله تعالى اكتسابية : منهم الشيخ أبو الحسن البسيانى.

ودليل من قال : إن معرفة الله تعالى اكتسابية : أن الله تعالى لما نصب عليها الدلائل، وأمرنا بالنظر العلمى والذكرىّ، فى تلك الدلائل المنصوبة، وأعد الثواب لمن امتثل ذلك ، والعقاب على المفرّط الرادّ التارك لما أمر به من ذلك ، دل أنها اكتسابيات ؛ لأن الاضطراريات لا يعد الله تعالى عليها ثوابا ، ولا يتوعد عليها عقابا . كما لايعدنا على ما خلق فينا من الجوارح ، بالثواب ، ويتوعدنا عليها بالعقاب فدل عند هؤلاء أن معرفة الله تعالى اكتسابية لا اضطرارية . ومن قال : أولاها : اضطرار خلق من الله . والثانية : اكتساب ـ من أصحابنا بشير .

* * *

الباب الثامن

كيف يستدل بالشاهد على الغائب

قال المؤلف: وذلك أن العاقل إذا رأى نارا، علم أن كل نار كذلك حكمها، كما رأى تلك النار في الشاهد .

وكذلك إذا رأى الحيوانَ ، لايقع إلا على التناسل ، حكم بذلك على ماغاب عنه من جنس الحيوان ، أنه واقع على التناسل . ويستدل بالبناء على البانى ، والكتاب على الكاتب ، والأثر على المؤثر ، وأمثال هذا ، مما يستدل بالشاهد على الغائب . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع

فى البارىء عز وجل

هل عرف برسله ؟ أم رسله عرفوا به ؟

من جامع الشيخ أبى الحسن البسيانى :

وسأل فقال : أخبرونى عن الله ـ عز وجل ـ أعرف برسله ؟ أم رسله به عرفوا ؟ فقال : بل رسله به عرفوا ، وأنه حكيم لا يبعث بكتب الحق كاذبًا ـ تعالى الله .

وإنما دعت الرسل إلى الله، من قد عرفه ، ثم جحد . وقد يكون بعض يعرفه، وبعض لا يعرفه . فبينت الرسل ذلك ، ودعت إلى الله ، بالدلائل والعلامات التى نصبها الله تعالى ، من ملكوت السموات والأرض ، ومما فى السموات والأرض، وفى خلق الإنسان ، كما قال الله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

قال : وقد كانت العرب يحجون البيت ويعظمونه . وإنما يعبدون الأصنام ، لتقربهم إلى الله زلفى .

وإنما دعاهم رسول الله ﷺ إلى ترك الأصنام وعبادة الرحمن ، فلم يصدقوه . وقد قال الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » .

قال : ألا ترى أن الإنسان إنما يرسل الرسل فيما يريد إلى غيره ، إذا كان المرسَل إليه ، يعرف المرسِل . وإن أنكر الرسول أتاه بالعلامة والدلالة ، حتى تقع له الصحة . ولو كان لا يعرف الرسول ولا المرسِل ، لم يلتفت إلى ما أرسل إليه ، وأنكره قلبه . فهذا قول المسلمين الذين قالوا : إن رسل الله عرفوا بالله .

وقد قال آخرون : إنه بهم عرف ، وبه عرفوا وبهـذا يوجب أنهم دعوا إلى الله من عرفه ومن لم يعرفه ، فعرفوا بالله عند من عرف الله . وعرف اللهَ بهم من لم يكن به عارفًا . والله أعلم .

* * *

الباب العاشر

فى الدليل على أن الله تعالى شىء موجود

الدليل على أن الله تعالى شىء موجود : إطباق عقلاء الأمة بأمرها ، من موحدها وملحدها : أن المعدوم لا يتأتى منه الفعل ، ولا يفعل شيئا . فلما فسد هذا ثبت وصح أنه لا يفعل الأفعال إلا الموجود ؛ إذ لا فعل المعدوم فى العقل ، عند كافة العقلاء ، من الإنس والجن أجمعين .

* * *

الباب الحادى عشر

فى الدليل على أن الله شىء لا كالأشياء

الدليـــل على أن الله تعالى شىء : أنه قد دلت الدلالة أنه تعالى موجود . ولا يوجد إلا شىء.

والدليل على أنه شىء لا كالأشياء : أن الأشياء لا تخـلو من أن يكون تُرى بعين ، أو تحس كالريح العاصف . وما كان يرى ، أو يحس من الأجسام ، فيحتاج إلى مكان والبارىء تعالى لا يُرى ولا يحس .

وإنما قلنا : إنه شىء لا كالأشياء ، نخبر عن كونه معلوما موجودًا ، يمكن الإخبار عنه ، إذ لا فاعل للأشياء إلا شىء . ولا خالقها إلا شىء موجود غير معدوم ؛ لأن المعدوم لا يفعل شيئا .

فإن قيل: إذا قلتم : إنه تعالى شىء ، لا كالأشياء . فلِمَ لم تقولوا : إنه جسم لا كالأجسام ؟

قيل له : لأنه قد يقال: جسم أجسم من جسم ولا يقال: شىء أشيا من شىء . فلا يجوز هذا ، مع أن الجسم هو الطويل العريض العميق لا غير ذلك فقط . فلذلك لم نقل : جسم لا كالأجسام ، إذا كانت الأجسام إنما هى ما كان طويلا عريضا عميقًا .

والدليل من الـكتاب على أن الله تعالى شىء : قوله تعالى : « قل أىُّ شىء أكبر شهادةً قل الله » فهو كذلك .

فمن سمى الله تعالى شيئاً ، فقد أثبته شيئاً ؛ إذ لا موجود إلا شيء .
فلما كان الله تعالى كذلك ، كان شيئاً لا كالأشياء .

والدليل من الكتاب ، أنه تعالى شيء لا كالأشياء : قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

المعنى : ليس كهو شيء . وليس مثله شيء من الأشياء . تعالى الله عز وجل .

* * *

الباب الثانى عشر

فى الدليل على حدث العالم

الدليل على حدث العالم : أنها لا تخلو من أن تكون أحدثت أنفسها ، أو أحدثها محدث . فإن كانت أحدثت أنفسها ، لم تخل من أن تكون أحدثت أنفسها وهى عدم ، ليست بشىء ، أو أحدثت أنفسها ، وهى موجودة .

فإن كانت أحدثت أنفسها ، وهى عدم ، غير موجودة . فمحال أن يفعل ما لا شىء موجود ، شيئا موجودًا ، لأن المعدوم لا يفعل شيئا .

وإن كانت أحدثت أنفسها ، وهى موجودة . فمحال إيجاد الموجود ؛ لأن الموجود إذا وجد ، فقد كفى عن إيجاده ثانية ، فلم يبق إلا أنها محدثَة ، أحدثها محدث ، وأخرجها من العدم إلى الوجود . وهو الله — عز وجل .

ومما يدل على أن الأشياء لم تحدث أنفسها : أنَّا قد نراها فى حال وجودها وكمالها وقوتها ، لا تقدر أن تخلق من النطفة جسما .

فإذا كانت فى حال وفورها وصحتها وقوتها وكمال خلقها ، لم تقدر على خلق جسم ، وإن صَغُر ذلك الجسم ولو ذرة ، فكيف تحدث أنفسها ، وهى عدم! وقد قال الله تعالى : « إن الذين تَدْعونَ من دونِ الله ان يخلقوا ذُبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئًا لا يستنقذوه منه » .

فمَن أضعف ممن إذا سلبته الذبابة شيئًا ، لا يقدر أن ينتزعه منها . فكيف يقدر أن يخلق خلقاً ؟! وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث عشر

فى الدليل على أنه لابد للعالم من محدث أحدثه

الدليل على ذلك أنَّا وجدنا المحدَث فى الشاهد ، لا يكون إلا من محدِث ، كالبناء لا يكون إلا من بان بناه . والصورة لا تكون إلا من مصوِّر صورها . والكتابة لا تكون إلا من كاتب كتبها . فعلمنا أن لهذا العالم محدثا أحدثه . وهو الله الذى ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير .

فإن قال : فما أنكرت أن يكون كل ما وصفت ، لا فاعل له .

قلنا: لو جاز ذلك ، لجاز أن يكون داراً مفروغة البناء محكمة ، فى حال كمالها، أن يحكم عليها أنها أحكمت نفسها ، وأخرجت نفسها ، من العدم إلى الوجود فلما فسد فى العقل هذا ، دل أن لابد للبناء من بان بناه . ولو جاز ما قلت ، لجاز أن يكون مضروب لا ضارب له ، ومكتوب لا كاتب له ، ومقتول لا قاتل له . فلما فسد فى العقل هذا ، فسد ما قلت . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع عشر

في الدليل على أن خالق الأشياء واحد

الدليل على أن خالق الأشياء واحد: أنه لو كان اثنين لكان لايخلو أحدهما من أن يكون قادرا ، على منع الآخر ، مما يريد أن يعمله ، أو غير قادر على منعه، فإن كان قادرا على منع الآخر ، فالآخر المقدور عليه عاجز . والعاجز ليس بإله قدير ؛ لأن القدير الذى لايعجزه شيء ، إن أراد فعله . وإن يكن هذا لايقدر على منع الآخر عن شيء ، أراد أن يعمله ، فهو عاجز. والعاجز ليس بإله قدير، له الربوبية والقدم والألوهية والديم . فلما فسد هذا ، دل أن محدث الأشياء واحد ، ليس كمثله شيء وهو الله الواحد القهار . ليس كمثله شيء من مخلوقاته . وهو السميع البصير .

وفى كتاب الله تعالى: « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم». وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس عشر

فى الدليل على أن الخالق لايشبه المخلوق

قال المؤلف : الدليل على أن الخالق لايشبه المخلوق : أن البارىء عز وجل لو أشبه الأشياء التى خلقها ، وأخرجها من العدم إلى الوجود، لكان حكمه حكمها فى الحدث . فلا يخلو من أن يكون يشبه الأشياء ، من كل الجهات،أو من بعض الجهات . فلو أشبهها من كل الجهات، لكان محدَثا مثلها. ولو أشبهها من بعض الجهات ، لكان محدثا من حيث أشبهها . فلما استحال أن يكون المحدَث قديمًا، دل على أن الخالق لايشبه المخلوق . وقد قال الله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البَصيرُ » وقال عز وجل: « فلا تضربوا لله الأمثال» تعالى الله عز وجل، الذى لا شبه له ، ولا مثل له ، ولا ند له ، ولا كفو له . تعالى الله علوا كبيرًا .

* * *

الباب السادس عشر

فى الموات التى ذكرتها الديصانية أنها عند الله

إن قالت الديصانية: ما أنكرتم أن يكون الإلٰه سبحانه هو الواحد الأزلى القديم . ولكن كان معه موات قديم فمن ذلك الموات : أبدَى الأشياء على ماهى عليه ، وأظهرها من العدم إلى الوجود .

قيل لهم : هذا باطل ، من قبل أن الإلٰه إنما وجب أن يكون إلٰهًا ، إذ لا مماثل له فى الأزلية والقدم والربوبية ، فلو كان مع الله غيره . قديم أزلى فيما لم يزل ، لوجب أن يكون ذلك القديم الذى معه ، مماثلا له ، فى أخص أوصاف الألوهية. فيبطل أن يكون الله عز وجل إلٰهًا، إذ كان معه غيره فى الأزل قديمًا ، كتقدمه . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا .

* * *

الباب السابع عشر

فى الرد على من قال : إن هذه الأجسام يحدثها محدث أحدثه الله عز وجل

من بعض الكتب : إن قال قائلون : ما تنكرون أن هذه الأجسام يحدثها محدث ، أحدثه الله عز وجل وذلك المحدَث جسم .

قيل : الدليل على إبطال ذلك: أن الجسم لايكون قادرًا إلا بقدرة هى غيره. فلو جاز أن يفعل قادر بقدرة ، شيئاً ، من الأجسام ، لكنا نقدر أن نفعل بقدرتنا، بعضا من ذلك لعلمنا أن من كان قادراً بقدرة ، فلا يقدر أن يفعل الأجسام .

فإن قال : لِمَ قلتم : إن الجسم لا يكون قادراً إلا بقدرة ، هى غيره ؟

قيل له الدليل على ذلك : أنه ليس فيما بيننا جسم قادر إلا بقدرة ، هى غيره. ولو كان الجسم قادراً بلا قدرة ، لكان الجماد وهذه الأجسام بالموات قادرين . وفى استحالة ذلك دليل على أنه لا جسم يقدر إلا بقدرة هى غيره .

* * *

الباب الثامن عشر

فى الرد على من قال : إن الله خلق خلقه لعلة

الدليل على بطلان ذلك : أن العلة إنما تتصور فيمن يروم دفع مضرة أو استجلاب منفعة. والله عز وجل منزه عن ذلك فلا ضرر يلحقه ، ولا نفع يجلبه فلا تتصور فى أفعاله علل . والواحد منا يفعل كل ما يفعله ، إما يستجلب به منفعة إلى نفسه ، أو يروم به دفع مضرة ، بخلاف أوصاف البارئ عز وجل .

والدليل على أن العالم المصنوع ليس بمعلول. إنما المصنوع لو كان معلولا لعلة ، لولاها لم يكن مصنوعا ، لجاز أن تعدم العلة ، فيكون مع عدم العلة غير مصنوع كما أن المتحرك، إذا كان متحركا لعلة ، لولاها لم يكن متحركا . فهو مع عدم العلة غير متحرك ، لكن البارئ عز وجل خلق خلقه على ما يشاء . ولا علة لفعله .

وسأل أهل الدهر . فقالوا : حدثونا عن محدث الأشياء ، أحدثها لعينه ، أم لعلة ؟

قيل لهم : بل أحدثها لعينه . ولا لعلة هى غير الفعل ، بل الفعل هو العلة التى كان لها فاعلا .

* * *

الباب التاسع عشر

فى حدث الجواهر التى هى أصول الأجسام المركبة

وعرض وحدث الأعراض الفانية بالجوهر

الدليل على حدوث الجواهر: أنها لاتنفك من الحوادث ولا يصح أن تخلو من أعراض حادثة . وما لا ينفك من حادث نحادث . وأيضا فإنها متحركة دار حرارة حالة فيها

والدليل على حدوث الأعراض أنه قد صح وجود الجسم فى حال . ومحال أن يوجد ساكنا متحركا فى حال من الأحوال . فالذى صح وجـوده وهو الجسم ، غير الجسم الذى يستحيل وجوده . وهو الحركة والسكون .

* * *

الباب المشرون

فى الدليل على المجتمع أنه مجتمع باجتماع هو غيره
والمتفرق متفرق بافتراق هو غيره

مما يدل على أن اجتماع كل مجتمع محدث: أنّا نتوهم بطلانه، فيصح ذلك فى الوهم ولو كان قديما لما صح أن يبطل غير محدث، جاز أن يكون محدثا يستحيل بطلانه فدل أن كل ما كان يصح بطلانه فمحدَث .

* * *

الباب الواحد والعشرون

فى الدليل على حدث الاجتماع والافتراق

من الدليل على حدث الاجتماع والافتراق: أنا نقصـــد إلى الجسم المجتمع فنفرقه، فيوجد فيه افتراق . فلا يخلو ذلك الافتراق من أن يكون كان موجودا فيه ، قبل الحال التى فرقناه فيها ، أو يكون حدث فى هذا الوقت . فإن يكن كان موجودا فيه قبل تفريقنا إياه ، فقد كان مجتمعا متفرقا فى حال .

فإذا بطل أن يكون الافتراق، قد كان موجوداً فيه فى حال اجتماعه، فقد صح أنه محدث عند ما فرقناه .

وكذلك القول فى الجسم المفترق، إذا قصـدنا إليه فجمعناه ، فقد صح أن الاجتماع والافتراق محدثان .

* * *

الباب الثانى والعشرون

فى المكان والدليل على حدوثه

قيل : إن المكان والزمان ليس هما من العالم . وهما من غير العالم . والمكان هو سطح مستو من لطائف الأجزاء المستفردة. فانعقد والتأم، فصار للأشياء حاويا. وحده أن يكون حاويا من سائر الجهات . وهى البسائط الست التى هى يمين وشمال وخلف وقدام وفوق وتحت .

والدليل على حدث المكان من أوجه : أحدها أن كل بسيط وإن اتصل ، فلا يخلو من أن يكون عاليا إلى نهاية توقُّفِه ، فيكون له مستقَرا ولو جاز أن يكون عاليا إلى غير نهاية ، لجاز أن يكون كل كثيف راسيا إلى غير نهاية . فدلت تلك النهاية على الاستقرار .

وإنما وجب أن يكون القديم قديما، إذ لا نهاية له. وأيضا فإن البسائط وإن لطفت فلا تخلو من طبائع مقرونة بها. كما أن الكثائف لا تخلو من طبائع تكون مقرونة بها. وأيضا إن الحرارة التى هى طبائع المكان ، لابد لها من زيادة ونقصان والزيادة والنقصان ضدان متعاقبان. ومن تعاقب عليه العرضان وتراكم عليه الضدان كان محدثا .

* * *

الباب الثالث والعشرون

فى الزمان والدليل على حدثه

اختلف الناس فى الزمان . فقيل : هو الحركة نفسها .

وقيل : هو إعداد الحركة .

وقيل : هو القدر الذى يكون بين الحركات . فلما أن تبيّن فساد الأقاويل ، صح وثبت ماقلنا : إن الزمان هو القدر الذى تكون به الحركة ، يريد أن الزمان يكون فيه إعداد الحركة والفرق بين الإعداد .

والدليل على حدث الزمان : أن له بعضا . وما كان له بعض كان له كل .

مسألة : والزمان من غير العالم . وهو المشتمل ، يعنى على المكان . حد الزمان أن يكون مشتملا على المزمن من سائر الجهات .

* * *

الباب الرابع والعشرون

فى الوقت والدليل على حدثه من كتاب الأكلة

اختلف فى الوقت . فقال بعض: الوقت مدى ما بين الأعمال. وإن معناه : أن الليل والنهار هما الأوقات .

وقال بعض : هو حركات الفلك .

وقال بعض : هو شىء غير حركات الفلك ، وغير الليل والنهار. وليس بجسم ولا عرض .

اعلم أنه قد قالت العلماء : إن الوقت هو كل حدث كان معلوما حال حدوثه. فمتى علق به ما يجهل حال حدوثه ، قيل : إنه وقت له .

وكذلك كان الوقت والموقَّت جميعا حادثين. ولذلك لا يصح التوقيت بالقديم تعالى الله عز وجل. وإنما يصح بالحادث ، أو ما يجرى مجراه من حكم متجدد ، من عدم ، أو وجود .

وكذلك يصح أن تقول: إن زيدا يقدم ، إذا طلعت الشمس . ويقول الآخر: إن الشمس تطلع إذا قدم زيد فيصح أن يجعل كل واحد منهما وقتا للآخر ، بحسب حال المخاطب ومعرفته بأحدهما دون الآخر . فلا يعتبر فى كون الشىء وقتا ، إلا بأن يكون حادثا فقط . ويعتبر فى حسن جعلك له بالمخاطبة ، بأن يكون عالماً . وأن يكون جاهلا بالوقت ، وكيفية حدوثه . فلا يجوز أن يختص بذلك الليل والنهار ، وحركات الفلك . بل يجب فى كل ذلك وسائر الحوادث : أن يكون وقتا. لكن حركات الفلك لما كانت أظهر ، والعلم بها أشهر ، غلب على الناس التوقيت بها . وإلا فحال غيرها كحالها ، على ما قدمنا .

* * *

الباب الخامس والعشرون

فى الهواء والاختلاف فيه

والدليل على حدثه

والرد على الهوائية

اختلف الناس فى الهواء .

فقيل : هو جسم لطيف دقيق . قال أبو الهذيل : هو شىء ليس بجسم ، بل هو مكان للأجسام . ولو كان جسما لاحتاج إلى مكان . وكان ذلك لايتناهى .

وقيل: إن الهواء ليس بشىء . والصحيح ماقيل : إنه جسم دقيق وهو يبين بالتحريك . ومتى حصلت فيه الحركة شائمة ، وصف بأنه ريح .

وإذا حصل فى مخاريق الإنسان ، وصف بأنه روح . وهو يمتلىء من الزق عند النفخ. ولو كان غير جسم ، لاستحال جميع ما ذكرناه فيه، لأن العرض لايملأ الظروف . ولو لم يكن الهواء جسما ، لوجب فى الملائكة والجن أن لايكونوا أجساماً . وقد علمنا استحالة ماليس بجسم حيا قادراً بحياة وقدرة .

مسألة :

فى الدليل على حدثه ، والرد على من قال بقدمه من الهوائية . يقال لمن قال بقدمه : أفالهواء كل ؟

فإن قال : لا، كذبه كلُّ ذى عقل لما يشاهدون ، ويرون بعضه دون بعض .

فقد أطبقت الأمة بأسرها أن له بعضاً . وكل من كان له بعض ، فله كل . وكل من كان له كل ، فله حد ونهاية . وله قاهر قهره ، وقاسر قسره ، على ما هو به من حدثه وكليته ، لا يستطيع خلاف ذلك . فدل أنه مخلوق وله خالق خلقه . وليس هو بإله قديم .

وإن قال : نعم له كل .

قيل له : فما كان له كل ، فله بعض ، وحـد ونهاية وبداية . ولم يوصف بالأزل والقديم ، لأن ما كان هذا سبيله كان محدثا ؛ لأن الهواء متحرك ، والحركة عرض . وماحله العرض كان محدثا .

والدليل على حركته : أن ينظر إلى الشمس التى فى كوة البيت ، أو كوة فى أوسط السما ، فتراه يتحرك . وترى الهبو يطلع من حركة الهواء الفوقانية ، وفى الهواء الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وكل ماتغاير فيه المتغايرات ، بعضها عن بعض وحله العرض محدث .

* * *

الباب السادس والعشرون

فى الفلك والرد على الفلكية

اعلم أن الفلك الدائر لابد له من قطب على أنه حال دار ، فلا خفا أن حركة قطبه ومايلى قطبه ، أقل من حركة مابعد عن قطبه من حرمه ؛ لأنه كلما اتسع الحرم عن نقطة مركزه ، كان أوســع لدوره ، كدوام الذى دوران متسعه أكثر من دوران مركزه . فلا خفا أنالو توهمنا حركات القطبية ، فيما خــلا من الزمان ، لوجدناها لاتعادل إلا حركة أقل أجزاء الحرم . فقد صح أن حركات سعة الحرم ، أكثر من حركات قطبه فصارت حركات القطب من الفلك متناهية. فإذا وضعت حركات القطب من الحرم ، صار مابقى من الحركات، أقل منه قبل أن يوضع ذلك فهذا هو التناهى. على أنه لو لم يكن فى الفلك قطب، لعلمنا أن حركة بعض أجزائه جزء من حركة كل أجزائه . وأنها متناهية ، فيما خلا من الزمان، إذا كانت جزءا مما خلا من سائر حركاته .

قال المؤلف : ولعله يعنى إذا كان له جزء ، فله كل ، وبداية يدور منها ، إلى أن ينتهى إليها فى دورانه دورًا دورًا. والله أعلم .

* * *

الباب السابع والعشرون

فى الدليل على حدث النجوم
والرد على أصحاب النجوم

نقول : إن النجوم أجسام ، وصور مركبات ، تحركها القدرة وما كان هذا سبيله كان محدثا . والمحدَث لا يجوز أن يكون محدِثا للحوادث .

والدليل على حدث النجوم : انتقالها من برج إلى برج . فلا تخلو من أن تكون كونها فى ذلك البرج لعينها ، أو لمعنى . فإن كان كونها فى ذلك البرج لعينها ، وجب أن لا تزول منه فقط ؛ لأن الحكم العينى لا يزول إلا بزوال العين. وليس الأمر على ذلك ؛ لأنا نعلم انتقالها من برج إلى برج . فلا يجوز أن يكون كونها فى البرج لعينها . ولا يجوز أن يكون بمعنى قديم ؛ لأنه لو كان ذلك قديما ، لوجب أن لا يزول إلا بزوال ذلك المعنى . والمعنى القديم لا يعدم . فوجب أن لا يزول عن ذلك البرج أبدًا . فإذا بطل أن يكون كونها فى ذلك البرج لعينها ، أو بمعنى قديم ، لم يبق إلا أنها كانت فيها ، بمعنى حدوث . وانتقلت بمعنى حادث. فهى لا تخلو من أن تحلها الحوادث. وماحلتها الحوادث ، لم تخل منها. وإن لم تخل منها لم تسبقها . وكانت حادثة مثلها .

فإذا صح أن النجوم محدثات، لم يجز أن يكون لها أعمال؛ لأن المحدَث لا يفعل فى غيره شيئا. ولا يوجِد عدما . ولا يُعدِم وجودا . فبطل أن يكون للنجوم تأثير فى إيجاد ما يوجد ، وإعدام مايعدم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والعشرون

فى الرد على من احتج بقدم العالَمِ
بأن لا نطفة إلا من إنسان ولا إنسان إلا من نطفة
ولا بيضة إلا من طير ولا طير إلا من بيضة

فإن قال قائل : أخبرونا أليس لم تشاهدوا إنسانا إلا من نطفة ، ولا نطفة ، إلا من إنسان . ولا طيرة إلا من بيضة ، ولا بيضة إلا من طيرة ؟

قلنا : نعم .

فإن قال : فهلا قضيتم بذلك على الغائب ؟

قلنا له : إن الطيرة لم تكن موجودة لوجود البيضة قبلها .

وذلك أن الدلالة قد دلت على حدث الأجسام ، وعلى قدرة محدثها . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى خلق نطفة ، فجعلها مضغة وعظاما ، وكسا العظام لحما ، قادر على أن يخلق إنسانا كاملا ، وإن لم يخلق قبل ذلك نطفة ، ينقلها من حال إلى حال . وكذلك القول فى الطيرة والبيضة .

وإذا كانت دلالات العقول قائمة على ماقلناه وشرحناه ، فقد بطل أن يكون الإنسان إنما وجد بوجود نطفة قبله ، ولا أن الطيرة إنما كانت موجودة لوجود البيضة قبلها ، لأن الدلالة قد دلت على حدث العالم، وأن اوجوده أولا . فبطل أن يكون الإنسان إنما وجد لوجود نطفة قبله ، وأن النطفة إنما وجدت لوجود إنسان قبلها .

وكذلك القول فى الطيرة والبيضة .

فإذا بطل ذلك ، لم يلزم القضاء ، على أنه لا إنسان إلا من نطفة ، ولا نطفة إلا من إنسان . ولا طيرة إلا من بيضة ، ولا بيضة إلا من طيرة . ولا حادث إلا وقبله حادث . وبالله التوفيق .

وأيضاً فقد شاهدنا إنسانا ، لم يكن منه نطفة . ونشاهد نطفة لم يخلق منها إنسان، فلم يجب أن يقضى على الإنسان، بأنه إنما وجب وجوده لوجود نطفة قبله، أو لوجود إنسان بعده ، أو لوجود إنسان قبله . فلم يجب أن يحكم على البيضة ، إنما يجب وجودها لوجود طيرة قبلها .

فإذا لم يجب ذلك فى المستقبل، وكان هذا شاهداً على ترتيب ما قلنا، لم يجب أيضا أن نقضى على الإنسان، إنما كان إنسانا لوجود نطفة قبله. وكذلك الطيرة ، إنما كانت طيرة لوجود بيضة قبلها . وبالله التوفيق .

ولو كان الإنسان لايوجد إلا من بعد تقـدم النطفة . والنطفة لاتوجد إلا من بعد تقدم الإنسان ، لم يصح وجود الإنسان، ولا النطفة .

وكذلك القول فى البيضة والطيرة . وبالله نستعين .

وكذلك الليالى والأيام ، لو كان لا يوم إلا وقبله يوم ، ولا ليلة إلا وقبلها يوم ، استحال وجود الليالى والأيام .

فإن قالوا : لو جاز أن يُحدَث إنسان لا من إنسان ، لجاز أن يُحدَث فعل لا من فاعل .

قلنا : ليس كذلك ، لأنا قد علمنا فى أفعالنا ، أنها تحتاج إلينا فى حدوثها ،

فقسناها على كل حادث. وليس يمكن مثل ذلك فى الإنسان والنطفة؛ لأن النطفة هى الجوهر . وإنما صارت إنسانا بما يوجد فيها من الاستحالة . وهى حدوث أعراض ، وبطلان أعراض . والجسم واحد . وليس ذلك بمشبه بحدوث الفعل ، من جهة الفاعل. فافترقا . وبالله التوفيق .

* * *

وزارة الثقافة القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٤٠٦
الرقم الخاص : ٢١٤/١

الباب التاسع والعشرون
فى الرد على الدهرية الذين ذكرهم الله فى القرآن

الدهرية وجماعة الهند وأصناف اليونانية والمانية والديصانية والمرقونية والمجوس وعبدة الصور والحرنانية والصابئون والدركية ، وغيرهم من الملحدة . كلهم أنكروا حدوث العالم ، وقالوا بقدمه .

فقالت الدهرية : إن الدنيا لم تزل كما ترى، من مرور الليالى والأيام والشهور والأعوام. ونموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر يعنون مرور الليالى والأيام . فقال الله تعالى تكذيبا لهم « وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » حيث أنكروا الخالق ، وحدوث العالم ، وأن له محدثاً أحدثه . وإنما هذه الأجسام أحدثت أنفسها . وقد مرّ الرد عليهم — فيما تقدم — فى باب حدوث العالم .

فإن قال قائل إذا قلتم : إن البارىء — عز وجل — غنى لا مُغْنِيَ له ، عزيز لا معز له، سميع لا مسمع له ، بصير لا مبصر له، عليم لا معلم له ، قادر لا مقدر له . فلِمَ لا أثبتم مفعولا لا فاعل له ؟

قيل له : لا يجب ما قلت . وذلك أن الغنى الذى قلنا : لا مُغْنِيَ له، والعزيز الذى قلنا : لا معز له ، والعليم الذى قلنا: لا معلم له. قلنا: ليس معزوز فيقتضى ذلك معزًّا. وليس بمعلَّم فيقتضى ذلك معلّما .

وكذلك ما سألتمونا عنه ، فليس يجب أنه إذا قلنا: حيا ليس بمعزٍّ ولا معلّمٍ ، لايقتضى مُعِزًّا ، ولا معلما ، أن يزعم المعَز لايقتضى مُعزا ، والمعلَّم لا يقتضى معلما ، أن المفعول لا يقتضى مفعولا . وعليم وعزيز وزنه فعيل . وفعيل لا يقتضى مفعولا .

ومفعول يقتضى فاعلا . فالعالم العزيز الذى بيناه ، لا معلم له ، ولا مقدر له ، لم يزل قديما ؛ لأن معنى المفعول : أنه لم يكن ثم كان. ومعنى القديم: أنه لم يزل موجوداً .

فإذا لم يجز أن يثبت المفعول قديماً . فقد وجب أن المفعول يقتضى فاعلا فعله، بعد أن لم يكن فكان .

فصل

إن قالت الدهرية: ما تنكرون أن تكون الأجسام التى دللتم أنها محدثة ، أحدثت بعضها بعضا .

قيل له : هذا فاسد ، من قبل أن كل متماثلين ، لا يكون أحدهما موصوفا بالقدرة على صاحبه ، أولى من أن يكون الآخر موصوفا بالقدرة عليه ، إذ المثلية بينهما حاصلة. والمكافأة بينهما واقعة. ألا ترون أنهما إذا تكافآ فى الحدث، بأن يكون كل واحد منهما هو الراهب فى الجهات الست ، لا يمكن أحدهما أن تكون جهاته سبعا ولا خمسا . فلا يجوز أن يكون موصوفا بالقدرة على الآخر ؛ إذ العلة مشتملة عليهما .

دليله : أنه لو جاز أن يكون بعض المحدثات أحدث بعضها بعضا ، لجاز أن تكون الكتابة أحدثت كاتبا ، والصناعة أحدثت صانعا مثلها . وهذا فاسد فى العقول جداً .

دليل آخر : وهو لو جاز أن يحدث بعضها بعضا ، لتم مراد أحد المحدثين فى الآخر ، ولا ينبغى أن يتعذر عليه ، ووجدنا الأجسام فيما نشاهده ، يتعذر منها وقوع الأجسام . فدل ذلك على أنها لم يحدث بعضها بعضا . وبالله نستعين .

* * *

الباب الثلاثون

فى الرد على أهل الطبائع

الطبائع : هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . فقالوا : باجتماعها صح تركيب العالم. وهذا لا يصح ، لأن الحرارة ضد البرودة. والرطوبة ضد اليبوسة . ولا يجوز اجتماع الضدين ، فى ذات واحدة. كما أن الحركة ضد السكون ،والسواد ضد البياض. فلا يجوز اجتماع هذه المتضادات فبطل ماقالوه: إن باجتماعهما تركيب العالم ؛ لأن الطبائع محتاجة إلى المكان ، وليست بقائمة بأنفسها . وفى وجودنا لها محتاجة إلى المكان ، غير مستطيعة على القيام بنفسها على حدتها، إذ حقيقة القديم: استغناؤه عن المكان والزمان . والله تعالى أعلم . وبه التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثلاثون

فى الرد على من قال بالظلمات والنور

من المجوس وهم المانوتية

زعمت المانوتية أن الأشياء من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأن النور خير يفعل الخير ، والظلمة شر يفعل الشر . فما كان من الخير ، فهو من النور . وما كان من الشر ، فهو من الظلمة. وأنهما لم يزالا حيين حساسين درّاكين سميعين بصيرين . وهما مع ذلك مختلفان ، فى النفس والصور ، متضادان ، فى الفعل والتدبير . ولم يزالا متباينين متحادين ، يحادّان الشمس والظل . ثم امتزجا بعد ذلك . فقال بعضهم لأبى الهذيل : أخبرنا عن النور. أليس قد كان مباينا للظلمة؟

قال : نعم .

قال : فما مجيئه إليها بعد المبـاينة . أجاء إلى أنسه ومستراحه ؟ أم إلى ضده وعدوه ؟

قال : إلى ضده وعدوه .

قال : فإن كان جاء إلى عدوه طوعا ، فهو شرير أحمق . وإن كان جاء إليه قسراً ، فهو ضعيف عاجز. فرجع المانى عند ذلك وأسلم .

قال الشيخ أبو الحسن البسيانى ــ فى الرد عليهـم ــ : إنه لا يخلو أن يكونا متباينين ؟ أو متمازجين . وأيهما كان ، فقد صح ، وثبت لهمـــا الحدث والحد والنهاية .

وقد دللنا أن الأ سام محدثة. وقد صح أنهما جسمان. وقد ثبت أنهما محدثان، والمحدَث مصنوع . وله صانع ووجه آخر ؛ أم لا يخلو من أن يكونا متباينين ، لم يصح امتزاجهما أبدًا؛ لأن أحدهما نور، والآخر ظلمة. فهما ضدان لا يزدادان إلا تباعدًا .

وإن كانا متباينين ، على ماقالوا ، ثم امتزجا ، لم يخل أن يكون التباين هو هما ، أو غيرهما . وكذلك الامتزاج . فقد ثبت أصل ثالث ، وفسد قولهم .

وإن قالوا : التباين والامتزاج غيرهما . وقد ثبت أصل ثالث .

قيل لهم : فقد تغير التباين والامتزاج . وإذا تغير فهو محدث ، فهما محدثان. والقديم لا يتغير كالمحدث. وقد أكذبهم الله بقوله: « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » نقض لقولهم : إن النور يفعل الخير ، والظلمة تفعل الشر .

يقال لهم : فما قولكم فيمن يقول : أنا ظلام من القائل : أنا ظلام الظلام القائل : أنا ظلام أم النور ؟

فإن قالوا : النور هو القائل أنا ظلام ، فقد كذب النور فى قوله . والكذب شر عندكم .

وإن قالوا : الظلام هو القائل : أنا ظلام ، فقد صدق الظلام. والصدق خير. فقد فعل الظلام الخير . وعندكم أن الظلام لا يفعل الخير ، فلا يجدون سبيلا .

من هـذه المسألة مقالة الديصانية : زعمت الديصانية : أن الأشياء من أصلين ـ على ما زعمت المانوية ـ نور وظلمة . وأن الخير من النور . والشر من الظلمة .

وأن النور حى عالم قادر حساس درّاك منه يكون الفعل والحركة؟ والظلمة: موات عاجزة جاهلة راكدة لافعل لها ولا تمييز معها . وإن الشر يقع منها طباعاً . وإن النور جنس واحد ، والظلمة جنس واحد . والنور : بياض كله ، والظلمة : سواد كلها. وإن الظلمة ضد النور . وأشياء كثيرة تركنها .

يقال لهم : إذا كانت الظلمة غير فاعلة ، والأفعال كلها للنور . فكل ما فى العالم من سفك الدماء ، وإيلام الحيوان ، وسائر الضرر والفساد . وكل كذب وفجور وشتم وجور . فمن النور الذى زعمتم أنه لا يفعل إلا الخير .

ويقال لهم : إذا كان لون النور هو البياض ، ولون الظلمة هو السواد ، فأخبرونا عن البرص أخير هو ؟ أم شر محبوب هو ؟ أم مكروه ؟

فإن قالوا : محبوب وخير ، كابروا . وإن قالوا : مكروه وشر ، فقد وجب أن يكون لون النور شرّا .

ويسألون عن سواد العيون ، وسواد الشعر : حسنان هما أم قبيحان ؟ فهذا ما لا محيص لهم منه .

ويقال لهم: إذا كان لا شىء إلا نور وظلمة، فمن أين جاءت الحمرة والصفرة؟

فإن قالوا : لاختلاف الأخلاط من القلة والكثرة .

قيل لهم : إن السواد والبياض قد عرف اختلاطهما . ولو خلطا بكل نوع، ما جاءت منهما حمرة . وإنما يأتى منهما ألوان بين السواد والبياض ، فى الكثرة والقلة . فمتى أردتم أن تتأملوا ذلك ، فتأملوا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثلاثون

فى الرد على من قال من النصارى : إن الله جوهر ـ تعالى الله عن ذلك

أجمعت النصارى ، على القول : بأن الله تبارك وتعالى جوهر ، وأنه تعالى له ثلاثة أقانيم : الأب وهو العالِم ، والابن . وهو العلم . والروح ، وهو بين الحياة والقدرة . وهى الحياة أيضاً . وهذه أقانيم هى خواص الجوهر . كما تقول : شمس . ثم تقول : قرص وضوء وشعاع .

ويقال للنصارى فى قولهم : إن البارئ جوهر ، لم قلتم ذلك ؟

فإن قالوا: من قِبل أن الأشياء لاتخلو فيما بيننا: أن تكون عرضا أو جوهرا فلما فسد أن يكون البارئ عرضا ، إذ العرض لا يتأتى منه الفعل ، ولا يصح منه تدبير . إنه جوهر ، غير قابل للأعراض .

فإن قالوا: الدليل على أن الله جوهر: أن الأشياء على ضربين . فمنها شىء قائم بنفسه ، ومنها قائم بغيره . وهى الأعراض ، صح أنه تعالى جوهر .

الجواب ـ يقال لهم : ما الفصل بينكم وبين من عارضكم ، فقال : وجدت الأشياء ضربين: فمنها شىء يحتمل الأعراض، ومنها ما هو قائم بغيره . والقائم بغيره عرض . والعرض لا يفعل شيئاً . فلما أن كان الفعل ظاهراً ، صح أن البارئ قائم بنفسه، محتمل للأعراض ، بمثل ما أوجبتم أنه جوهر . وهذا ما لا فصل فيه ، حتى يلج الجمل فى سم الخياط .

وأما قول من قال منهم: إن الجوهر على ضربين: خسيس وشريف. فالخسيس: هو القابل للأعراض. والشريف لا يقبل الأعراض. وهو الباري.

قيل لهم: ما الفصل بينكم وبين من قال: الأجسام على ضربين: خسيس وشريف. فالخسيس: هو الطويل العريض العميق، القابل للطول، والعرض والعمق. وهو الذي نشاهده والشريف: هو الذي لا يقبل الطول والعرض والعمق. وهو الباريء – تعالى الله عن ذلك.

فإن قالوا: قد شاهدنا الجوهر، لا يقبل الأعراض. وهو السماء.

قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: قد شاهدت جسما، لا يقبل الطول والعرض والعمق. وهو السماء.

ومن اعتل منهم أن الملائكة جواهر، فهم لا يقبلون الأعراض.

قيل لهم: والملائكة أجسام لا يقبلون الطول والعرض والعمق. فقل: إن الباريء جسم، وهو لا يقبل الأعراض.

ويقال لهم: إذا أثبتم جوهرا غير قابل ماتفعله الجواهر، وأخرجتموه من أن تكون أحكامه أحكامها. فما الفصل بينكم وبين من أثبت في الغائب شيئًا، ليس بجوهر ولا عرض، على خلاف الشاهد؟

فإن استحال ذلك، لأن الشيء في الشاهد، لا يخلو من أن يكون جوهرًا أو عرضاً. فلذلك اختلف قولكم: إن الجوهر في الشاهد لا يكون إلا قابلا للأعراض.

فإن قالوا : فهل شاهدتم شيئاً يخلو من أن يكون جوهرًا . أو عرضا ، أو موجودا ، يخلو من كونه جسما أو عرضاً ؟

قيل له : لا .

فإن قال : فهلا قضيتم بذلك على الغائب ؟

قيل له : إن الشيء لم يكن شيئاً فيما بيننا ؛ لأنه جوهر ، ولا أنه عرض؛ لأنه لو كان شيئا لأنه جوهر ، كان لا شيء إلا جوهر ، ولا شيء إلا وهو عرض .

وكذلك لم يكن الموجود موجودًا لأنه جـوهر ، ولا لأنه عرض ، ولا لأنه جسم . فلما لم يكن كذلك ، لم يجب القضاء بذلك ، على الغائب .

فإن قالوا : لما استحالت الأفعال ، ممن هو قائم بغـيره ، وكانت للبارىء أفعال، وجب أن يكون قائما بنفسه .وإذا وجب أنه قائم بنفسه، وجب أن يكون جوهرًا .

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال : لما كانت للبارىء أفعال ، وجب أن يكون قائما بنفسه . فإن وجب ذلك ، وجب أن يكون حاملا للأعراض .

يقال لهم : إذا دل الفعل على أنه جوهر ، لأنه لايفعل فاعل فيما بيننا إلا قائما بنفسه ، فلم لا دل على أنه جسم ، إذ لايفعل فاعل فيما بيننا إلا وهـو جسم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والثلاثون

فى الرد على من يقول من اتحاذ الكلمة بجسد المسيح

اختلف النصارى، فى تفسير اتحاذ الكلمة.

فقال بعضهم: معنى اتحاذ الكلمة بجسد المسيح: أن الكلمة حلت جسده.

ومنهم من قال: معناه أن القديم والمحدث صارا شيئا واحدًا.

ومنهم من قال: معناه أن مشيئتهما صارت واحدة، ومرادهما واحدا.

ومنهم من قال: إن الكلمة حلت فى مريم حلول الممازجة، كما يحل الماء فى اللبن، حلول الممازجة والمخالطة.

ومنهم من قال: إنه حل فيه من غير ممازجة. كما أن شخص الإنسان يتبين فى المرآة، وفى الأجسام الصقيلة، من غير ممازجة بينهما.

ومنهم من قال: إن مثل اللاهوت فى الناسوت، مثل الخاتم من الشمع؛ لأنه يؤثر فيه، حتى يتبين فيه النقش، ثم لا يبقى فيه منه شىء سوى الأثر.

ومنهم من قال: إن الإيحاد هو الادراع. وهو أنه اتخذ الجسد هيكلا ومحلا.

الرد عليهم: يقال لمن قال منهم: إنه حل فيه من غير ممازجة، كما أن شخص الإنسان يتبين فى المرآة، وفى الأجسام الصقيلة، من غير ممازجة: إن ظهور الصورة فى المرآة والشىء الصقيل، ليس اختلاط شىء، ولا انتقال شىء إلى شىء، بل أجرى الله العادة، كأن الواحد منا إذا قابل الشىء الصقيل، خلق الله تعالى له

أرئيةً يرى بها نفسه . فأما إن كان يكون ، قــد حصل فى الصقيل شىء ، فلا استأثر ، وأنه من مس وجهه ،فوجْهَ نفسِه لمس، لاوجها ظر فيه. فعلمت أن ليس فىالمرآة شىء. وهذه القول يوجب عليهم الإقرار به؛لأنه شىء من الله القديم فى مريم. ولاعيسى شىء يبطل عليهم القول : إنه لاهوتى ناسوتى. وعلى ما قالوه باللاهوتى.

وكذلك القول فى الخاتم ، ونقشه فى الشمع . فليس شىء يحصل من الفص فى الشمع . وإنما يتركب الشمع تركيباً بعضه فى بعض. فإذا كان الأمر على ذلك، فقد بينوا الأمر به ، فيما ذكروه ، ووجب أن يكون التأثير والناسوت لغير تركيبه ووصفه . فإما أن يكون فى غيره حلول فيه لعلة فلا . قال : فما حل فى الشمع شىء من الفص . وهذا يوضح بطلان قولهم، وفساد مارامره. ثم إن هذا الذى ذكروه كله ، إنما يجوز بين المتماسين للمجاورين ، المتلامسين الجسمين المحـدودين اللذين يجوز فيهمـــا الحوادث ، وتغير الأوصاف . والله تعالى يجل عن ذلك كله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والثلاثون
فى الرد على من قال : إن الإيجاد هو الادّراع
وهو أنه يجد الجسد هيكلا ومحلا

يقال لهم : إذا جاز ذلك على الكلمة ، فلِم لَم يجز ذلك على جوهر الإله ؟ ولم لا جاز على الأب أن يحل الأجساد ويدرعها ؟

وإذا جاز أن تحل الكلمة فى جسم محدود ، فقد حوى المحدودُ القديمَ ، وماسّه وخالطه .

وإن جاز على الكلمة الامتزاج والاجتماع ، فلِم لا جاز عليها المفارقة والحركة والسكون والألوان والطعوم والأرائيج ؟ ولم لا جاز ذلك على جواهر الإله وكرامته ؟

فإن أجازوا ذلك .

قيل لهم : فما جعله بالقدم أولى من الأجساد وما جعلها بالحدث أولى منه ، وقد جاز عليه ما يجوز عليها ، من صفات الحدث ودلالته .

ويقال لهم : دلونا على أن القديم اتَّحِدَ بالجسد المحدث . فلا يأتون دليلا إلا قيل لهم : قولوا لهم بهذه الدلالة: إنه ممتزج له ، مخالط له ، مماسٌّ له .

وإذا قلتم : اتَّحِدَ به ولم يماسّه . فما الفرق بينكم وبين من قال : مازجه ولم يماسه . وكذلك خالطه ولم يمتزج به ؟

ويقال لهم : لم زعمتم أن الكلمة هى التى اتحدت بجسد المسيح ، دون أن

تزعموا أن الإيجاد كان من الروح ؟ هم مطلقون الإيجاد بلفظ الكلمة. ولا يطلقونه بلفظ الروح ، وإن كان عندهم شيئا واحدا ، فافهم ذلك .

ويقال لهم: لم زعمتم أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، ولم تزعموا أنها اتّحدت بجسد موسى ، أو غيره من النبيين ـ عليهم السلام .

وإن رجعوا إلى اختراع المعجزات والبراهين ، التى ظهرت على عيسى ، كنحو إحياء الموتى ، وإبرائه الأكمه والأبرص .

قيل لهم : فلم قلتم: المسيح ابن الله وقلتم : الكلمة مؤكدة له ، لظهور البراهين والمعجزات عليه، دون أن تثبتوا موسى ابنا له، وتثبتوا الكلمة متّحدة به، لظهور البراهين الباهرات عليه ، كنحو فلقه البحر ، ورميه العصى من يده فتكون حية تسعى، وإخراجه يده بيضاء من غير سوء. وكنحو الجراد والقمّل والضفادع والدم وغير ذلك من الآيات ؟

فإن قالوا : كان موسى يدعو الله ، فيفعل ذلك على يديه . والمسيح كان يخترع ذلك اختراعا .

قيل لهم : ما الفصل بينكم وبين من قلب عليكم . فقال: موسى أولى بالنبوة وباتخاذ الكلمة به ، من عيسى ، لأن موسى كان يخترع ذلك اختراعاً . وعيسى كان يدعو الله ، فيفعل ذلك على يديه .مع أن فى كتابكم: أن عيسى كان يدعو الله ويتضرع إليه ؟

فإن قالوا : لم يكن دعاؤه إلا على معنى: أن يعلم الناس كيف يدعون .

قيل لهم : ما الفصل بينكم وبين من ادعى ذلك فى موسى عليهما السلام ؟

وسئل بعض النصارى فقيل له : حدثني ما معنى قولك : إن كلمة البارئ اتحدت بجسد المسيح ؟

فقال معنى ذلك : أنها حلت فيه .

قيل له : فإذا جاز أن تحل الكلمة القديمة جسد المسيح. فلم لا يجوز أن تماس الكلمة القديمة جسد المسيح ؟ وما الذى يمنع من جواز مماسة الكلمة جسد المسيح ؟

قال : لأن المماسة لا تكون إلا على ما يعقل من التقاء طرفين . وذلك منفى عن الإله .

قيل له: ما الفصل بينك وبين من قال : والحلول لا يكون إلا على ما يعقل ، من حلول الشيء فى الشيء وحاجته القيام به ؟ فإن جاز عندك أن تحل الكلمة جسد المسيح، على خلاف الحلول الذى نعقله من حلول الشيء ، بمعنى الحاجة إليه ، والمماسة له. وهى معنى أنه لا قوام له إلا به . فما أنكرت أن تماس الكلمة جسد المسيح ، على خلاف المماسة المعقولة ، من مماسة الشيء للشيء .

فقال : لا يجب أنه إذا حلت الكلمة جسد المسيح ، أن أقول : ماست جسد المسيح . كما لا يجب أن البارئ حالٌّ فى السماء ، أن يكون مماسًّا لها .

قيل له : ومن سلَّم لك أن البارئ حال فى السماء ، أن يكون مماسا لها وما أنكرت أنه إذا جاز أن يحل البارئ فى السماء ، وهو قائم بنفسه، أن يكون جائزاً أن يماس السماء . وإذا حلت الكلمة جسد المسيح ، وهو جوهر خاص ، أن يكون جائزا أن يمسه .

فقال : جوهر . وهو حال فى النفس ، وليس مماسا لها .

فقلت : وما تنكر أن جوهر العقل جوهر ، وهو حال فى النفس . وليس بمماس لها .

فقلت: وما تنكر أن العقل جوهر، وكان حالا فى النفس، أن يكون مماسا لها. وترك هذا . ثم سئل. فقيل له : ما الذى أنكرت أن تمازج الكلمة جسد المسيح مع إجازتك حلولها فيه ؟

فقال : لأن الممازجة تخرج الشيئين الممتزجين ، عما كانا عليه . وذلك أن الماء إذا مازج اللبن ، خرجا بالامتزاج عما كانا عليه .

قيل له : فما الفصل بينك وبين من قال. والماء إذا حل فى اللبن ، خرج أحدهما فى صاحبه ، عما كانا عليه . فلا يجب من ذلك أن يزعم أن الكلمة حلت جسد المسيح .

قيل له : ما أنكرت أن يكون الامتزاج لا يخرج الكلمة والجسد عما كانا عليه ، وأن يكون على خلاف الامتزاج المعقول ، كما ثبت حلول على خلاف الحلول المعقول . فزعم أن الماء يحل الجرة ، وليس بممازج الجرة .

قيل له : إن وجب أن تحل الكلمة جسد المسيح ، من غير ممازجة ، كما يحل الماء الجرة ، من غير ممازجة . فما أنكرت أن الكلمة تماس جسد المسيح ، من غير ممازجة .

ويقال لهم : إذا جاز أن يكون المحدَث محلا للقديم . فما أنكرتم أن يكون حاويا له .

وإذا جاز أن تحل الكلمة ، فى جوهر خاص ، فى جسد محدود . فما أنكرتم أن تكون محدودة . وإن جاز أن يحل ما ليس بمحدود ، فى الجوهر المحدود ، فما أنكرتم أن يحل المحدود فيما ليس بمحدود . وإذا جاز أن يحل القديم فى المحدث فما أنكرتم ، من جواز حلول المحدث فى القديم .

فإن قالوا : لو حل المحدث فى القديم ، لم يسبقه القديم .

قيل لهم : ولو حل القديم فى المحدث ، لم يسبق المحدَث .

ويقال لهم: إذا جاز حلول القديم فى المحدث ، فما أنكرتم ، من جواز حلول القديم فى القديم . وكل علة يمنعون بها حلول القديم فى القديم ، والمحدث فى القديم منعنا بها حلول القديم فى المحدث . وبالله نستعين .

* * *

الباب الخامس والثلاثون

فى الرد على من قال من النصارى باللاهوت والناسوت

معنى قولهم: عيسى عليه السلام لاهوتى ناسوتى. لاهوتى الأب وهو الإله. وناسوتى الأم وهى من الناس.

ويقال لهم: أى شيء دعاكم إلى القول: بأن عيسى لاهوتى ناسوتى؟

فإن قالوا: لأنه أبرأ الأكمه والأبرص، وأحيي الموتى؟

قيل لهم: فما أنكرتم أيضاً أن موسى لاهوتى وناسوتى؛ لأنه قلب العصا حية واليد بيضاء من غير سوء.

فإن قالوا: إنه دعا ربه، فقلب له العصا. وما هو منه.

قلنا لهم: وكذلك نقول: إن عيسى دعا ربه فأحيي له الموتى إظهاراً لمعجزته.

ثم يقال لهم: ماقولكم فيه، حيث قتل وصلب ـ على ما ذكرتموه ـ أقتل لاهوتى؟

فإن قالوا: نعم، فقد صرحوا بأن ماقالوه لا أصل له؛ لأن القديم لا يقتل. ولو كان قديما لما قتل.

وإن قالوا: إن القديم يموت ويقتل، فقد صرحوا بأنه محدَث؛ لأن كل زائل عن صفته طارىء عليه ضده ألّا يكون محدَثا؟ فلا يجدون فى ذلك فصلا، ولا عنه مخرجاً.

ثم يقال لهم: فما الذى دعاكم إلى قولكم: بأن عيسى لاهوتى؟

فإن قالوا: لأنه وجد من غير ذكر.

قلنا لهم: فقولوا: إن حواء ـ عليها السلام ـ لاهوتية، لأنها وجدت من غير أنثى. بل قولوا: آدم لاهوتى، لأنه وجد من غير ذكر، ولا أنثى. وبالله التوفيق.

* * *

الباب السادس والثلاثون

في الرد على اليعقوبية من النصارى

يقال لمن قال من اليعقوبية : إن كلمة الله انقلبت لحما ودما بالإيجاد. إذا جاز عندكم ذلك ، فلم لا جاز أن ينقلب القديم حديثا ، والحديث قديما بالإيجاد ، كما جاز أن تنقلب الكلمة لحما ودما ، وهي ليست بلحم ولا دم لعينها ؟

ويقال لهم: إذا زعمتم أن الباريء والد لكلمته، وأنه ابن كلامه. أفتزعمون أن الإنسان ولد كلامه ووالده ؟

فإن قالوا : لا .

قيل لهم : ولم منعتم ذلك ، وما الفصل بينكم وبين من عكس عليكم ، فزعم أن الإنسان ليس والدا لكلامه ، وأنه أبوه . والقديم ليس كذلك ، على قلب ما قلتم ؟

فإن قالوا : إن الإنسان ليس بوالد لكلامه ؛ لأن ذاته قبله ، والقديم والد لكلامه ، لأن ذاته لم تسبقه . وهذا قلب المعقول . وإما أن يعكس هذا عليكم فيقال لكم : ما أنكرتم بأن يكون القديم ليس بأب لكلامه ، وأن يكون الإنسان أبا لكلامه ؛ لأن ذات الإنسان سابقة لكلامه . وذات القديم ليست كذلك .

ويقال لهم : ما قولكم : إن الإنسان ليس بأب لكلامه ، لأن ذاته قد سبقت كلامه . فما أنكرتم أن يكون الإنسان أبا أبيه ، لأن ذاته قد سبقته. وإلا كنتم مناقضين لاعتلالكم .

ويقال لهم: إذا كان القديم أبا لكلمته ، إذ كان لم يسبقها . فما أنكرتم أن تكون كلمته أباً له ؛ لأنها لم تسبقه . وأن يكون أباً لحياته وروحه؛ لأنهما لم يسبقاه وإلا كان اعتلالكم منتقضاً .

فإن قالوا : إن الإنسان أبو كلامه ، ووالد له .

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون الإنسان أباً لفعله ووالداً له . وما الفرق بينكم وبين من قال : إن الإنسان أبو فعله ، وليس بأبى كلامه ، على قلب ما قلتم وعكسه ؟

فإن قالوا : فعل الإنسان ليس بخارج عن ذاته . فلذلك لم يكن أباً له .

قلنا لهم : وكذلك كلام الإنسان ليس بخارج عن ذاته . فلذلك لا يكون أبًا له . وما الفرق بين خروج الإنسان عن ذاته ، وخروج كلامه عن ذاته ؟ !

فإن زعموا أن الإنسان أبو فعله ووالده .

قيل لهم : فإذا كان الإنسان أبا كلامه ، وإن كان سابقا لكلامه ، كما قلتم فى الإنسان وفعله .

فإن قالوا : إن البارىء سابق لفعله ، فلذلك لا يكون والداً له .

قيل لهم : ذلك فى الإنسان ، وفى كلامه .

وقيل لهم : إن كان البارىء أبًا لكلامه ، إذ لم يسبقه. فواجب أن يكون أبًا لحياته ؛ لأنه لم يسبقها . وأن يكون كلامه أبًا له ؛ لأنه لم يسبقه .

فإن قالوا : إن فعل البارىء خارج عن ذاته ، فلذلك لا يكون البارىء أبًا له . وكلام البارىء ليس بخارج عن داته ، فلذلك كان أبًا له .

قيل لهم : إن كانت العلة فى كون البارىء أبًا لـكلامه، هو أن كلامه ليس بخارج عن ذاته . فلم لايكون أبًا لروحه ؛ لأن روحه ليست بخارجة عن ذاته .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال عكسًا عليكم ، فى قلب المسألة : إن البارىء أبو فعله ، لأنه خارج عن ذاته وليس بأبى كلامـه ؛ لأنه ليس بخارج عن ذاته .

وقد فرق مفرق منهم ، بين أن يكون البارىء أبًا لـكلامه ، وبين أن يكون أبا لحياته : بأن كلامه يبدو ويظهر ، وحياته لا تبدو ولاتظهر .

فيقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من زعتم أن البارىء أبو فعله ؛ لأنه يبدو ويظهر ، وليس بأبى حياته ؛لأنها لا تبدو ولا تظهر .

إن كانت العلة ، فى أنه أبو كلامه : أن كلامه يبدو ويظهر .

يقال له : ما معنى قولك : إن كلام البارىء يبـدو ويظهر ؟ فتعنى أنا ندركه حسا .

فإن قال : نعم ، عورض بذلك فى حياته .

وإن قال : أعنى أنه يظهر لنا بالاستدلال ، ويبدو لنا بالحجة .

قيل له : فقل : إن حياته تبدو وتظهر ، على هذا المعنى . وليس للنصارى عن إلزامنا لهذا ، من محيص ولا ملجأ . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والثلاثون

فى الرد عليهم لقلبهم اسم المسيح عن معانى الحق والعدل

يقال لهم : أخبرونا عن قولكم : مسيح يقع على الكلمة دون الجسد المولود من مريم ؟ أم يقع على الجسد المولود من مريم دون الكلمة ؟ أم يقع عليهما جميعاً؟

فإن قالوا : يقع على الكلمة دون الجسد .

قيل لهم : فما معنى قولكم : مسيح ؟ أليس مأخوذاً من المسح ؟

فإن قالوا : لا .

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون مأخوذا من المسح ؛ لأنه يقال: مُسِح فهو مسيح. كما يقال: قتل فهو قتيل . فإن جاز أن يقال فى اللغة : مسيح لا من المسح ، جاز أن يقال: قتيل لا من القتل ، وطريد لا من الطرد .

ويقال لهم : إذا كانت الكلمة هى المسيح ، فلا تقولوا: المسيح عيسى بن مريم.

فإن قالوا : قولنا : مسيح مأخوذ من المسح .

قيل لهم : إذا جاز المسح على الكلمة القديمة ، فلم لا جازت عليها المماسة والمفارقة وسائر الأوصاف التى يستدل بها على حدث الأجسام ؟

وإن هم قالوا : قولنا : مسيح واقع على الجسد دون الكلمة .

قيل لهم: فقولوا: إن المسيح مخلوق من كل وجه، وليس بابن الله ، من كل وجه. إذا كان قولكم: مسيح واقعا على الجسد دون الكلمة. وقولوا: إن المسيح لم يولد من مريم ، ولا كان يأكل الطعام ولا يشرب الشراب . ولا تقولوا : إن المسيح

ابن الله ، إذا كان من قولكم : مسيحا ، ليس واقعاً على اللاهوت ، ولا على كلمة الإله .

وإن هم أبوا أن يكون المسيح ابنا لله ، وأبوا أن يكون مولودًا من مريم .

قيل لهم : فالمولود إذاً من مريم غير المسيح . وهو الذى ألزمناهم إياه ، متى صاروا إليه ، تركوا النصرانية وأبطلوها .

وقيل لهم : لا تقولوا : إن المسيح قتل ، إذا كان ليس بإله ، ولا إنسان ، ولا بجسد ، ولا بعرض .

وقيل لهم : إذا لم يكن جسداً ولا عرضا ولا إلهاً ولا إنسانا . فما أنكرتم أن لا يكون خالقا ولا مخلوقا ولاقديما ولا محدثا ولا حيا ولا ميتاً ولا موجوداً ولا معدوماً .

وإن قالوا : قولنا مسيح واقع على الجسد والكلمة .

قيل لهم : فإذا قلتم : أكل المسيح وشرب ؛ وقتل وصلب ، كان الأكل والشرب والقتل والصلب ، واقعا على شيئين : أحدهما جسد ، والآخر اللاهوت والناسوت .

وإذا جاز على اللاهوت والناسوت ، الأكل والشرب ، والقتل والصلب . فما أنكرتم من أن يجوز عليهما الاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون ، والظهور والكمون ، وسائر مايستدل به على حدث الأجسام . وإذا جاز ذلك عليهما . فما جعل الناسوت بالحدث والخلق ، أولى من اللاهوت ؟ وماجعل اللاهوت بالقدم والإلهية ، أولى من الناسوت ، وقد اشتركا فيما يستدل به على حدث الأجسام ؟

وإن قالوا : وقـع القتل والصلب ، والأكل والشرب ، على الناسوت واللاهوت .

قيل لهم : أرأيتم من زعـم أن اللاهوت والناسوت هما المسيح ، وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت ، ولم يقـع على المسيح ، أليس يكون مناقضاً ؟!

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فما أنكرتم من أن يكون من زعم أن المسيح لاهوت وناسوت ، والقتل والصلب واقع على المسيح ، ولم يقعا على اللاهوت والناسوت ، مناقض ، إذا كان المسيح لاهوتا وناسوتا .

* * *

الباب الثامن والثلاثون

فى الرد على أهل التثليث من النصارى وهم النسطورية

قالت النصارى: إن الله واحد ثلاثة . فواحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنومية[1] .
فقالوا : ثلاثة أقانيم : أب، وابن، وروح القدس، من جوهر واحد . فجعلوا ثلاثة واحدا ، وواحداً ثلاثة . فرد الله عز وجل عليهم ذلك . فقال : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد » .

فأما التثليث ، فإن الوجه فيه أن تؤخذ علتهم التى منها اعتلوا وذهبوا إلى ذلك ، فيعارضوا بما نحن واصفون .

يقال لهم: إذا أثبتم البارىء ثلاثة أقانيم أبا. وهو العالم، وابنا وهو علمه ، وروحا وهى حياته . فما الفصل بينكم وبين من أثبته أربعة أقانيم: أبا وابنا وحياة وقدرة ؟

فإن قالوا : إن الحياة هى القدرة ، فلذلك وجب أنه ثلاثة أقانيم .

قيل لهم: فما الفصل بينكم وبين من قال : إن البارىء تعالى أقنومان ، وأن العلم هى الحياة ، كما قلتم : إن الحياة هى القدرة .

فإن قالوا : قد يكون الإنسان حيا ، وينقص علمه ، والحياة بحالها . فبطل أن تكون الحياة علما .

قيل لهم : ما الفصل بينكم وبين من زعم أن الإنسان قد يكون حيا ،

---

(١) الأقنوم ـ بالضم ـ : الأصل . وهى كلمة رومية .

وتنقص قدرته ، حتى لا يقدر أن يحمل عشرة أرطال . وتزيد قوته ، حتى يقدر أن يحمل مائة رطل ، والحياة بحالها . فبطل أن تكون الحياة قدرة .

فإن قالوا: قد يقال: عالم وأعلم منه. ولا يقال: حى وأحيى منه. فبطل أن تكون الحياة علما .

قيل لهم: ما الفصل بينكم وبين من قال : قوىٌّ وأقوى منه ، وقادر وأقدر منه . ولا يقال: حى وأحيى منه . فبطل أن تكون الحياة قدرة .

فإن قالوا: قد يكون الإنسان حيا، ويبطل علمه أجمع . فيحال ما يغمّى عليه فبطل أن تكون حياته علما .

قيل لهم : وقد يجوز أن يغمى على الإنسان، فيئول الغمى إلى أن يعديه من جميع القدرة، أو أكثرها. وهو فى تلك الحالة حى. فبطل أن تكون الحياة قدرة .

فإن قالوا : لم تذهب القدرة بذهاب العلة، إلا بذهاب بعض الحياة .

قيل لهم : ما الفصل بينكم وبين من قال : لم يذهب العلم إلا بذهاب بعض الحياة . وهذا ما لا فصل فيه .

وكذلك يطالبون بأن يثبتوا أقنوما خامسا . وهو سمع للبارئ ، وأقنوما سادسا ، وهو بصر له، وسابعا، وهو عزة له ، وثامنا ، وهو عظمة .

وفى صفات الذات ، يطالبون بأن يجعلوها أقانيم . فإن أثبتوا السمع والبصر علما ، عورضوا بمثل ما عارضناهم آنفا ، من أن يجعلوا الحياة علما . ويقال لهم : إذا كانت الأقانيم جوهراً واحداً . وكان الأب جوهره جوهر الابن ، فلم كان أحد الجوهرين الخاصين ، بأن يكون أباً أولى منه، من أن يكون ابنا ، إذا كان

جوهراً لنفسه . وكان جوهره جوهر صاحبه . ولم يكن أحدهما سابقـا للآخر ، ولا أقدم ذاتا منه .

وإذا كان العلم من جوهر الحياة ، فـا جعله بأن يكون ابنا للبارىء ، أولى من الحياة . وإذا كان كل واحد من الجواهر من جوهر صاحبه. فما أنكرتم من أن يكون موافقا له ، وأن يكون أحدهما عِلما والآخر كذلك .

وإذا كان أحدهما قدرة ، والآخر قدرة ، إذا كان جوهرهما واحداً ، وكان أحدهما علما لنفسه ، والآخر قدرة لنفسها . ويقال لهم : لِم قلتم القديم قادر وعالم .

فإن قالوا : لأن من لم يكن عالما قادراً ، كان منقوصا جاهلا .

قيل لهم : فما أنكرتم من أن يكون الابن عالما قادرا . وكذلك الحياة مثل اعتلالكم . والأوجب للابن والحياة الجهل والنقص .

فإن أثبتوا الابن عالما قادرا . وكذلك الحياة .

قيل لهم: لم قلتم الأب فاعل، دون أن تثبتوا الابن فاعلة. فلا يجدون بدًّا مما طالبناهم به .

ويقال لهم : إذا قلتم: إن الأب والابن فاعل والقدرة فاعلة، فهم على وصفكم ثلاثة فاعلين . وهل يخلو فعل كل واحد منهم ، أن يكون هو فعل صاحبه وغير فعله .

فإن أثبتوا فعل كل واحد منهما ، غير فعل صاحبه .

قيل لهم : فما يؤمنكم أن تكون الأجسام كلها من فعل الابن، دون الأب أو من فعل القدرة ، دون الأقنومين الآخرين .

ويقال لهم : هل يقدر الابن ، إذا فعل الأب شيئاً أن يمنعه ، حتى لايقع ؟ وإذا أراد ابن مرادا أن يفعل الأب خلافه ، حتى لايتم مراد الابن أم لا ؟

فإن قالوا : لا أثبتوا ضعفه .

يقال لهم : ما أنكرتم إذا أثبتم الضعف لهما ، أو لأحدهما أن ينبت العجز لهما ، أو لأحدها . ولابد من الإجابة إلى ذلك . وإلا طُلبوا بالفصل .

وإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم : وإذا قلتم : عاجز قديم : فهل يخلو أن يكون عاجزاً لعينه ، أو لعجز قديم .

فإن أثبتوا عجزاً قديماً، نقضوا التثليث، وأثبتوا أقنوما رابعا . وهو العجز .

وقيل لهم : ما أنكرتم ، من أن يكون القديم جاهلا ، بجهل قديم، كما أثبتموه عاجزا بعجز قديم ، فلابد لهم من الإجابة إلى ذلك أو يأتوا بين ذلك بفرقان .

فإن أجابوا إلى ذلك، أثبتوا أقنوماً خامساً، وهو الجهل .

وإن زعموا أن القديم عاجز كما يعجز عنه لعينه .

قيل لهم : فما أنكرتم ، من أن يكون قادراً على مايقدرعليه لغيره ، لابقدرة. وهذا هدم للقول بالأقانيم ، وإبطال التثليث .

ويقال لهم : إذا قلتم : ثلاثة أقانيم ، جوهرواحد فقولوا : كل أقنوم منه إله .

فإن قالوا : لا .

قيل لهم : ولم منعتم من ذلك ، وجوهرها واحد ؟

ولم زعمتم أن الجوهر إله دون أن تقولوا : إن الجواهر الثلاثة ، هي ثلاثة آلهة ، إذا كان جوهرها واحداً .

وإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فثلاثة آلهة إله واحد .

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون ثلاثة أشياء شيئاً واحداً ، وأن يكون ثلاثة قادرين قادرا واحداً ، وثلاثة فاعلين فاعلا واحدا . فما الفرق بين ثلاثة أقانيم ، وثلاثة جواهر ، خواص جوهرها واحد ، وبين ثلاثة فاعلين فاعل واحد . فلا فرق في ذلك — تعالى الله — عن جميع ما قالوا علوا كبيراً .

* * *

الباب التاسع والثلاثون

فى الرد على من زعم من النصارى أن المسيح ابن الله عز وجل وتعالى عن ذلك .

زعمت فرقة من النصارى أن المسيح عيسى بن مريم ابن الله ، واعتلوا فقالوا: وجدنا من لا ابن له ناقصا . والذى له ابن أكمل ، فوجب أن نصفه بالصفة التى توجب الكمال والتفضيل .

يقال لهم : فقولوا : إن له عينين ويدين ، كمثل علتكم هذه .

ومن ذلك قالوا : إن الابن نطق ، والروح حياة . ومن ليس بناطق فهو أخرس . ومن لا روح له فهو ميت .

قيل لهم: فإن من ليس بفاعل فهو عاجز وتارك. ومحال منه الفعل فى ذلك. فقولوا: إنه لم يزل فاعلا أو تاركا ، لتنفوا عنه العجز، واستحالة وقوع الفعل. ومن لا يدَ له هى بعضه، فهو أشل. ومن لا عين له ، فهو أعمى. ومن لا ذكر له، فهو أنثى . وإن اعتلوا ، وادعوا أن الله تعالى سمى المسيح ابنا ، وسمى نفسه له أبا ، ووجدوا فيه أن المسيح قال : أذهب إلى أبى وأبيكم .

قيل لهم : فقال المسيح فى إنجيله : أذهب إلى أبى وأبيكم . فإن وجب بهذا القول أن يكون الله تعالى أبا له ، وأن يكون هو ابنا لله . فما أنكرتم أن يكون أبا لجميع من خاطبه ، وتكونوا أبناءه أيضا. فيجب على قولكم هذا أن يكون الله تعالى أبا للحواريين ، من أجل أن عيسى قال : أذهب إلى أبى وأبيكم . ولم لا

وجب أن يكون الله تعالى أبًا لموسى ـ عليه السلام ـ ولبنى إسرائيل ، ويكون إسرائيل ابنا لله تعالى ؛ لأنه تعالى قال : إسرائيل بكرى . وقد قيل لهم : أليس الأب له ابن ؟

فقالوا : نعم .

فقال : والابن لا ابن له .

فقالوا : كذلك هو .

قيل لهم : فكيف يكون له ابن، هو الذى لا ابن له؟ فكيف يجوز أن يكون الابن بغير إله .

ويقال لهم : إذا كنتم تعبـــدون المسيح ، والمسيح إله إنسان فقد عبدتم إنسانا ، ومن عبد إنسانا ، فقد كفر ، عندنا وعندكم .

ويقال لهم : هل يخلو المسيح ـ عليه السلام ـ من أن يكـون إنسانًا بكليته وكماله ، ومن جميع جهاته إنسانا ، ليس بإله ، أو أن يكون إلها بكليته وكماله، ومن جميع جهاته ، غير إنسان ، أو يكون إلها من جهة ، إنسانا من جميع جهاته. فإن أثبتوه إنسانا من جميع جهاته، وأثبتوه محدثا مخلوقا، وعبدًا مربوبا ، من جميع جهاته ، بطل أن يكون فيه شيء من الألوهية .

قيل لهم : إذا أثبتموه مخلوقا من جميع الجهات . فهلا أثبتموه ابنا ، على وجه من الوجوه .

فإن قالوا : إلا برضى النصرانية فقد قالوا بالحق .

وإن قالوا : نثبته ابنا على وجه ما قيل .

قيل لهم: على أى وجه تثبتونه ابنا ؟

فإن قالوا : على طريق المماسلة والموالدة . فقل لهم : إذا جاز على الإله ماذكرتموه ، لم لاجاز عليه الأكل والشرب ، والحركة والسكون ، وسائر مايجوز على الأجسام ؟

وإن قالوا : نثبته ابنا على أنه فضل من الله .

قيل لهم: فإذا أثبتموه مخلوقا من جميع الوجوه فما معنى قولكم فيه: إنه فضل من الله ؟

فإن رجعوا إلى حدوث معنى ؛ فينبغى لهم أن يثبتوا لسائر الأشياء المحدثات من البنوة والفضول ، ما للبارىء مايثبتونه للمسيح

وإن أثبتوا ابنا ، على أنه بعض للبارىء ، ويكون المحدث بعضا للقديم .

وإن كان بعض القديم محدثا ، فلم لا كان جميعه كذلك .

وإن أثبتوا المسيح بعضا للبارىء ، دون غيره من الأجسام .

فإن قالوا : لسنا نقول : إن المسيح إله بكليته و كماله من جميع جهاته .

قيل لهم : فإذا كان المسيح إنسانا محدودا طويلا عريضا مجتمعا ، يجوز عليه مايجوز على البشر، من أحوال البشرية ، يجرى عليه من طبائعهم الجسمية فما جعله بالآلهة، أولى من غير سائر الرسل ؟!

وإن قالوا: نقول : إن المسيح إله من وجه .

قيل لهم : ولم قلتم ذلك فى المسيح دون غيره . وما أنكرتم من أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ كان إنسانا إلها. وإذا جاز أن يكون المسيح إلها من وجه،

إنسانا من وجه . فما أنكرتم من أن يكون قديما ، لم يزل كائنا من وجه محدثاً، لم يكن ثم كان ، من وجه آخر .

فإن أجابوا إلى ذلك تناقض قولهم : إن مالم يكن ثم كان ، لم يزل كائنا موجودًا ، من وجه . ومالم يزل كائنا . ثم كان من وجه آخر .

ويقال لهم : إذا جاز أن يكون الشيء إنسانا من وجه، إلها من وجه،محدثا من وجه ، قديما من وجه . فما أنكرتم أن يكون الإله الذى دبر العالم إنسانا من وجه ، لم يكن ، ثم كان من وجه ، خالقا من وجه ، مخلوقا من وجه ، ربا من وجه ، مربوبا من وجه . فهذا عين التناقض . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الأربعون

فى الرد على النصارى

قولهم : إذا جاز أن يكون إبراهيم خليلا لله
فكذلك يجوز أن يكون عيسى ابن الله تعالى

إن سأل سائل فقال : أليس قد اتخذ الله إبراهيم خليلا ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : فلم لا يجوز أن يتخذ عيسى ابنًا ؟

قيل له : إنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لله ، كما أن الله خليل له . فلو كان قياس اتخاذ ابن قياس اتخاذ خليل ، لكان الله تعالى ابنا لعيسى ، كما أن عيسى ابن له. فلما بطل ذلك فى التبنى، بطل أن يكون قياسهما واحدا ؛ لأن الرجل ، قد يُخالّ أباه ، فيكون خليلا لأبيه . ولا يجوز أن يتبنى أباه، فيكون الابن أبًا لأبيه.

وأيضاً فإنا قد أطلقنا الُخلة لإبراهيم والنبوة فأطلقوا البنوة لعيسى صلى الله عليهم أجمعين .

* * *

الباب الحادى والأربعون

فى معنى ما قال الله تعالى فى عيسى بن من مريم ﷺ إنه روحه وكلمته ألقاها إلى مريم

فإن قيل : ما معنى تسمية الله لعيسى عليه السلام — روحا وكلمة ؟

قيل له : لما كانت الأرواح تحيا بها الأجساد . وكان كتاب الله عز وجل بيانا، يبين به للناس، ما يأتون ، وما يتركون. فإذا تبينوا بكلام الله ما يبين لهم، حيوا بذلك ، فى دينهم . كما قال الله تعالى : « أوَ مَن كان ميْتاً فأحييناه » وكان المسيح يبين للناس عن ربهم ، ما يأتون، وما يتقون . فإذا قبلوا ما يأتيهم ، حيوا فى دينهم، وانتفعوا فى آخرتهم . وصاروا إلى الحياة الدائمة — سماه الله تعالى روحا ، إذ كان يحيى به العباد فى دينهم ، إذا قبلوا منه ، وانتفعوا به كما ينتفعون بأرواحهم .

وعلى هذا المعنى ، سمى الله جبريل — عليه السلام — روحاً . وسمى القرآن روحاً .

وكذلك سماه كلمة ، إذ كان ينتفع به ، كما ينتفع بكلام الله عز وجل. فهذا معنى تسمية الله تعالى المسيح روحا وكلمة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والأربعون

فى التشبيه ومعانيه وبيان ذلك

قال الله تعالى : « فلا تضربوا لله الأمثال » .

قال الشيخ أبو الحسن البسيانى: التشبيه أن يشبه الله تعالى ببعض خلقه ، فيما يصفه به ، أنه تعـالى يبصر ببصر ، أو يسمع بسمع ، أو يعلم بعلم ، كالخلق . فذلك هو التشبيه .

قال المؤلف: وقد قالت المشبهة: إن الله تعالى خلق آدم على صورته، وكذبوا على الله رب العالمين .

* * *

الباب الثالث والأربعون

فى نفى التشبيه عن الله عز وجل

قال الله تعالى : « فلا تَضْرِبوا لِلهِ الأمثال » .

إن قال قائل: لم قلتم : إن الله تعالى لا يشبه الأشياء ، ولا تشبهه ؟

قيل له : لأنه لا يخلو من أن يشبهها من جميع الجهات أو بعضها .

فإن أشبهها من كل الجهات ، كان حكمه حكمها . وقد قدمنا ذلك .

وإن أشبهها من بعض الجهات، لكان مشبها لها، من حيث أشبهها. تعالى الله عن ذلك .

فإن قال قائل : فإذا علم العبد أن العالم محدَث، فكيف يعلم أنه لا يشبهه شيء منها ، ولا تشبهه ؟

قيل له : يعلم بما نشاهد من المحدثات فيما بيننا: أن كل صنعة لا تشبه صانعها ، كالكتابة لا تشبه الكاتب والبناء لا يشبه البانى. فإن علم ذلك استدل بما ظهر له من ذلك ، على ما غاب عنه . فعلم أن البارىء عز وجل ، لا تشبهه الأشياء ، ولا تشاكله . وقد قال الله تعالى : « ليس كمثله شيء » أى ليس هو كالأشياء تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب الرابع والأربعون
فى القول فى ذات البارىء
أشخص هو أم لا ؟
والرد على المشبهة

المراد بذات الله إثباته والإخبار عنه ، بأنه ليس كمثله شىء نفسه ذاته . وذاته إثباته لا غير ذلك ؛ لأنه تعالى ليس بذى جسم ، لأنه تعالى لو كان جسما من الأجسام، لكان طويلا عريضا عميقا ، لا يخلو من الحدود والنهاية والأعراض. فهذه صفة الجسم . ولولا ذلك لم يكن جسما ، وكانت جواهر .

ومن كان لا يخلو من الحركة والسكون ، والنهاية والحدود والمكان ، كان محدثا مخلوقا ، إذ لم يقدر على أن لا يكون محدوداً ذا نهاية وأقطار ومن الحركة والسكون والتأليف والأبعاض . جل الله عن ذلك وليس عز وجل بعرض، إذ العرض لايقوم بنفسه . وإنما يقوم بغيره . وهى الجواهر والأجسام . فليس خالق الأجسام بجسم ؛ لأن خالق الأجسام لو كان جسما لكنا نخلق من الأجسام تقديرا قويا. فلما استحال ذلك علمنا أن خالق الأجسام ليس بجسم . ولو كان خالق الأشياء جسما أو جثة ، لكان لا يخلو من أن يكون يقدر أن يزيد فى جسمه أو جثته ، أو لايقدر .

فإن كان يقدر على ذلك ، فقد تغير عما هو عليه . ومن جُلّه التغيير والزوال والزيادة والنقصان ، فهو محدَث ، مع أن زيادة الجسم فى العظم ، لابد لها من نهاية ، ومن كان ذا نهاية وبداية ، فهو مخلوق مقسور على تلك النهاية والحدود .

وإن كان لايقدر أن يزيد فى جسمه، أو جثته، فهو عاجز. والعاجز ليس بإله قدير، مع أن الهواء الذى تزيد فيه جثته، لا يخلو من أن يكون هو أم غيره. فإن كان غيره، فقد صح أن معه غيره، وبطل التوحيد. وإن كان هو فهذا هو المحال؛ إذ أحدث لله صفة لانعرف؛ لأن زيادة الجسم لا يكون ذلك إلا بقصى وهوى، ليزداد فيه الجسم.

فإن قيل: فكيف هو؟

قيل له: لا كيفية لله؛ لأن قولك: كيف إشارة منك إلى كأىّ شيء هو. والله تعالى ليس كمثله شيء. وكذلك أين هو سؤالٌ عن المكان. ولم يزل الله، ولا مكان له. ثم خلق المكان، فكان المكان، بعد أن لم يكن مكانا لهذه الأجسام.

فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون البارىء جسما لا كالأجسام.

قيل له: إن الأجسام المعقولة المسماة، مع أهل اللغة، أنه ما كان على هذه الصفة المعقولة معهم، فى الطول والعرض والعمق. وقولك: جسم لا كالأجسام، فقد نفيت عنه معنى الجسمية، وذكرت مالايعقل فى الشاهد، فيما بيننا. ومايعرف فى اللغة، كأنك قلت جسم، وليس بجسم. فهذا محال ونقض. ولو جاز أن يكون جسما لا كالأجسام، لجاز أن يكون إنسانا، لا كالناس، فى الجسمية، من الطول والعرض والعمق والتأليف والحركة والسكون. فلما فسد ذلك، فسدقولك: جسم لا كالأجسام.

وإن قلت : فهو جوهر .

قلنا : إن الجوهر متغير ، محيط به الهواء ، محتــاج إلى القرار والمكان ، متحرك أبدا . ومن كان بهذه الصفة ، فليس بإله عظيم ، على كل شيء قدير ؛ لأن الجوهر لم يخل من المكان والحدود ، وقبول الأعراض . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والأربعون

فى نفى جوارح الصورة عن الله تعالى

إن قائل قائل : لم نفيتم عن الله صفة الجوارح . وقد قال الله تعالى : « ويحذركم اللهُ نفسَه — ويبقى وجهُ ربك » ؟

وقال : لما خلقت بيديّ . والأرض جميعا قبضته يوم القيامة . والسموات مطويات بيمينه وعلى ما فرطت فى جنب الله . ويوم يكشف عن ساق . ونفخت فيه من روحى . هو قائم على كل نفس .

وقال: «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام »يوم القيامة، وغير ذلك من الآى .

الجواب:أن للقرآن تأويلا وتفسيرا. فمن تأوله على خطئه وهواه ضل . وذلك أنه إذا مرت بنا آية من هذه الآى . فأخبر تعالى بما يوجب شيئاً من ذلك،يؤمن به. وينزّه الله أن تكون له جارحة، أو جزء، أو بعض، أو شبه ، أو مثل . ويكل تأويل ذلك إلى الله . ويؤمن به . ويقول : لا يعلم تأويل ذلك إلا الله .

وقال بعض : إنا نعلم أن الله أنزل كتاباً ، بلغة العرب ، كما ورد من الآى والأخبار، ليس فيها مايخرج من لغة العرب. فلا بد مما يطلب معناها ، عما تقتضيه اللغة. فإن وجدنا لذلك اللفظ فى اللغة معانى، تجوز جميعها على الله تعالى ، وإثباته فى وصفه .ثم إنا نقطع بنفى مايوجب التشبيه والتمثيل والتعطيل، فى وصفه. ويجوز أن يكون فى معناها أحد مايجوز فى وصفه ، فيحمله على ذلك على سبيل التجويز والاحتمال ، لا على سبيل القطع واليقين . بل نقول : يحتمل أن يكون كذا وكذا ، مما هكذا .

وكذلك مايجوز إثباته ، ويقطع بأنه لا يكون معناه ، مايوجب تشبيها بخلقه ، أو إثبات عضو وبعض ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

وقيل : كل ماوصف الله تعالى به نفسه، مما له المعانى الكثيرة ، فأحقها به عز وجل ، ماوافق صفاته الذاتية . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والأربعون

فى النفس وتفسيرها

والرد على من قال : إن لله تعالى نفساً منفوسة

النفس فى لغة العرب : على معان مختلفة .

فمنها : ما يراد به النفس المنفوسة . وهو كقوله تعالى : « كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت » .

ومنها : ما يراد به التوكيد ، كقولهم : هذا الحق نفسه . ومنه قول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنى ظلمت نفسى ، أى إنى ظلمت لا غير ذلك .

والنفس : الرأى والإرادة. كقولهم: نفس فلان فى كذا وكذا ، أى إرادته فيه . وهو بين نفسين وإرادتين .

ومنه قول الكميت يذكر حماراً :

يذكر من أنى ومن أين شربه   يؤامر نفسيه كذا الهجمة الإبل

والنفس: الضمير وما فى قلب الإنسان .

والنفس : العين التى تصيب الإنسان .

والنفس : الدم . ومنه قولهم : نفست المرأة . وامرأة نفساء .

وأما النفس المنفوسة عن الله فمنفية ؛ لأنها لا تكون إلا للمخلوقين ؛ لأنهم بها يحيون ، وبها يموتون. والله تعالى لا يشبهه شىء من خلقه. تعالى الله عن ذلك .

وأما قوله تعالى: « ويحذركم الله نفسه » يريد عقوبته. وقوله: « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » يقول: تعلم غيبي ولا أعلم غيبك. ويجوز تعلم ما عندي، ولا أعلم ما عندك، إلا ما علمتني من أمرك وحكمك. والعند هاهنا الحكم. يقول القائل: هذا ما عندي، يريد هذا في حكمي. ويجوز أن يقول: هكذا في علمي.

وقيل في قوله تعالى: « ويحذركم الله نفسه ». أي يحذركم إياه أن يعاقبكم إن عصيتموه. وقوله تعالى: « كتب ربكم على نفسه الرحمة ». أي على ذاته لا على شيء سواه. ومنه قوله تعالى: « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » أي لذاتكم، ولكم لا لغيركم.

والنفس: القوة. تقول العرب، ما له نفس، أي قوة. وبالله التوفيق.

* * *

الباب السابع والأربعون

فى الروح وتفسيرها

ونفى الروح المنقولة عن الله تعالى

والرد على من يثبت لله تعالى روحاً

الروح : النفس . يقال : خرجت روح فلان ، أى نفسه .

والروح : جبريل ـ عليه السلام ـ قال الله تعالى : « نزل به الروح الأمين ». يعنى جبريل .

والروح : ملك عظيم يقوم يوم القيامة وحــده صفا . قال الله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائــكة صفا » وقال تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » والروح : النفخ ، سمى روحا ، لأنه يخرج من الروح وقال ذو الرمة ، يذكر نارا اقتدحها :

فقلت له : ارفعها إليك وأحيها   بروحك واقتيه لها قتية قدرا

أى أحيها بنفخك .

وسمى المسيح روح الله ، لأنه نفخة جبريل ـ عليه السلام . فى ذرع مريم ـ عليها السلام .

ونسب الروح إلى الله ؛ لأنه كان بأمره . ويجوز أن يكون سمى روح الله ؛ لأن بكلمته كان . قال الله تعالى له : كن فــكان .

وكلام الله : روح ، لأنه حياة الجاهل ، وموت الــكافر .

ورحمة الله روح . قال الله تعالى : « وأيّده برُوح منه » أى رحمة . ومن قرأ بروح وريحان ، بضم الراء . فقال: رحمة ، ورزقا. قال أبو عبيدة : فروح وريحان ، أى حياة وبقاء لا موت فيه .

ومن قرأ روح بفتح الراء ، أراد الرحمة وطيب النسيم .

وقد تكون الروح : الرحمة . قال الله تعالى: « ولا تيأسوا من رَوح الله » أى من رحمة الله . سماها روحاً ، لأن الروح والراحة يكونان بها .

قال المؤلف : وسمى الله تعالى عيسى روحاً ، أى كأنه حياة من الله لقومه من الهلاك . وهذا مجاز بأن الله تعالى ، جعل النجاة من النار حياة . والهلاك فيها موتا . فكان إرسال الله تعالى عيسى إلى قومه حياة لهم . وإنما هذا اختصاص من الله، اختصه به . وكلمته ألقاها إلى مريم. والكلمة من الله، بأن قال له : كن فكان فعيسى خلق من خلق الله . قال له : كن فكان ، وروح منه أى وحياة لقومه من الهلاك . والله أعلم . وبه التوفيق .

* * *

الباب الثامن والأربعون

فى العين وتفسيرها

والرد على من زعم أن لله عيناً كالأعين للمقولة تعالى الله عن ذلك

العين فى كلام العرب : على معان مختلفة ، كتبت شيئا للحاجة إليه .

فمنها : ما يراد به الجارحة التى فى الرأس .

ومنها : ما يراد به الحفظ والمشاهدة .

ومنها : مايراد به الدلالة .

ومنها : مايراد به العقوبة .

ومنها : مايراد به الجودة .

ومنها : مايراد به الجاسوس .

فأما العين التى يراد بها الجارحة ، المركبة فى الرأس المصورة ، فهى عن الله منفية ، من قبل أن كل جارحة محدودة . والله تعالى ، ليس بمحدود ، ولا مختلف بعضه عن بعض ؛ إذ لاأبعاض له فيختلف . ولامتغاير ؛ إذ لاجسم له . ولامؤتلف ؛ إذ لاأبعاض له فيأتلف .

وإنما البارىء إله ، لا إله سواه ، قدير لابقدرة هى غيره ، عالم لا بعلم هو غيره ، سميع لا بسمع هو غيره بصير لا ببصر هو غيره . وكل ذلك ليس قديرا بقدرة ولا عليما بعلم ، ولا سميعاً بسمع .

وإنما البارىء قدير بنفسه ، عالم بنفسه ، لابشىء سواه . فنفسه :ذاته . وذاته : إثباته . فهذه صفة من ليس كمثله شىء .

وأما العين التي يراد بها الحفظ ، كقولهم : أنت بعين الله،أي أنت في حفظ الله أي ليس تخفى على الله .

وأما مايراد به العقوبة ، فقولهم : أصابتك عين من عيون الله ، أي عقوبة ، ونقمة من نقماته .

وأما مايراد به الدلالة ، فقولهم : هذا عين العدو ، وعين الخليفة . يريدون بالعين ــ هاهنا ــ الإنسان نفسه .

وأما مايراد به الجودة . فقولهم : هذا عين مالنا وغنمنا ، وعين السوق ، أي خير شيء في سوقنا ، وخير مالنا وغنمنا .

وأما قول الله تعالى : « ولِتُصنع على عينى » أي بعلمى وحفظى . وقوله : « تجرى بأعيننا » : أي بحفظنا وعلمنا ، حيث لا يخفى علينا . وفى العين أكثر من هذا . ولكننا اختصرنا هذا .

* * *

القول التاسع والأربعون

فى الوجه وتفسيره

والرد على من قال : إن لله وجها حقيقيا ـ تعالى الله عن ذلك

الوجه ـ فى لغة العرب ـ : على معان كثيرة: أحدها أن يراد به الشيء نفسه. كقولك : هذا وجه الأمر ، ووجه الرأى ، ووجه القوم والمتاع إذا أخبرت عن الشيء بعينه . وإنى لأكره أن أرد وجهك ، أى أردك ، لا أنه عنى بوجهه ، دون جسده .

وتقول: كيف وجه العمل فى هذا الأمر؟ أى كيف السبيل إلى التوصل إليه.

ويقال : ما أعرض وجه فلان . ولفلان وجه فى شرفه ، يراد به الانبساط فى تجارته ، والقدر عند قومه .

ويقال : فلان من وجوه قومه ، أى من عظمائهم .

والوجه : هو الوجه الذى فى الرأس . وكل هذه المعانى عن الله منفية ، إلا الذى يقال : إن وجه الشيء هو الشيء .

وأما البارىء عز وجل ، عز أن يكون ذا وجه ، كالوجوه التى فى الرأس ؛ لأن ذلك لا يكون إلا فى الأجسام والصور . والله تعالى ليس بجسم ولا صورة ، لأنه يقول : « هو الله الخالق البارىء المصور » والحكيم لا يحتج على خلقه بالمعنى الذى هم عليه به ، فيكون مثلهم ـ تعالى الله عن ذلك .

وقوله تعالى : « إنما نطعمكم لوجه الله » أى لطلب ثواب الله .

وقيل: لطلب رضى الله . وقوله : « فثَم وجهُ الله » أى فثم الله « ويبقى وجه ربك » أى ويبقى ربُّك ، لأنه تعالى يفنى سائره إلا وجهه ـ تعالى الله عن ذلك.

وقوله : « كل شيء هالك إلا وجهه » أى إلا هو . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخمسون

فى نفى السمع المقول عن الله عز وجل

السمع: العلم، كقولك للرجل الذى قد سمع كلام زيد. تقول له: اسمع مايقول، بمعنى اعلم مايقول زيد. وتيقنه وتثبت ذلك. والسمع الذى من الآدميين: صوت يطرق عصبتى الأذن، فيتأدى ذلك الصوت إلى القلب. فذلك عن الله منفى؛ إذ البارىء — عز وجل — ليس بصورة، يحتاج إلى ماوصفناه، لضعف جسمه وامتهانة نفسه، إذ لا يقدر على شىء إلا مادبره مدبر، فهو على مايدبره به، من تدبير مدبره، الذى هو غيره. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

وإنما قال الله تعالى: « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » يعنى العليم. والسمع والبصر من البارىء — ها هنا — من العلم والسمع. والبصر من البارىء، يوصف بذلك من صفات ذاته عز وجل، لم يزل سميعا بذاتــه، ولم يزل بصيرًا بذاته، لا بشىء سواه. والله تعالى يجل عن ذلك وبه التوفيق.

* * *

الباب الحادى والخمسون

فى البصر وتفسيره

والرد على من قال : إن لله بصرا كالمخلوقين ــ تعالى الله عن ذلك

البصر على معان : منه العلم ، كقولك للرجل الذى قد سمعت أنت وهو ، من زيد كلاماً . فقلت لصاحبك : أبصر وانظر مايقول زيد .

المعنى : إنك اعلم . وليس هنالك شىء يبصر بعين ؛ لأنه كلام عرض ، قد نطق به فخرج وذهب وإنما يعنى اعلم وتبين ، ما يقول زيد فى كلامه .

والبصر : هو النظر بعينه وذلك عن الله منفى ، لأن ذلك لا يكـون إلا المخلوقين ، لأن الذى يسمع بسمع ، ويبصر ببصر محتاج . والمحتاج فقير ، والفقير ليس بإله قدير ــ تعالى الله ، وجل عن ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والخمسون.

فى النظر إلى البارىء وتفسيره

والرد على من أضافه إلى الله تعالى وحققه عليه

النظر فى كلام العرب على معان كثيرة : منها : نظر على وجه الانتظار .

ومنها على وجه الاتكال .

ومنها على وجه الاختيار .

ومنها على وجه الحكم .

ومنها على وجه التثبيت .

ومنها على وجه الصلة والعائدة والرحمة .

ومنها على ماهو علم ، ونظر جهرة .

فما هو على وجه الانتظار ، كقولك : ما أنظر إلا إلى فلان . ولعل فلانا عنه غائب . وإنما يعنى مايكون من الآية. والنظر على وجه التوكل، كقولك : إنما أنظر إلى مايرزقنى الله من فضله . وكذلك على مايجرى من ذلك،على يديك لى.

ونظر الاختيار ، كقولك : اللهم انظر لى ، أى اختر لى .

والذى على وجه الحكم ، كقولك : انظر بيننا ، أى احكم بيننا .

والذى على وجه التثبيت ، كقولك لآخر : انظر مايقول فلان، أى تثبّت .

ونظر العلم ، كقولك : انظر إلى قول زيد ، أى اعلم ذلك .

وكذلك قول الله تعالى : « انظر كيف فضّلْنا بعضَهم على بعض » « وانظر كيف ضربوا لك الأمثال » ونحو ذلك . معناه : اعلم ذلك .

وأما نظر الجهرة ، فهو معاينة الشيء ورؤيته ، والإدراك له ، والإحاطة به . وذلك عن الله منفى ـ تعالىٰ الله عن ذلك ، إذ البارىء ليس بجسم محدود ، ولاجوهر محدود ، ولا ذى شخص محدود ، ليقع عليه النظر . ولا له تعالى كيفية ، ليقع النظر على تلك الـكيفية ؛ لأن الأبصار لا تدرك إلا مايشبهها ، فى الـكيفية والحدود . والبارئ ليس كمثله شيء . وأبصار المخلوقين لاتقع إلا على محدود ، تحيط به أبصارهم ، وتدركه . والبارىء جل وعلا يقول : « لا تدركه الأبصار وهو يدركُ الأبصار » كما قال الله تعالى ، بأنه يطعم ولا يطعم .

فإن كانت الأبصار تدركه فى الآخرة ، فهو أيضا يطعَم فى الآخرة ؛ لأن مدائح الله لاتزول فى الدنيا ولا فى الآخرة . ومن قال : إنه فى الآخرة يكون مثله شيء . وإنما قوله : ليس كمثله شيء فى الدنيا خاصة ، فهذا منكر من القول وزور ، تعالى الله عنه علوا كبيراً . فقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة » من النضارة وهو الحسن والـكمال . وهو بالضاد « إلى ربها ناظرة » وهو بالظـاء ، أى منتظرة إلى ثواب ربها . كما تقول : إنى لأنظر إلى ما يأتينى من فلان . وليس ثم نظر بعين . إنما يعنى : إنى لمنتظر لمـا يأتينى من فلان .

وقول الله تعالى : « وجوه » يعنى أنفس وأجسام ، لا يعنى بالوجه الذى فى الرأس ألا ترى إلى قوله تعالى : « وجوهٌ يومَئـذٍ باسرة » يعني بالـكفرة الفجرة .

فنظر أهل الجنة إلى ربهم ، إنما هو انتظارهم إلى رزقه ، وإكرامه وخيره . وقولهم : إنهم ينظرون البارىء يوم القيامة ، أو فى الجنة فـكذب . تعالى الله عن

قولهم ؛ لأنه لايخلو من أن يكون ينظرونه بكليته ، لا يخفى عليهم منه شيء فقط، أو يكونوا ينظرون بعضه دون بعض .

فإن كانوا ينظرونه كله ، لايخفى عليهم منه شيء . فقد أحاطوا به . والمحاط به صغير ، والمحيط به أكبر منه ، تعالى الله عن ذلك .وأن يكون يخفى عليهم منه شيء . فالذى خفى غير الذى لم يخف . وهذه صفة المتغاير المختلف المتبعض ، تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب الثالث والخمسون

فى اليد وتفسيرها

والرد على من زعم من المشبهة أن لله يدامعقولة تعالى الله عن ذلك

اليد فى لغة العرب : على معان كثيرة . منها : مايراد به الشىء نفسه .

ومنها الملك والقدرة .

ومنها : العطية والمنة .

فالذى يراد به الشىء نفسه، كقول الله تعالى :« لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ» أى لما خلقت أنا ، دون غيرى والبد ـ هاهنا ـ : صلة، كقوله تعالى:« ذلك بما قدمتْ يداك » أى قدمت أنت أيها العبد . واليد صلة .

وكذلك قوله تعالى : « أو لم يروا أنَّا خَلَقْنا لهم مما عَمِلَتْ أيدينا أنعاما » أى ماخلقنا نحن .

وأما اليد التى يراد بها الملك ، فكقولك : الملك فى يد فلان ، يريد أن فلانا لذلك مالك ، وله قاهر ، وعليه قادر .

واليد التى يراد بها العطية والمنة ، كقولك : إن لى عندك يدًا . يعنى العطية والمنة . وتصديق ذلك قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » يعنى منة الله فوق منتهم .

واليد أيضا : النعمة السابغة . وهى الأيادى . وقــوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان » أى نعمتاه : نعمة الدنيا ، ونعمة الدين .

وقيل : نعمته وقدرته دائمتان ، لا يقبضهما شىء . وقوله تعالى لداود : « ذا الأيدى » أى ذو القوة .

وأما اليد المركبة فى الجسد ، فهى عن الله منفية ، لأنها جارحة من جوارح الجسد، المتبعض أبعاضا متألفة إلى بعضها البعض ـ تعالى الله عن هذه الصفة ، وجل وعلا علوا كبيراً .

* * *

الباب الرابع والخمسون
فى اليمين وتفسيرها
والرد على من أثبت لله تعالى يمينا معقولة

اليمين فى لغة العرب ، على معان .

فمنها : مايراد به الشىء نفسه .

ومنها : القدرة .

ومنها : الرفعة .

ومنها : الحلف .

ومنها : القوة .

فأما مايراد به الشىء نفسه ، فكقولك : هذا ملك يمينى ، يعنى هذا ملكى.

وأما مايراد به القدرة ، فقوله تعالى : « والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه » .

وأما مايراد بها القوة، فقوله تعالى :« لأخذْنا منه باليمين» أى بقوة منا عليه.

وأما مايراد به الرفعة ، فقولهم : فلان عندنا باليمين ، يعنون بالمنزلة الرفيعة .

وأما مايراد به الحلف ، فقوله تعالى : « لا يؤاخذُكم اللهُ باللغو فى أيمانكم .

وأما ما يراد بها الجارحة،فهى عن الله منفية،إنما تكون الجارحة للأجساد المتبعضة ، المتألف أبعاضها ، بعضا إلى بعض ــ تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب الخامس والخمسون

فى القبضة وتفسيرها

والرد على من أضافها إلى الله ـ عز وجل

القبضة فى كلام العرب ، على معان :

منها : مايراد به الملك والقدرة. تقول : ما فلان إلا فى قبضتى ، أى فى ملكى وقدرتى وتقول : فلان قبض الدار ، يعنى ملكها ، وصارت له . وقبض المال ، وقبض البلد ، يعنى ملكها ، لا أنه قبض على البلد ذات الفراسخ الواسعة بيده .

ومنها : ما يراد به إفناء الشيء ، كقولك : قد قبضه الله إليه ، يعنى أفناه الله . فقوله عز وجل : « والأرضُ جميعاً قبضتُه يومَ القيامة » يعنى فى قدرته .

والقبضة : ملك الله وقدرته . قال الشيخ أبو الحسن البسيانى ، فى قوله تعالى: « والسموات مطوياتٌ بيمينه » أى ذاهبات فانيات بقدرته « والأرضُ جميعاً قبضتُه » يعنى فى قدرته .

قال : واليمين : ملكه .

واليمين : قدرته .

واليمين : منفقه .

والقبضة : ملكه أيضاً وقدرته .

قال : لا نصفه كالخلق ؛ لأنه قد نفى عن نفسه شبه المخلوقين . وقد قال الله تعالى : « فلا تضربوا لله الأمثال » .

قال : هو لا تضربوا لله الأشباه .

وقوله تعالى : « يقبض ويبسط » أى يقتر ويوسع . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والخمسون

فى الأصابع وتفسيرها

ونفيها عن الله عز وجل

الأصابع فى لغة العرب : على معان :

منها : القدرة ، كقولك : ما فلان إلا فى خنصرى وبين أصابعى ، يعنى به تثبيت القدرة على فلان ، أى أنا عليه قادر ، وأنا له قاهر . وليس يريد أن الخنصر قد حوته ، وقبضت عليه . ولعل فــلانا يكون أعظم منه جسما ، وأشد بطشا . ولـكن المراد بذلك ، تثبيت القدرة عليه .

ومنها : القبضة بالأصابع . فتلك عن الله منفية . وقد قدمنا ذلك .

وأما ما رووا فى آثار قومنا : أن قلب ابن آدم بين أصبعى الله ، يميله كيف شاء . وفى نسخة : يقلبه كيف شاء . فإن كان الحديث حقا ، فمعناه عندنا : أنه مثّل لهم قدرته ، بأوضح ما يعرفون من أنفسهم ؛ لأن الرجل منهم لا يكون على شىء أقدر منه ، إذا كان بين أصبعيه . ألا ترى إلى قولهم : ما فلان إلا فى يدى ، أو فى خنصرى . يريدون تثبيت القدرة عليــه ، كما قدمنا الـكلام فى ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والخمسون

فى الجنب وتفسيره
ونفى الجنب المعقول عن الله ـ عز وجل

الجنب على معان . تقول العرب : إنما احتمل الأذى فى جنب فـلان ، أى فى رضاه ومحبته .

ويقال : ما صنعت فى جنب هذه القصة شيئا ، يريدون أنك لم تصنـع شيئا . والقصة لا جنب لها ؛ إذ ليست بجسد .

وقوله تعالى : « ياحسرتا على مافرطتُ فى جنب الله »أى فى أمره وطاعته .

وعن مجاهد . قال : « فى جنب الله » أى فى أمر الله .

وأما الجنب الذى هو الجسد ، فمنفى عن الله تعالى ؛ إذ ليس البارىء جسما . وقد بينا فساد ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والخمسون

فى الساق وتفسيرها

ونفى الساق المقولة عن الله ـ عز وجل

الساق فى لغة العرب ، لها معان . قال الله تعالى : « يومَ يكشف عن ساقٍ » والمعنى : عن شدة يوم القيامة .

وقال ابن عباس : عن الأمر الشديد . وأنشد :

قد قامت الحرب على ساق

وقال الحسن : عن ساق الآخرة . وهو الستر بين الدنيا والآخرة .

ويقال : كشفت الحرب عن ساق : إذا اشتد أمرها . قال قيس بن زهير :

إذا شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسأم

وتقول العرب للرجل ، إذا وقع فى أمر عظيم ، يحتاج فيه إلى جد وجهد ، ومقاساة الشدة : شمر عن ساقه . فاستعير كشف الساق ، عن موضع الشدة ، لا أنه يرفع ثوبه ، ويكشف عن ساقه. فلو كان الكشف للساق إلا لمعنى واحد، ماذكرت هذه الأقاويل . ولكن البارىءُ أنزل كتابه بلغة العرب ، وخاطبهم بما يتعارفونه فى لغتهم ، من الكشف عن الشدة . فقال لهم الله تعالى:« يومَ يكشف عن ساقٍ» يعنى عن شدة يوم القيامة وأهوالها ، كما أخبر عنها ـ عز وجل ـ فقال : « يومَ ترونها تَذهل كلُّ مرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وتَرى الناسَ سُكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد » نخوف الله تعالى عباده .

فقال : « يوم يكشف عن ساق » عن شدة أهوال يوم القيامة . وعظم أمرها ، لا أنه تعالى قاعد لهم على كرسي القضاء كما زعموا ، فينكروه ، ويكادوا يباطشونه ، فيكشف لهم عن ساقه ، فيعرفونه عند ذلك . فهذه خرافات ، لا يتحققها ذو عقل ويصدقها . نعوذ بالله من الضلال ؛ لأنه إذا جلس على الكرسي فقد صار الكرسي أقوى منه ؛ لأنه له حامل . وقد صار الهواء أكبر منه ؛ لأنه له حاو . نعوذ بالله من الحيرة . وتعالى ربنا وجل عن ذلك .

* * *

الباب التاسع والخمسون

فى القَدم وتفسيرها

ونفى القدم المعقولة عن الله ــ عز وجل

زعم أهل الجهل أن البارىء تعالى له قدم ، وأن جهنم لا تمتلىء من سكانها حتى يضع فيها قدمه ، فتقول: قط قط، فتمتلىء حينئذ وتنزوى. وهذا كلام لا يلتفت إليه أحد لاستحالته ؛ لأن القدم متناهية ، لها حدود ونهاية . وقد أحاطت جهنم بزعمهم ، فقد صار معبودهم متناهيا ، محيطا به الهواء ، إذا كان قدمه ، قد أحاطت به جهنم . فـكليته قد أحاط به الهواء إذاً .

فهل يستطيع أن يزيد فى خلقه أم لا ؟

فإن قالوا: نعم ، فقد حلته الحوادث فى الزيادة والنقصان . ومن حلته الحوادث فمحدث .

وإن قالوا : لا يستطيع ، فقد لحقه العجز . والعاجز ليس بإله قدير . نعوذ بالله من الحيرة والخذلان .

* * *

الباب الستون

فى ذكر القيام ونفى الانتصاب على الأقدام عن الله ـ عز وجل

زعم أهل الجهل أن الله تعالى يقوم على أرجل له وأقدام ؛ لقوله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » وقوله تعالى: « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » أفليس يعلم أهل اللب والعقل ، أن القائم القيام المعقول ، الذى هو الانتصاب على القدم ، قد احتاج إلى مايقوم به . وعليه فلا يخلو من ذلك . والمحتاج فقير . والفقير ليس بإله غنىٍّ عن العالمين ؟

وإنما معنى قول الله عز وجل : « الحى القيوم » الحىُّ الدائم البقاء لا تغيره الأحوال . ولا يجرى عليه الزمان .

والقيوم : هو القائم بتدبير الخلق ، فى إنشائهم وأرزاقهم وأمورهم . يعز من يشاء ، ويذل من يشاء . ويغنى من يشاء ، ويفقر من يشاء ؛ ويعافى من يشاء ، ويمرض من يشاء ويحيى من يشاء ، ويميت من يشاء. ويوجد من يشاء من العدم. ويعدم من يشاء بعد الوجود ؛ إذ كل يوم هو فى شأن ـ كما قال ـ : « كلَّ يوم هو فى شأن » . وقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » يعنى بالمقام الذى ، أضافه إلى نفسه ، من جهة الملك ؛ فإنه لامالك لذلك المقام غيره ؛ لقوله تعالى : مَلِكِ يوم الدين » . وقوله : « لمن الملكُ اليومَ لله الواحد القهار » .

ويقال : معنى القيام : أن من خاف ذلك المقام ، الذى يقوم فيه بين يدى الله يوم القيامة .

وقيل بالمقام : عظمة الله . إن لمن خاف عظمة ربه جنتان لا أنه مقام ، وانتصاب على أقدام . تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب الحادى والستون

فى نفى الـكلام المعقول عن الله تعالى

زعم أهل الخلاف للمسلمين أن الله تعالى متكلم ، وأن كلامه فعله ، وخلق من خلقه ، وأنه خلق كلاماً ، به تكلم بالـكلام المعقول .

وحجتهم : قول الله تعالى : « إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » فقالوا : إنه يقول للأشياء : كونى بالـكلام المعقول — تعالى الله عن ذلك . إنما يلفظ بالـكلام المعقول ، من كان ذا لسان وشفتين ، وقلب وجوف والبارىء — عز وجل — غنى عن ذلك ؛ لأنه لا يحتاج إلى لسان وشفتين ، وقلب وجوف ؛ لأن المحتاج ليس بإله عظيم ، على كل شىء قدير . ولو خلق كلاما ، به تكلم ، وأنه يكوّن الأشياء بقوله: كونى. وكان قوله : كن مخلوقا ، لـكان يحتاج إلى قول آخر . وكل قول يحتـاج إلى قول آخر ؛ لأن كل قول بقول ، وقول بقول فاسد ؛ إذ لايتناهى ، ولايوقف عنده .

وإنما البارىء — عز وجل — إذا أراد شيئا كان ، لاغير ذلك. ولا يقول له: كن فيكون بقول ؛ إذ ليس هنالك كلام من البارىء . وإنمـا أخبر الله تعالى ، عن سرعة كون المراد ، إذا شاء كونه ، لا أنه يقول له ، بقول : كن ، فيكون بقول — تعالى الله عن ذلك .

وقولهم: إنه خلق كن فـكوّن بها الأشياء فباطل؛ لأنه تعالى، لو خلق كن، لخلقها بكن . وكن بكن ، وكن بكن لايتناهى . فلما فسد ذلك، دل أن الله تعالى. لم يخلق كن ، بها كون الأشياء — تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب الثانى والستون

فى الضحك وتفسيره
ونفى الضحك المعقول عن الله ـ عز وجل وعلا

قال المؤلف: زعم أهل الجهل : أن الله تعالى يضحك لهم يوم القيامة حتى تبدو نواجذه . فوصفوا الله تعالى بأقبح الصفات ، بالجسم والجوارح والآلات ؛ لأن الذى يضحك الضحك المعقول ، الذى نعرفه من العباد . الإيضاح والإشراق والانفتاح للفم ، وظهور الأضراس من بين الشفتين . وذلك عن الله منفى ، لأن إشراق الوجه واللون وإيضاحه ، وانفتاح الفم ، وظهور الأضراس من بين الشفتين ، لا يكون ذلك إلا للأجسام المحدودة . وقد بينا فساد ذلك ، فى مقدم الكتاب ، من أن الله تعالى ، ليس بجسم . بل الضحك من الله للعباد يوم القيامة: أن يلقى المؤمنين بارئهم ـ عز وجل ـ بالبشرى والسرور فإذا لقّاهم الله تعالى نضرة وسرورًا ، كما قال الله تعالى وإذا لقوا الله تعالى بنائل منه وبشرى ، ضحكوا واستبشروا لذلك ؛ كما قال الشيخ أحمد بن النضر العمانى ـ رحمه الله .

وقولهم لله : يضحك للذى أطاع له ، يوم الحساب من الأمم . وذلك أن يلقاه منه بنائل ، وبسطة جود ، ليس من بعدها عدم .

* * *

الباب الثالث والستون

فى القوة وتفسيرها

ونفى القوة المعقولة العرضية عن الله رب العالمين

زعم أهل الجهل والضلال : أن الله تعالى قوى ، وأن قوته كالقوى المعقولة فيما بيننا العرضية ، إلا أنه شديد القوة . وكذبوا على الله تعالى؛ لأن القوى العرضية، إنما تحل الأجسام . وأما البارىء عز وجل،فيوصف بأنه قوى على الحقيقة ،يريدون بذلك ، أنه قادر ؛ لأن القوة تنصرف على وجوه : القوة:القدرة . والقوة: الملكة. والقوة : العدد . والقوة : السلاح ؛ لأن القوة لا تحتمل إلا القوة العرضية التى تحل الأجسام . فتلك عن الله منفية ؛ لأنه عز وجل ليس بجسم ، فتحل فيه الحوادث ، وتطرأ عليه الأعراض الطارئة ـ تعالى الله عز وجل عن ذلك .

* * *

الباب الرابع والستون

فى النور وتفسيره

ونفى النور المعقول عن الله تعالى

زعم المفترين على الله : أن الله تعالى نور من الأنوار ، وجسم من الأجسام النورانية . وذلك لايكون إلا للأجسام المحدودة ، القابلة للأعراض الطارئة ـ تعالى الله عن ذلك . ولـكن البارى، قال : « الله نور السموات والأرض » إنه الهادى يهدى من فى السموات والأرض ؛ لأن الهدى والحـق نور . والضلال والباطل والظلم : ظلمات ؛ لأن النور ما كان إلا ضوءًا مستنيرا والله تعالى سمى القرآن نورا ، والحق نورا ، والإيمان نورا ، والتوراة نورًا .

وإنما سمى الله تعالى نفسه نورا ، على المجاز دون الحقيقة ، بل توسعا ومجازًا ، إذ كان النور محدثا وعرضاً . والله تعالى لا يشبه المحدثات والأعراض ، بل ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير .

* * *

الباب الخامس والستون

فى الأمكنة والنواحى والأقطار

ونفيها عن الله ـ عز وجل

قال المؤلف : زعمت المشبهة أن الله تعالى فوق العرش على سبيل الاستقرار والجلوس ، وأنه ينزل ليلة النصف من شعبان ، إلى سماء الدنيا ، كذبا على بارىء الملا ـ تعالى عن ذلك علوا كبيراً ؛ لأن الذى يكون فوق العرش ، العرش أقوى منه وأقدر ، لأنه له حامل . والحامل أقوى من المحمول .

وكذلك الذى يكون فى السماء ، فالسماء أقوى منه ؛ لأنهـا حاملة له وحاوية له ، لأقطاره وتناهى أشخاصه .

وإنمـا قال البارىء : « أأمنتم مَن فى السماء » إنه تعالى فيها ليس بشخص . وإنما هو ومدبرها وحافظها ؛ إذ هو خالقها .

وقيل فى تفسير هـذه الآية : أأمنتم عقوبة من فى السماء حافظ مدبر رازق خالق ، عالم سركم وجهركم . ولو كان فى السماء حالا ، على الحقيقة ، أو قاعدا على العرش ، على الحقيقة ، ما قال تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » وإنما معهم ، على العلم بهم ، والقدرة عليهم والإحاطة بهـم ، والتولى لتـدبيرهم وحفظهم . لا يغيبون عنه ، لا أنه معهم جثة وشخص ـ تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب السادس والستون

فى الزوال والمجىء المعقولين ونفيهما عن الله ـ عز وجل

قال المؤلف : زعمت المشبهة أن الله تعالى ذو زوال وانتقال ، من مكان إلى مكان . فوصفوا الله تعالى بأقبح الصفات؛لأنه تعالى إذا زال من مكان إلىمكان، فقد خلا منه ذلك المكان ، الذى زال منه ، وانتقل إلى غيره . ومن خلا من مكان ، وشغل بآخر ، فهو محدود ، له نهاية وحدود ، وانقطاع شخص ، لتناهيه . ومن كان كذلك ، كان الهواء أكبر منه ؛لإحاطته وتناهيه ، وحدوده وصغره ، فى جنب كبر الهواء وسعته ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

وإنما معنى قول الله تعالى:« وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا »أى جاء أمر ربك.

وقوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » يعني هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله ، فى ظلل من الغمام ؛ لأن أمر الله إنما تنزل به الملائكة ، كما قال الله تعالى : « ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم » ليس أنه تعالى جاء به بذاته ، فوضعه بين أيديهم . ولكنه تعالى أرسل الكتاب إليهم ، على يدى رسل من الملائكة والأنبياء ـ عليهم السلام .

* * *

الباب السابع والستون

فى الحجاب وتفسير ذلك

ونفيه عن الله عز وجل

قال المؤلف : زعمت المشبهة أن الله تعالى يتجلى لهم يوم القيامة ، فيرونه — تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ؛ لأن التجلى على وجهين فنفسه : ظهور الشيء . والشيء قد يظهر بوجهين ، فيظهر جهرة ، ويظهر بدلالة . ألا ترى إلى قول القائل: قد تجلى لى هذا الشيء . وقد يكون ذلك الشيء ليس بشخص .

والذى يتجلى جهرة ، لايكون إلا جسماً أو شخصاً من الأشخاص ، إذ الأبصار لاتدرك إلا ذلك .

والتجلى من الخالق لايكون إلا بالدلالات والبينات ؛ إذ ليس بجسم ولا عرض .

ومعنى قول الله تعالى: « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » أى تجلى للجبل، آية من آيات الله . وقيل : علامة من علامات يوم القيامة ، فلم يطق الجبل حمل تلك الآية ، فصار دكا .

وقيل : إن الجبل ساخ فى الأرض .

وقيل : تجلى للجبل جبريل — عليه السلام — فظن الجبل أن القيامة قد قامت، فصار دكا . والبارىء — عز وجل — ليس بشخص محتجب بحجب ساترة ، فيتجلى منها ، ويظهر بعد ستره . وإنما حجب البارىء العباد عن رؤيته هو ، لا أنه تعالى

محتجب عنهم . ولو كان ـ عز وجل ـ محتجباً مستترا ، لكانت الحجب أكبر منه ، إذ قد سترته . ولكان محتاجا إلى الحجب . والمحتاج فقير ، ليس بغنى عن العالمين ، لأن الإله هو الغنى عن كل شىء ، ليس كمثله شىء .

وقول الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب » المعنى : أن الرسول محجوب عن الله ، إذ كان البارىء ـ عز وجل ـ لا يجوز عليه الرؤية ؛ لأنه تعالى لا يرى لذاته . وهو يَرى ولا يُرى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والستون

فى نفى الارتفاع والعلو المعقول بالمسافة عن الله ـ عز وجل

قال المؤلف : زعم أهل الجهل أن الله رفيع رفع المسافة . وتأولوا قوله تعالى : « رفيع الدرجات » أى ذاته مرتفعة رفع المسافة ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . ولو ارتفع البارئ ـ عز وجل ـ رفع المسافة ـ كما زعموا ـ لانقطعت حدوده وأقطاره ، وتناهيه بالمسافة ، ولكان الهواء أكبر منه . وإن قالوا : إنما هو أكبر جثة لانقطاع حدود الأقطار ، كما زعم من زعم أنه جثة . وزعم : أنه جوهرة واحدة سبيكة ، افتراء على الله . فكل جثة أو شخص ، وإن كبر ، فله الحد والنهاية والهواء محيط بكليته ، من خلف حدوده ونواحيه ـ تعالى الله عن ذلك .

وإنما قال الله تعالى: « رفيع الدرجات » يعنى يرفع درجات من يشاء من عباده المؤمنين ، فى الجنة ، لارفيع هو ، لأن العرش العالى المسامة الذى تحمله الملائكة ، ليسه أقرب إلى الله تعالى من تخوم الأرضين ، وما تحت الثرى . بل البارئ محيط بخلقه ، إحاطة علم ، بالعلم والتدبير ، لا إحاطة جثة ـ تعالى الله عن ذلك .

وقوله : « تعرج الملائكة والروحُ إليه » إنما تعرج إلى المكان الذى لا يتولى الحكم وإنفاذ الأمر فيه إلا هو ـ عز وجل .

وقوله تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب » إلى المكان أيضاً الذى لا يتولى الحكم ، وإنفاذ الأمور فيه إلا هو ـ عز وجل ـ وهذا المكان يقال له : عليُّون. وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والستون

فى عند ومع وإلى والدنو والتقرب

والرد على المشبهة فيما احتجت به من جواز المكان على الله ـ تبارك وتعالى

قال المؤلف : قد قلنا آنفاً ـ فيما تقدم ـ : إن بعد المسافة لا يجوز ، وبينا فساد ذلك .

وكذلك نقول فى قرب المسافة : لا يجوز على الله تعالى ؛ لأن قرب المسافة بين الجسمين ، إنما دنو حدود الجسمين والشخصين ، من بعضهما إلى بعض ، وبقرب حد الجسمين . وإنما يجوز ذلك على الأجسام التى قسرت وجبرت على الحدود والنهاية . فلذلك جاز عليها بعد المسافة ، وقرب المسافة .

وأما البارىء تعالى : فليس بجسم ولا شخص ، ليكون له نهاية وحدود . ولو كان كذلك ، لكان لا فرق بينه وبين غيره ، من الأجسام والأشخاص .

وإن اختلف الجسمان والشخصان ، فى الكينونة والكيفية ، فهما متفقان فى التحديد والنهاية والأقطار ، وبطلت الألوهية ، لأن من حق الإله أن يكون ليس كمثله شىء .

وإذا كان كمثل غيره ، فما الفضل له على غيره ؟ وبم يستحق الألوهية ؟ وقد قال الله تعالى : « ليس كمثله شىءٌ » لجميع ما ذكروه ، من عند ، ومع ، والدنو ، والتقرب إلى الله المعقول لجميع هذه الأوصاف ، عن الله منفية ـ تعالى الله عن ذلك .

وإنما معنى قول الله تعالى : « فى مقعد صدق عند مليك مقتـدر » فمنده فى الـكرامة والفضيلة ، والمنزلة السنية ، وعظم المقدار ، لا منزلة مسافة ، قربت المسافة أو بعدت . وقوله تعالى : « وجعلوا الملائـكة الذين هم عباد الرحمن » فى الفضيلة والـكرامة، لأنهم أقرب إليه قرب مسافة، لأنه تعالى ليس ببائن متنصٍّ فى مكان، فيكون معه . وإنما هم فى القلوب من الله ، قرب المنزلة والـكرامة ألا ترى إلى قول القائل : فلان أقرب الناس إلى الأمير . فلو أراد به للمسافة ، ما كان مدحا .

وقوله : « إليه يصعد الـكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » فرفعه : قبوله من المتعبد .

وقيل : رفعه إلى مكان يقال له : علِّيُّون .

وقيل : إذا زكا العمل ورضيه ، أنماه وشرّفه . والشريف : الرفيع .

وأما اللقاء ، فعلى وجهين : لقاء رؤية ، ولقاء على غير رؤية . يقال الميت : قد لقى ربه . فلا يراد به الرؤية . وإنما يراد أنه صار إلى ما أعد الله له .

ويقال : صار إلى الله ، وذهب إلى الله . فأجابه قال نبى الله إبراهيم — ﷺ — : « إنى ذاهب إلى ربى » أى ذاهب إلى الله ، بتوجيه العمل إليه . ولقاء الرؤية منفى عن الله تعالى . وقد بينا ذلك — فيما تقدم — وبالله التوفيق .

* * *

الباب السبعون

فى الاستواء على العرش

ونفى القعود المقول على العرش عن الله ـ عز وجل

زعم أهل الضلال والجهل : أن الله عز وجل ، على العرش ، على سبيل القعود والاستقرار . وأن العرش ما فاضل عن مقاعد البارىء ، إلا بقدر عرض أصبعين، وأنه يجالسهم يوم القيامة ، على كرسى القضاء ، إذا أراد أن يحاسب خلقه ، جلس على الكرسى . وكذبوا على الله ـ عز وجل ـ حيث وصفوا الله تعالى بالحدود والنهاية ، والأقطار ، وبعد المسافة وقربها . وقد بينا فساد ذلك ـ فيما تقدم ـ فالاستواء على معان :

فمنها : استوى على العرش ، على ما هو عليه .

ومنها : استواء التدبير .

ومنها : استواء الملك . فلما أن كان من صفة الله : أنه غير محدود ولا يشبه بخلقه ، كاستواء الشىء على الشىء ، مثل استواء الملك على السرير ، دل ذلك أن استواء البارىء تعالى على العرش ، بالملك والتدبير والقدرة، ذل له العرش، واستوى له ـ عز وجل ـ كل شىء، وذل وأذعن . فليس شىء ممتنعا منه ـ عز وجل ـ وقوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » فاستواؤه إلى السماء بالملك والتدبير ، لا أنه تحول من مكان إلى مكان .

وقيل : « استوى على العرش » أى استولى على العرش ، بالملك والتدبير والقهر . وقد استولى على جميع العالم ، لهذا المعنى .

وخص العرش بذلك ، تشريفا لذكره ، كما قالوا فى النعمان بن المنذر : ملك الخورنق والسدير . وقد ملك العراقين جميعاً .

وقالوا : إن الخليفة ملك العرب . وقد ملك العجم أيضا . قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
فالحمد للمهيمن الخلاق

يعنى أنه استولى على العراق ، وقهر أهلها؛ لأن بشرا لم يقعد على العراق كلها. وإنما قعد فى منزله . فأراد الله تعالى بالاستواء : الإخبار عن عظمته وقدرته : أنه فوق الأشياء ، بالقهر والسلطان ، والقدرة والملك .

وقال بعض : « استوى على العرش » : أى علا على العرش . وإنما خلق الله العرش ، وهو الغنى عن القرار والمكان ، تعبّد به بعض الملائكة يحمله . وتعبد بعضهم بالطواف حوله ، كما تعبد بالطواف حول الكعبة . فالكعبة : بيته . وهو الغنى عن السكون فى البيوت ، والعرش عرشه . وهو الغنى عن القعود على العرش .

وقيل : إن العرش هو الملك . والكرسى هو العِلم . وقوله : « وسع كرسيه السموات والأرض » أى وسع علمه .

وقيل : إن الكرسى هو العرش .

ويقال : الكرسى خلق من خلق الله ، أعظم من السموات والأرض والله غنى عن العرش والكرسى . وقد بينا فساد القعود على العرش . والكرسى مثله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والسبعون

فى معانى استحياء الله ـ عز وجل ـ
وإحصائه للخلق وحسابه لهم

الحساب والإحصاء ـ فى الكتاب ـ : فعل . والإحصاء فى غير الكتاب : العلم . قال الله تعالى: « وكلّ شىء أحصيناه فى إمام مبين » ولم يزل محصيا للأشياء، أى لم يزل عالما بها . وليس الحساب فى هذا الموضع عددا؛ لأنه تعالى ، لم يزل عالما بما يكون .

وكذلك عد الأشياء عدا ، أى أحصاها إحصاء ، وعلمها علما .

وقوله تعالى : « يرزقون فيها بغير حساب » فالقول فى هـــذا على جهات : إحداها : فيوفون أجورهم ، على غير مقادير الأعمال ، أى ليس يحاسبون هذه المحاسبة . ولكنه ضاعف لهم . وقد نظر ذلك إلى الحساب ، من جهة أن الله يملكه ، ويعلم عدده ويحصيه .

ومعنى قوله تعالى : الحسيب الكافى . يقال فى اللغة : أعطانى فأحسبنى أى كفانى . ويكون ذلك راجعا إلى نوع الفعل ؛ لأن كفايته لخلقه فعل .

وقد قيل : العالم .

وقيل : إنه لا تشغله محاسبة عن محاسبة .

وقيل : إن حساب الله لخلقه يوم القيامة : أن تطاير الكتب إلى أصحابها .

كل كتاب إلى صاحبه ، فيعرف صاحب الـكتاب عدل الله عليه ، فلا يشك فى عدل الله عليه . ويتحقق معه الحق والعدل من الله ـ عز وجل .

وأما استحياء الله فى قوله تعالى : « والله لا يستحيي من الحق » فالاستحياء على وجهين : على الغيبة والحضور . والحضور منفى عن الله ـ عز وجل .

وقولهم : إن الله يستحيي من كذا ، بمعنى يتعالى .

وقيل : يجل . والله يستحيي أن يعذب من أطاعه . فقيل : يتعالى .

وقيل : يجل . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والسبعون

فى الرد على من زعم أن الله تعالى خالق لنفسه الجوارح

قال المؤلف : قالت الجهمية : إن الله تعالى كان ، ولا علم له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولاقوة ، حتى خلق ذلك لنفسه فما أعظم هذا القول على الله .

يقال لهم: أفقبل خلق الله تعالى لنفسه العلم، ففى الأزل ما صفته ؟ أجاهل إذاً؟ أو قبل خلقه السمع ، أصم إذا ؟ وقبل خلقه لنفسه البصر ، أعمى إذاً ؟ وقبل خلقه لنفسه البصر ، أعمى إذا ؟ وقبل خلقه القوة ، غير قادر ، بل عاجز إذا ؟

فإن قالوا : نعم . قيل لهم : إن هذه الصفة ليست بصفة إله معبود ، ليس كمثله شىء تعالى الله عن ذلك .

ومن الحجة عليهم: أن الذى يخلق الأعضاء والجوارح لنفسه، والعلم والقدرة، احتاج إلى الذى خلقه لنفسه ، لينتفع به . والمحتاج فقير لاشك ، فى فقر بارئهم ، إذ ألجأته الحاجة إلى ما ذكر ، ولأنه خلقه لنفسه . والفقير المحتاج ، ليس بإله عليم ، سميع بصير ، على كل شىء قدير . وقبل خلقه لما وصفوه به ، يجب أن يكون جاهلا ، أعمى أصم عاجزا . فليست هذه الصفة صفة إله عليم بنفسه ، سميع بنفسه، بصير بنفسه ، قدير بنفسه ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وكيف يخلق القوة لنفسه ، وهو ليس به قوة ، يخلق بها القوة والقدرة ؟

وإذا لم يكن له علم ، فكيف علم أنه يخلق علما لنفسه . وكذلك السمع والبصر ـ تعالى الله عما قالوه علوا كبيرًا .

* * *

الباب الثالث والسبعون

في كلام الله تعالى

قال المؤلف : اختلف الناس في كلام الله – عز وجل – فقال من قال: مخلوق.

وقال بعضهم : غير مخلوق .

وأجمعوا على أن كلام الله من صفاته .

وإنما اختلفوا في هذه الصفة: هي من صفات الذات ؟ أم هي من صفات الفعل؟

فالذين يقولون : إن كلام الله قديم غير مخلوق ، يقولون: إنه من صفات ذاته.

والذين يقولون : إن كلام الله مخلوق يقولون : إنه من صفات فعله .

واختلف أصحابنا في القرآن . فقال بعضهم : غير مخلوق .

وقال بعضهم : لا نقول : مخلوق ، ولا غير مخلوق . ونقول : هو كلام الله . ولا نقول : هو صفة ذات ، ولا صفة فعل . وهذا يوجد من قول أبي على وغيره .

فالذين يقولون : إن كلام الله مخلوق ، احتجوا بأن كل ماسوى الله مخلوق. والقرآن لا يخلو من أن يكون هو الله . أو غيره . وقد قال الله تعالى : « إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر » وقال: «والله خالق كل شيء» والقرآن شيء. فدل أنه مخلوق .

وقال بعض بقدم كلام الله ، وأن القرآن غير مخلوق ، ردٌّ عليهم : أن كل شيء مخلوق ، المعنى بالأشيا المخلوقة ، لا أن كل شيء وقع عليه شيء مخلوق ؛ لأن البارىء – عز وجل – شيء ؛ لقوله تعالى : « قُل أيُّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد » والبارىء غير مخلوق . وصفات الله الذاتية ، وأسماؤه الذاتية ، غير مخلوقة .

وإنما قول الله : « والله خالق كل شيء » يعني بالأشياء : المخلوقة ، لأنه سبحانه قال : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقـول له كن فيكون » . فلو كان قوله مقولا له ، لتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية له : أن يقول بقول ، وقول بقول . فيتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية له . وهذا فاسد . وأيضا ، فإنه لو كان مخلوقا محدثا ، لـكان لا يخلو ، من أن يحدثه في نفسه ، أو يحدثه في غيره ، أو يحدثه قائما بنفسه.

فإن يكن أحدثه الله في نفسه . فالبارئ تعالى ليس بمحل للحوادث .

وإن يكن أحدثه في غيره ، كان ذلك الغير ، متكلما بكلام الله . والكفار متكلمون بكلام الله .

وإن يكن أحدثه قائما بنفسه ، فالقرآن صفة . والصفة لا تقوم بنفسها . فصح أن كلام الله ـ عز وجل ـ غير مخلوق ، وأن البارئ تعالى هو المتكلم ، كما أنه هو العالم .

فإذا وجب أن البارئ هو العالم لذاته ، وجب أن يكون المتكلم لذاته .

وقال الآخرون : قد قال الله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » وجعلُ اللهِ خلقٌ كله فقال هؤلاء : لو كان كذلك ، لـكان قول الله ، في قصة نبيه إبراهيم ـ ﷺ ـ : « ربِّ اجعل هذا البلد آمنا » أي خلق هذا البلد آمنا . فكيف يسأله أن يخلقه ، وهو فيه مخلوق . ولـكن معناه : جعلناه قرآنا عربيا : أي صيرناه يقرأ بالعربية ، كما أن التوراة والإنجيل والزبور كلامه . صيّر ذلك يقرأ بالعجمية .

وقال الآخرون : قد قال الله تعالى : « وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » والمحدث مخلوق . فقال هؤلاء : محدث ، يعنى محدثة تلاوته ، منقـول من اللوح المحفوظ ، نزل به جبريل إلى النبى صلى الله وسلم عليهما ، شيئا بعد شىء نجوما . وإنما أحدث من اللوح المحفوظ إلى النبى ﷺ ، وأشياء لا يحتملها هذا المختصر تركناها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والسبعون

فى كلام الله ـ عز وجل ـ لنبيه موسى بن عمران ﷺ

قال المؤلف : اختلف الناس فى كلام الله ـ عز وجل ـ لموسى بن عمران .

فقال بعضهم : إنه تعالى كلمه تكليما. كما قال عز وجل . وذلك حق من الله . وقد كلمه كما قال ، كما شاء ، على ما شاء من ذلك .

وقال بعضهم : إن الكلام من الله لموسى ـ عليه السلام ـ إلهام ، أسمعه صوتا ، أفهمه به الكلام . ولم يسمعه نفسه متكلما .

وفى آثار قومنا : أن موسى ـ عليه السلام ـ سمع كلام الله تعالى بغير صوت، ولا حرف ، كما يرى الأبرارُ ذات الله ، بالعلم واليقين ، بأعين قلوبهم ، لا بأعين رؤوسهم ـ كما قال الشيخ محمد بن روح ـ فى شعر :

أنا أرى الله بالعلم   علم مكنون صدرى
ولا أراه بوهم   ولا بلحظة نظرى

والبارىء يرى بعلم اليقين لاشخص .

وقد سئل النبى ﷺ : هل رأيت ربك ؟

فقال : لن تراه العيون . ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان .

وأما رؤية العين التى فى الرأس ، فذلك لايجوز . وقد قدمنا ذلك .

وقال بعضهم : إن الله تعالى يقول : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا

أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحيَ بإذنه ما يشاء » وهـذا خبر .
والأخبار لا يجوز عليها النسخ . فيجوز أن يكون كله بالوحى منه .

وبالجملة : إن كلام الله تعـالى ، ليس بحروف ، ولا صوت ؛ لأن الـكلام لا يكون إلا باصطـكاك حرفين . والبارىء ـ عز وجل ـ ليس بجسم ؛ ليصطك حرفان ، فى فيه للـكلام .

وإنما جعل الله الـكلام والحروف لنا نحن ، لحاجتنا إلى الصوت والحروف . فليس كلام الله بحروف ، ولا صوت ، إذ لا يحتاج إليها ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وبالله التوفيق .

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٤٠٦
الرقم الخاص : ٢١٤/١

الباب الخامس والسبعون

فى ذكر شىء من الفروق

الأول : الفرق بين الخالق والمخلوق

الفرق بين ذلك: أن الخالق قديم، والمخلوق محدَث. والقديم لايشبه المحدث إذ المحدَث من فعل القديم . والفعل لا يشبه فاعله ؛ لأن المخلوق لا يخلو من أن يكون جسما ، أو عرضا أو جوهرا وكل ذلك محدود متناه . والبارىء يتعالى عن الحد والنهاية .

الفرق الثانى : بين صفات الخالق وبين صفات المخلوق .

فصفات البارىء تعالى قديمة .

وصفات المخلوق محدثة . والمحدث لا يشبه القديم .

الفرق الثالث : بين قِدم البارىء وقدم خلقه .

والقديم على الحقيقة : هو الله الذى لا شىء قبله ، ولا شىء بعده . ولا لقدمه أول ، ولا له آخر ونهاية .

وقدم خلقه مجاز ؛ لأن قدمهم إلى نهاية وبداية .

الفرق الرابع : بين علم البارىء وعلم خلقه .

فعلم البارىء تعالى ، علم إحاطة، بالأشياء العالم بها ، قبل كونها، وبعد كونها. وليس عالما بعلم ، بل عالم بذاته ، لا بعلم هو غيره .

والمخلوق عالم بعلم، هو غيره . وقد يعلم بالأشياء ، فيكون خلاف ما علم لايقين والاعتقاد . وعلمه يعلم بعد جهل ، ويجهل بعد علم .

الفرق الخامس : بين قدرة الخالق وقدرة خلقه .

فالخالق قادر بنفسه ، لا بشيء غيره .

والمخلوق قادر بقدرة ، هي غيره . وهي عرض .

الفرق السادس : بين حياة البارىء وحياة خلقه .

فالله تعالى حى بذاته لا بحياة ، هى غيره . ولم يزل حيا ولا يزال حيا .

والعبد حياته بحياة هي غيره ، بل من فعل الله ، يحييه ويميته .

الفرق السابع : بين وجود البارىء وبين وجود خلقه .

فوجود البارىء أنه الموجــود بذاته ، لم يزل موجودا . ولا يزال موجوداً كـذلك .

والعبد إنما وجوده : مشاهدته وتحديده. وكذلك وجد بعد عدم، وعدم بعد وجود .

الفرق الثامن بين عدل الله وعدل خلقه .

يقال : إن الله عدل . ومن خلقه أيضا ، من هو عدل .

والفرق بين ذلك : أن الله ـ عز وجل ـ عدل بذاته . وهي صفات ذات عائدة إلى العلم وإذ لا يفعل القبيح والظلم والجور إلا جاهل بقبحه، أو محتاج إليه. والله غنى عن ذلك .

ويوصف أيضا : أنه عدل فى فعله . ويرجـــع إلى أحكام الفعل ، وصفات الأفعال . فيـكون ذلك صفة فعل ، لا صفة ذات .

والعبد فإنما يقال : هو عدل ، بتزكية الله لفعله ، تجوز عليه الحاجة والجهل .

الفرق التاسع : بين أفعال البارىء وأفعال خلقه .

أفعال البارىء : أن يقول لما يشاء : كن فيكون ، بلا عقد وضمير ، وقوة عرض .

وأفعال العباد : نيات وحركات ، وضمائر وخطرات ، وأعراض طارئات .

الفرق العاشر : بين الواحدين البارىء ـ عز وجل ـ واحد فى المعنى والاسم؛ من غير أبعاض متآلفة وأشخاص مرئية .

وأما خلقه فواحد شخص ، إما جوهر ، أو جسم متآلف ، إذا رفع تأليفه ، صار شيئا ذا أبعاض .

الفرق الحادى عشر : بين الأسماء القديمة والمحدثة

وأسمـاء الله القديمـة : صفاته وهى موجب وصف الواصفين ، إذ لو لم يكن ما وصف نفسه ولا سمّى ، ولا وصفه أحد من خلقه . وصفاته الذاتية لا يدخلها التضاد ، لأنها إذا دخلها التضاد كان قبل العلم جاهلا ، وقبل القدرة عاجزاً ، وقبل الغنى محتاجا . والمحدثة : خلق ورزق وأحيا وأمات ، وشبه ذلك .

الفرق الثانى عشر : بين خلود البارىء وخلود خلقه .

خلود البارىء وبقاؤه : أنه تعالى خالد باق بذاته ، لا ببقاء مبق أبقاه ، فبقى ببقائه باقيا .

وخلود خلقه : أنهم خلدوا وبقوا ، ببقاء مبق أبقاهم وخلدهم، فبقوا ببقائه. ولم يبقوا بذاتهم .

* * *

الباب السادس والسبعون
فى علم البارىء أزلى هو أم محدَث ؟

الدليل على أن علم البارىء قديم غير محدث : أنه تعالى لو خلق علمه ، لآل إلى أنه قبل خلق علمه كان جاهلا . والجاهل ليس بإله إنما الإله : هو العالم القادر، ليس كمثله شىء . والفعل إنما هو معلوم بالعلم . ففسد أن يخلق علمه ، إذ كان الفعل إنما هو معلوم بالعلم .

وقول الله تعالى: « لننظر كيف تعملون ـ وحتى نعلم المجاهدين ـ ونعلم من يتبع الرسول » ليس أنه تعالى جاهل بذلك . وإنما مراده أن يفعلوا لكى يعلم ما يكون من فعلهم ظاهرا ، كما علمه ، قبل كونه .

فإرادة البارىء أن يفعلوا ، ليُظهر الله تعالى ما علمه منهم ، قبل أن يعملوا ، فيظهر ماعملوه من العدم ، الذى علمه ، فى سابق علمه منهم إلى الوجود « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » بإظهار وجود عملهم ، إذ كان البارىء لا يجازى العباد ، بما علم منهم ، فى سابق علمه . وإنما يجزيهم فيما بيّن لهم ، ويعاقبهم على الأمر والنهى؛ لا على العلم عاملهم ، بل على الأمر والنهى. وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والسبعون

فى البارئ تعالى أنه عالم بعلم أو عالم بنفسه ؟

قال المؤلف : الدليل على أنه عالم بنفسه لا بعلم ، هو غيره به علم : أنه لا يخلو ، من أن يكون ذلك العلم قديما أو محدثا .

فإن يكن العلم الذى علم به قديما معه ، وجب أن يكون معه شىء غيره ، قديمين وفسد التوحيد .

وأن يكون محدثا، وجب أن يكون البارئ ، قبل حدوث علمه ، غير عالم. وكيف يحدث العلم لنفسه ، بلا علم . والفعل إنما يكون بالعلم . والعلم قبل الفعل ؟

وقول الله تعالى : « أنزله بعلمه » المعنى أنه أنزله ، وهو العالم به . ولو كان عالما بعلم ، لكان حيًا بحياة ، وقادرا بقدرة ، ومريدا بإرادة ، وفاعلا بقوة عرضية ، هى غيره . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والسبعون

فى علم الله هو الله أم غير الله ؟

فإن قال : أتقولون : إن لله علما ؟

قيل له : نعم .

نقول : إن لله علما . نعنى أنه العالم بالأشياء . ولا نقول : إن له علما ، هـو غيره ، به علم . وإنما نقول : إن لله علما ، كما قال فى كتابه « أنزله بعلمه » أى أنزله وهو العالم به .

فإن قال : أتقولون : إن له علما وقدرة ؟

قيل له : إنا نقول : إن الله هو العالم ، وهو القادر . ولا نقول : إن لله علما وقدرة ، هما غيره . ولو كان علمه هو ، لحسن أن يقال : ياعـلم اغفر لى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والسبعون

فى الرد على الجهمية قولهم : إن الله لا يعلم ما يكون قبل أن يكون

قال المؤلف : نقول : إن الله تعالى قد علم بما يكون ، قبل أن يكون ، وبما لا يكون ، أن لو كان كيف كان يكون ، أو لا يكون .

الدليل على من خالفنا ، ممن يقول من جهمية ، أو غيرها : قول الله تعالى : « ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا » فقال الله تعالى — تكذيبا لهم — : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون » فهذا لا يكون أن لو كان ، كيف كان يكون .

وأما ماعلم الله بما يكون ، قبل كونه . فقوله تعالى : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم » فأخبر الله نبيه — ﷺ أنهم يحلفون ، قبل أن يحلفوا . فحلفوا — كما أخبر الله عنهم. ولو لم يكن البارئ عالما بما يكون، قبل أن يكون ، وبما لايكون أن لو كان ، كيف كان يكون ، لحقه الجهل . والجاهل ليس بإله . وإنما الإله : هو الحكيم العليم ، الذى لايخفى عليه شىء . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثمانون

فى علم الله السابق فى عباده من خير وشر ونفع وضر هل ساق العباد إلى ما عملوا أم لا ؟

قال المؤلف : فنقول : إن علم الله تعالى ، لم يسق العباد ، إلى ما عملوا من المعاصى . وإنما سولت لهم أنفسهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، حتى كان منهم، ما علم الله .

الدليل على ذلك : أن علمه لو ساق العباد إلى ماعملوا ، ما استحق المطيع ثوابا ، إذ هو مجبور ، ولا العاصى عقابا ، إذ هو مجبور ، إذ المجبور لا يستحق على ما جبر شيئاً . ولم يكلف الله العباد ، ويعاقبهم ويثيبهم ، أنه عاملهم بذلك ، على ما علم. إنما عاملهم بذلك، على الأمر والنهى. وأثابهم وعاقبهم ، على الأمر والنهى الاختيارى ، لم يعاملهم ، على العلم . ولو عاملهم على العلم ، لعذبهم ، قبل أن يعملوا ، لعلمه أنه لو بسط الرزق عليهم ، ابغوا فى الأرض ـ كما قال فى سورة حمعسق . وتسمى سورة الشورى . ولعذبهم على هذا البغى ، الذى علمه منهم ، قبل أن يعملوا ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثمانون

فى التوفيق والخذلان

قيل : إن التوفيق هو القدرة على الطاعة .

قال المؤلف : إن الخذلان : هو القدرة على المعصية ، فى آثار قومنا .

وقيل : إن التوفيق والخذلان ، يكون عند اختيار المكلف . فإن اختار الإيمان ، فبحسن اختياره آمن . فنى الحال ـ عند حسن اختياره ، يوفق ، لا قبل ذلك ، ولا بعد وبسوء اختيار العبد للكفر ، فنى الحال يخذل ـ عند كفره ـ بسوء اختياره ، لا قبل ذلك ، ولا بعد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثمانون

فى العلم والقدرة والإرادة والمشيئة أزلى ذلك ؟ أم محدث ؟

قال المؤلف: العلم والقدرة والإرادة والمشيئة. كل ذلك ليس شىء منه بمخلوق بل ذاتى قديم ، لم يزل الله بجميع صفا الذاتية ، وأسمائه الذاتية ، من غير أن يقال: إن عنده شيئا خالدا كخلوده ، باق عنده كبقائه ، أوليا كأوليته . وإنما البارىء لم يزل ، بجميع صفاته الذاتية ، وأسمائه الذاتية .

وقد قلنا ــ فى متقدم الكتاب ــ : إن العلم لو كان مخلوقا ، لكان البارىء تعالى ، لم يزل فيما لم يزل ، قبل خلقه ــ لعلم نفسه ــ جاهلاً . ألا ترى أنه يقول القائل : لم يزل الله تعالى عالما بنفسه ، أنه واحد ليس كمثله شىء . فكيف يكون علمه مخلوقا ، مع أنه تعالى ، كيف يخلق العلم لنفسه ، ولا يعلم ما يخلق لنفسه ؟ لأنه تعالى ، أن لو أنه إذا أراد أن يخلق العلم . أليس يخلقه ، وهو عالم بمــا يريد أن يخلق .

فإذا كان كذلك عالما بما يريد أن يخلق ، فقد سبق العلم ، قبل خلق العلم!. وكفى ذلك . فكيف وأنه غير مخلوق ، فالعلم غير مخلوق .

وكذلك القول فى المشيئة . فلو أنه تعالى أراد أن يخلق المشيئة . فلا بد أن تتقدم قبل خلقها ، مشيئة خلق المشيئة ، لأنه تعالى لا يخلق المشيئة ، من غير أن يشاء أن يخلقها . ومشيئة بمشيئة ، ومشيئة بمشيئة . يتسلسل ذلك إلى غير نهاية . فذلك فاسد .

كما أنه إذا أراد أن يخلق علما ، فلا يخلقه ،حتى يعلم أنه قد شاء أن يخلق علما. فعلم بعلم ، وعلم بعلم فاسد .

وكذلك القول فى الإرادة ، إذا أراد أن يخلقها. فلا بد أن يريد أن يخلقها .

فإذا كانت إرادة متقدمة ، لخلق هذه الإرادة . ففاسد أن يكون خلق إرادة بإرادة ، وإرادة بإرادة . يتسلسل ذلك إلى غير نهاية . فذلك فاسد .

وكذلك القول فى القدرة ، إذا أراد أن يخلق القدرة ، فلا يخلق القدرة إلا بقدرة قبلها . فقدرة بقدرة ، وقدرة بقدرة ، إلى غير نهاية ، إنه فاسد ، مع أنه إذا خلق القدرة ، وكانت محدثة . أليس يكون قبل خلقها عاجزًا ، والعاجز ليس بإله قدير عليم بصير خبير . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والثمأنون

فى بيان أقسام مشيئة الله تعالى وإرادته فى جميع مخلوقاته

من كتاب الضياء :

قال المؤلف : إن لله تعالى فى خلقه إرادتين ومشيئتين .

ومعنى الإرادة والمشيئة واحد ، غير أنهما اسمان ، يتضمنهما معنى واحد .

إحداهما : مشيئة الأمر ، التى أرسل الله تعالى بها الرسل ، وهدى بها السبل.

والمشيئة الأخرى : مشيئة فى خلق الخلق ، وقسم الأرزاق، وما أراد فى إنفاذ ما قد سبق عنده ، فى علمه من الأمور . وما به الخلق عاملون ، وإليه صائرون .

ولو كانت المشيئة من الله تعالى واحدة ـ كما قالت القدرية ـ لم يختلف على الله تعالى، فيما أراده من الخلق، كما لم تختلف إرادته، فى خلق السموات والأرض، وغير ذلك ، ولكان العباد ـ فيما أمرهم به ـ مطيعين ، كما أطاعته السموات والأرض .

وذلك أنه لو كانت إرادته ـ فيما أمر به من الطاعة ـ مثل إرادته ، فيما أراد من خلق الخلق، لكان الذين قال لهم : « كونوا قوامين بالقسط » لا يكونون إلا كذلك ـ كما أراد منهم ـ كما زعموا ـ يعنى القدرية : أنه تعالى ، لم يرد منهم غير الطاعة . ولكان الذين قال لهم : « كونوا مع الصادقين » لا يكونون أبدا إلا مع الصادقين ؛ لأن أهل القدر ، زعموا أن الله لم يرد فى العباد ، ولا للعباد ، إلا إرادة واحدة . وهى إرادة الإيمان .

ولو كان ذلك كذلك ، لكان كل من قال لهم : « كونوا كذا وكذا يكونون ـ كما قال لهم . فكما قال لليهود : « كونوا قردة خاسئين » كان كما أراد منهم . فلِمَ تمّت إرادته فى بعض ، وفى بعض لا ؟

وهم يزعمون أن الله أراد من العباد الإيمان ، ولم يرد فيهم ولا منهم غيره . ولكن ليعلم أهل اللب أن الله تعالى ، لم يُعص بقسر ، ولا استكراه ، ولا بغلبة . ولكن إرادته تعالى ، نفذت فى كل ما أراد .

وكذلك وصف نفسه فقال : « والله على كل شىء قدير » فمن ذا الذى يضادّه فى مشيئته ، وهو على كل شىء قدير .

ويقال للقدرية : هل علم اللهُ ما العباد عاملون ، وإلى ما هم إليه صائرون ؟

فإن قالوا : لا كفروا .

وإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فأراد إنفاذ ما علم ؟ أم إبطاله ؟

فإن قالوا : لم يرد أن يكون ما علم ، كما علم ، كفروا .

وإن قالوا : أراد أن يكون ما علم ، كما علم ، انقطعت حجتهم ، التى يحتجون بها ، فى الإرادة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والثمانون

فى الاستطاعة والدليل أنها مع الفعل
والرد على من قال : إنها قبل الفعل

قال المؤلف : الاستطاعة فى اللغة : هى القدرة على الشىء . وقد تسمى بها أشياء ، تئول إلى القدرة . قال الله تعالى : « فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً » يعنى الصوم . من لم يقدر عليه أطعم، وزال عنه فرض الصوم لزوال اسم الاستطاعة عنه . وهى الصحة . ووجود المال ، يوجب استطاعة الإطعام . وقال عز وجل : « ولله على الناس حِجُّ البيت مَن استطاعَ إليه سبيلا » .

فالاستطاعة : اسم لمانٍ . والأصل فيها القدرة . والقدرة فى الإنسان : هى عرض فى الجسم . وليست القدرة جسما فى الجسم . والعرض لا يقوم بنفسه ، ولا يثبت وقتين . والقدرة : لاخلاف أنها صفة وعرض ، لاتقوم بنفسها . ولا تثبت وقتين.

وحقيقة الكسب : كل فعل باستطاعة ، محدثة مع الفعل للفعل، بتوفيق الله .

وأما من فعل بقدرة قديمة ، فهو غير مكتسب . فالاستطاعة من العبد للفعل ، مع الفعل ، لا قبل ذلك، ولا بعد، كما أن الفعل فى حال الفعل، لاقبل ذلك ولا بعد. واستطاعة العبد للمعصية ، هى من الله : خلق ، ومن الشيطان ـ لعنه الله ـ : أمر ومن العبد : عمل . فالشيطان يزين المعصية ، والعبد عامل بالمعصية . والرب تعالى خالق لجميع أعمال الجن والإنس .

والدليل على أن الاستطاعة مع الفعل : أنّا قد نرى الجارحة التى احتججت بها

المعتزلة : أن الاستطاعة قبل الفعل . ولا نرى الفعل عجزا من الجارحة ، والجارحة بحالها . فدل أن من لم يخلق الله له استطاعة ، لم يقدر أن يكتسب شيئاً .

فلما استحال الفعل ،مع وجود الجارحة، صح أن الكسب إنما يوجد بوجود الاستطاعة ، لا بوجود الجارحة . فثبت أن وجود الاستطاعة ، مع الفعل ، وليس فى عدم الجارحة ، عدم الفعل . بل يمنع عدم الجارحة ، عدم الاكتساب ؛ لأنها إذا عدمت القدرة . فبعدم القدرة استحال الكسب ، لا لعدم الجارحة . ولو كان إنما استحال الاكتساب ، لعدم الجارحة ، لكان إذا وجدت الجارحة ، وجد الاكتساب . فلما أن كانت توجد الجارحة ، ويقارنها العجز . وتعدم القدرة ، فلا يكون كسباً ، علم أن الاكتساب إنما يعدم لعدم الجارحة. وقد قال الله عز وجل: « ما كانوا يستطيعون السمع » وقد أمروا أن يسمعوا الحق ، وكلفوه . فدل ذلك على لزوم التكليف . وإن من لم يفعل الحق ، ولم يسمعه ، لم يكن مستطيعاً على طريق القول ، لم يكن له مستطيعاً . وقد قال الله تعالى ـ فى قصة الخضر وموسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ : « إنك لن تستطيعَ معىَ صبرًا » وقد كان موسى به الجوارح، فلم يغن عنه كونُ الجوارح وصحتها، لعدم القدرة التى يكون بها الكسب، والاستطاعة على الشىء .

فمن قال : إن موسى كان مستطيعا ، فقد كذّب الخضر ـ عليهما السلام ـ فى مقاله . والجارحة قد يرفع بها الإنسان اللقمة ليأكلها . فتذهب الاستطاعة، فلا يقدر على أكلها . فهلا نفعت الجارحة ، إن كانت الاستطاعة قبل الفعل ـ كما يقولون .

فالاستطاعة ، مع الفعل للفعل ، لا قبله ولا بعده ، إنما هى محدثة مع الفعل ، ولا هى استطاعة واحدة . ولـكن استطاعات كثيرة . لـكل فعـل استطاعة . واستطاعة الطاعة ، غير استطاعة المعصية .

قال المؤلف : وقيل : هى واحد . فى كلا القولين : إن الاستطاعة مع الفعل للفعل . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والثمانون

فى أن العبد مستطيع باستطاعة هى غيره

إن قيل : لِمَ قلتم : إن الإنسان يستطيع باستطاعة ، هى غيره ؟

قيل له : لأنه قد يكون ساعة مستطيعاً ، وساعة عاجزا . والجوارح بحالها . كما يكون ساعة عالماً ، وساعة جاهلاً ، وساعة ساكناً . فوجب كونه مستطيعاً بمعنى هو غيره ، كما وجب أن يكون متحركا ، بمعني هو غيره . ولو كان متحركا لنفسه ، لوجب أن لا يوجد إلا متحركا . فلما فسد ذلك ، صح أن الاستطاعة هى غيره . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والثمانون

في الكفار هل يستطيعون الإيمان أم ؟

فالذى نقول: إن الكفار لا يستطيعون الإيمان لاشتغالهم بضده ، إذ المؤمن لايقدر أن يفعل الشيء وضده ، فى حال ، كما لايقدر أن يكون متحركا ساكنا فى حال ، ومؤمنا كافراً فى حال . والكافر لايطيق الإيمان ، حتى يدع ما هو فيه من الكفر ؛ لأنا نقول : إنه لا يستطيع الإيمان ، لزمانة مانعة ، وعلة حائلة ، من قبل الله . فيكون معذوراً عن العمل بالإيمان .

وإنما أوتى الكافر ،من قبل نفسه .فلذلك لم يكن معذوراً لسوء الاختيار ، الذى اختاره ، من الكفر على الإيمان .

فالبارئ ـ عز وجل ـ أعطى الكفار القدرة ، ومكنهم ، وبين لهم الهدى إلى الإيمان ، هدى البيان ؛ لقوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » فلم يقبل الكفار البيان ، ويستعملوا الإيمان . فاستحبوا الكفر على الإيمان . فعملوا بالكفر : ففى حال عملهم بالكفر، لايقدرون على عمل الإيمان، كما أن فى حال عمل المؤمنين بالإيمان،لايقدرون على الكفر وليس أحدالفريقين، لايقدرون ؛ لعلة من قبل الله تعالى ، حائلة بينهم وبين ما يريدون عمله . فيكون الله قد أجبرهم على ذلك ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وبالله التوفيق

* * *

الباب السابع والثمانون

فى الجبر على الطاعة والمعصية

والرد على المجبرة

قال المؤلف : اعلم أن أهل الجبر ، زعموا أن الله تعالى ،جبر خلقه ، تعالى عن ذلك . وأنه تعالى إنما يعذب العباد على فعله ، لا على أفعالهم .

والحجة عليهم فى ذلك : أنه لو كان يعذبهم على فعله ، أنه أجبرهم ، فيعذبهم على ما فعل هو فيهم، ما قال تعالى : « ذو قوا ما كنتم تكسبون » ولا قال تعالى : « ذلك بما قدمت يداك ـ وبما قدمت أيديكم » . وقال : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها» والمجبور لا يستحق ثوابا على عمل؛ ولا يستحق عقابا، على عمل عمله. فالبارىء ـ عز وجل ـ لم يجبر أحدا على طاعة ، ولا معصية . ولكنه قد علم ، من يعمل منهم بطاعته ، ومن يعمل منهم بمعصيته ، من قبل أن يخلقهم . فأراد إنفاذ ما علم ، كما علم ، من غير أن يكون العلم ساق العباد، إلى ما عملوا من المعاصى . ولكن سولت لهم أنفسهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، حتى كان منهم ما علم الله .

مسألة :

عن أبى محمد ـ قلت : أفيقدر من علم الله منه المعصية ، وأراد خلقها منه أن يفعل خلاف ما علم الله ؟

قال : لا .

قلت : فإذاً هو مجبور .

فقال : ليس هو بمجبور . وإنما قلنا : إنه لا يقدر على فعل ما علم الله : أنه لا يفعله ، الشاغله بما فعل ما أمر به ، أو نهى عنه .

فأما إن ترك ما اختار، فهو قادر، على ما اختار، في الحال التي يختار فيها الفعل الثاني . وهو لشغله بفعل ، لا يقدر على فعل آخر . ولكنه قادر ، على ترك ذلك ، في حال تركه ، من غير مانع له ، من تركه ، ولا جابر يجبره ، ولا حائل بينه وبينه من قبل الله . وإنما أوتى من قبل نفسه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والثمانون

فى التفويض

قال المؤلف : ضلت المعتزلة والقدرية ، بقولهم : إن المشيئة مفوضة إلى العباد .

وقالت القدرية : لا قدرة .

وقال المسلمون: إن الله تعالى لم يجبر أحدا من خلقه، من المكلفين، ولا فوض إليهم الأمور . ويهملهم كل منهم يعمل ما يشاء . كيف يفوض إليهم الأمور ، ويجعل لهم السبيل إلى ما يعملون هملا ، وتركهم كذلك سدى . وهو يقول : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا » لأن العابث ليس بإله حكيم ، أن يخلق خلقه عبثا أو يتركهم سدى هملا ، يضر بعضهم بعضا . ويقتل بعضهم بعضا . ويأكل بعضهم بعضا . فهذا ليس من الحكمة . والله حكيم عليم ، لايفعل إلا الحكمة . فلو فوض إليهم الأمور ، لم يعذب منهم أحدا ، لأنه تعالى كيف يعذب أحداً على فعل ، قد فوض إليه فعل ذلك الفعل ، وأذن له به ـ تعالى الله عن ذلك .

وأما قول الله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » فليس فى هذا تفويض الأمور إلى العباد . ولكنه تهديد من الله تعالى . ألا تراه يقول عقب ذلك : « إنا أعتدنا للظالمين ناراً » .

يقول الله للعباد : قد بينت لـكم سبيل ذلك ، أى سبيل الهلاك . ووعدت وتوعدت . فمن شاء فليؤمن ، عند ذلك ، ومن شاء فليـكفر . فلا حجة لـكم بعد ذلك . وهذه الآية ، وما كان مثلها ، مثل قوله تعالى : « من شاء منـكم أن يتقدم أو يتأخر » . نسختهن الآية التى يقول فيها : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

* * *

الباب التاسع والثمانون

فى القضاء والقدر

والرد على القدرية

القضاء : على وجوه . قضى : خلق . وقضى : حكم . وقضى : أمر . وقضى : إخبار وإعلام . وقضى : علم . فقضاء الخلق : قوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » أى خلقهن . تقول : قضيت الأمر : إذا فرغت منه . وقضاء الحكم: مثل قوله تعالى : « إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

وقضاء الأمر : مثل قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » أى أمر بك .

وقضاء الخبر : مثل قوله تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » أى أخبرناهم وأعلمناهم .

وقضاء العلم: بأن علم أن فعل المعاصى قبيح ، والطاعة حسن . وقضاء الكتاب: كتب أن أهل المعاصى سيعصون .

والقدر: هو الخلق . قال الله تعالى: « وخلق كل شىء فقدّره تقديرا » فالقدر : هو الخلق . تقول : قدر الله ، وخلق الله .

والمقدور : هو فعل الإنسان .

والمقادير : هى من الله .

والتقدير : هو تقدير الشيء . ويجب الإيمان بالقدر : خيره وشره . والله تعالى، لا يعذب على القدر وإنما يعذب على المقدور ، الذى هو أعمال العباد ، الذى إن فعلوا خيرا ، حمدوا عليه . وإن فعلوا شرا عوقبوا عليه . فالمقدور : أفعالهم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التسعون

فى الرد على القدرية

القدرية : الذين يكذبون بالقدر . ويقولون : لا قدر .

زعمت المعتزلة والقدرية : أن المشيئة مفوضة إليهم . فهم إن شاءوا تحركوا . وإن شاءوا سكنوا . وإن شاءوا فعلوا . وإن شاءوا ، لم يفعلوا ، وأن فعلهم : هو خالقهم . وأن الله لم يخلق أفعالهم . فهذا رد لكتاب الله ، وتكذيب لقوله ـ عز وجل ؛ لأن الله تعالى يقول : « والله خالق كل شيء » وأعمالهم شيء ؛ لقوله تعالى : « لقد جئتم شيئاً إدًّا » . فالبارىء تعالى ، لا يعذب إلا على شيء فعلوه . ولا يثيب إلا على شيء قد فعل ، فيقال لهم : أخبرونا عن أفعالكم التى زعمتم : أنها من خلقكم ، لا خالق لها غيركم أهى شيء ؟ أم غير شيء ؟

فإن قالوا : ليست بشيء .

قيل لهم : فيثيبكم الله على لا شيء ، ويعذبكم على لا شيء .

فإن قالوا : نعم . كفروا ، إذا زعموا أن الله يعذب العباد ، على غير شيء .

وقيل : وكيف قال الله تعالى : « لقد جئتم شيئاً إدًّا » ألم يسم أعمالكم شيئاً وأقوالكم شيئاً ؛ لأن الله تعالى يقول : « وكل شيء فعلوه فى الزبر » فقد سمى أعمالهم شيئاً وأقوالهم شيئاً ؛ لقوله : « لقد جئتم شيئاً إدًّا » وذلك شيء قالوه .

وإن هم قالوا : أعمالنا شيء ، وأقوالنا شيء .

قيل لهم : فقد قال الله تعالى : « والله خالق كل شيء » قال المؤلف : ويقال لهم : أخبرونا عن الله عز وجل ،هو إلهُ أفعالكم وأقوالكم، وربها ومالكها، والقادر عليها أم لا ؟

فإن قالوا : لا ، كفروا .

وإن قالوا: نعم . إن الله إله أفعالنا وأقوالنا، وربها ومالكها ،والقادر عليها،

قيل لهم : أفيكون الله إله أفعالكم ، وربها ومالكها ، والقادر عليها ، ولا يكون خالقا لها . وإنما خلقتموها أنتم واخترعتموها . وأنتم لاتقدرون ، أن تخلقوا ذباباً . وإن يسلبكم الذباب شيئاً ، لا تستنقذوه منه . فكيف تخلقون أفعالكم ؟ فلو خلقتم أفعالكم مافعلتم شيئا قط ، تقدمون عليه ، ولا فعلتم فعلا ، على أنه حسن صالح، فيأتى قبيحا طالحا . فهذا فعل عليم حكيم ، مع أن قولكم : تخلقون أفعالكم ، فقد شاركتم الله تعالى ، فى الخلق والاختراع . فكيف يعبر الله الخلق أجمعين ، بالعجز ، بقوله تعالى : « خلقوا كخلقه » وأنتم إذاً قد خلقتم كخلقه ، فجعلتم أنفسكم شركاء الله، فى الخلق . فكيف أخبر الله تعالى، فى كتابه: « هل من خالق غير الله » وقد خلقتم أنتم مع الله وقولكم : لو كانت أفعالنا من خلق الله ، لما عذبنا الله عليها . فقولوا : إن الإيمان والطاعة ، من خلق الله ؛ لأنه لا يعذب عليها . وكلا الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، من أفعالكم ، التى تدعون أنكم تخلقونها ، دون أن يكون الله خالق جميع ذلك .

فإن قلتم : فإذا خلق الله أفعالنا ، فكيف يعذبنا على شيء ، قد شاركنا فى فعله ؟

قلنا لهم : إن الله تعالى ، لم يشارككم فى أعمالكم . وإنما البارىء : الخالق لأعمالكم ، وأنتم المكتسبون لها . والله خالق كسبكم وحركاتكم ، فيحال ماتتحركون . وإنما تكون الشركة : أن لو خلقتم ـ أنتم ، والبارىء ـ أعمالكم ، وكسبتم ـ أنتم والبارىء ـ أعمالكم . فهذه هى الشركة

وأما أعمال بنى آدم أجمع ؛ فمن الله خلق ، ومن العباد عمل ، كما قال المسلمون .

وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والتسعون

فى أعمال بنى آدم وأقوالهم من خير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية والدليل على أن الله تعالى قضى ذلك وقدره وتصرُّف القضاء والقدر ووجوهه وأقسامه فى جميع ذلك

فإن سأل سائل وقال : هل قضى الله بالباطل ؟

قيل له : لا، إن الله تعالى يقضى بالحق، ولا يقضى بالباطل؛ لأن هذا يتوهم ، إن قضى الله تعالى بالباطل ، فهذا ما لا يجوز ؛ لأن قضاء الله الذى هو حكم : أن الباطل باطل ، ممن فعله .

وكذلك قضى : حكم أن المعصية من المأمور، إذا لم يفعل ما أمر به ، وعصى الأمر له . وذلك من الله قضاء الحق ، لا بالباطل .

وقضاء الخلق: أن خلق اللهُ الباطل غير الحق، وجعل الباطل، خلاف الحق. وجعل الباطل قبيحا ، أى خلق ذلك قبيحاً .

وقضاء العلم : بأن علم أن فعل للعاصى قبيح ، والطاعة حسن .

وقضاء الكتاب: بأن كتب أن أهل المعاصى سيعصون ويفسدون . ولم يقض الله بذلك ، آمرا به ، بل قضاه ناهيا عن فعل القبائح والمعاصى ، لا يخرج العبـــاد من قضاء الله وقدره . وعلمه بهم محيط ، وهم صائرون إلى مشيئته ــ كما شاء وعلم .

فإن قيل : أفأحبَّ الفساد والفحشاء والمنكر ؟

قيل له : بل سخطه وقبّحه ، ونهى عنه وذم فاعله .

فإن قال: وكيف تقول : قضاه ؟

قيل له : قضاه معصية قضى الكتاب ، وقضاه معصية ، ومنكرا وقبيحا قضى حُكمٍ . حَكم أنه كذلك. وقضى علمٍ بأن علم : أنه سيكون ممن كسبه .

فإن قال: فأراده ؟

قيل له: أراده مسخوطا منهيا عنه ، ولم يرده طاعة ولا حسنًا .

فإن قال : فقدّر ذلك ؟

قيل له : قدر ذلك : بأن جعل المعصية معصية منهيا عنها ، والطاعة طاعة مأمورا بها .

فإن قال: فهل قضى الله المعاصى ؟

قيل له : نعم قضاها ، بأن قدرها وخلقها وكتبها ، كما قال تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لَتُفْسِدُنَّ فى الأرض مرّتين » قضى كتابٍ وخلقٍ وعلمٍ ، كقوله تعالى « إلا امرأته قدرناها من الغابرين » ولا نقول : قضاها : أمر بها .

فإن قال : قضاء الله حق ؟

قيل له: نعم قضاء الله حق، قضاء حكم . والله يقضى بالحق . وقضى حق : قضى الخلق. وقضى حق: قضى علم . وقضى حق، قضى الكتاب . وقضى حق، مما أمر به، من الطاعة. وقضى حق : قضى خير .

فإن قال : قضى المعصية حق ؟

قيل له : إن أردت قضاه: بأن خاق المعصية خلافاً للطاعة ، كما خاق الأشياء وأضدادها ، فهو حق، إذ خلق المعصية خلافا للطاعة .

وإن أردت ـ عز وجل ـ كتب أنها تكون من العاصى منهيا عنها ، فحق كما كتب . فنعم .

وإن أردت أنه علم أن المعصية، خلاف الطاعة ، فنعم ذلك حق .

وإن أردت قضى للمعصية أمر بها ، فالله لا يأمر بالفحشاء والمنكر . بل أمر بالقسط، فلم يقض المعصية آمرا بها . ولكن قضاها معصية منهيًا عنها قبيحة، معاقبا عليها فاعلها .

فإن قال : أفترضى بقضاء الله الكفر ؟

قيل له : أرضى بقضاء الله للكفر ، بأن جعل الكفر قبيحا ، خلافا للإيمان الحسن . وأرضى بقضاء الله الذى هو حُكم ، على أن حَكم بأن فعل مَن فعل كذا وكذا كفر، ولا أرضى بفعل الكافر وعمله بالكفر ، الذى ذمه الله وقبَّحه وسخطه . فقد رضيت بقضـــاء الله ، فيما حكم به على أهله ، وكلفهم إياه ، خلافا للطاعة . فأخبرنا أنت : هل علم الله من يدخل الجنة، ومن يدخل النار ؟

فإن قلت : لا ، كفرت .

وإن قلت : نعم .

قلنا : فأراد إنفاذ ما علم أم إبطاله ؟

فإن قلت : بل أراد إنفاذ ما علم، خصمت نفسك .

وإن قلت إبطاله ، خالفت الحق .

والدليل على أن البارئ تعالى ، قضى بالكفر والمعاصى وجميع الفحشاء والمنكر ، وأراد ذلك على الوجه الذى قدمنا ، لأنه تعالى ، لو لم يقض به ، ولا أراده ، ولا شاءه ، لكان يكون فى ملكه وسلطانه ، ما لم يشأ كونه ، ولم يرد كونه، فى ملكه وسلطانه ؛ حتى كوّنه المكونون، فى ملك الله ـ عز وجل ـ وسلطانه، وملّكوه. وبارئهم لم يرد ذلك ، ولا شاءه ، ولا أراد كونه فى ملكه وسلطانه، ولا شاء كونه فى ملكه وسلطانه ، حتى كان هكذا . فهذا كالمغلوب ، على أن ملّكوه ما لا يشأ ملكه . وكالعاجز الذى كوّنوا فى ملكه ما لم يشأ كونه ، ولم يرد كونه ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فدل ذلك : أن لايكون شىء فى ملك الله وسلطانه ، إلا وقد علم ذلك ، وشاء كونه فى ملكه وسلطانه . وأراد كونه فى ملكه وسلطانه .

وإنما أراد الله الكفر والمعاصى والقبائح والفساد . كل ذلك أراده ، بمعنى أنه لم يُغلب ، على كون جميع ذلك ، فى ملكه وسلطانه . ولم يرد ذلك إرادة الأمر: أنه تعالى أمر عباده بذلك ، راضيا به، بل أراده أن يكون مسخوطاً فاسداً قبيحاً ، معصية ممن فعله ، معاقباً عليه صاحبه . أراد كون ذلك خلافا ، لكون ما أمر به تعالى ، من الطاعات .

فكل شىء نهى عنه فهو ضد ، لما أمر به .

فالكفر المنهى عنه ، أراده أن يكون ضد الإيمان المأمور به ، والمعصية المنهى عنها ، أرادها أن تكون ضد الطاعة المأمور بها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والتسعون

فى من قال : إن الله أمر بالإيمان ولم يرده ونهى عن الكفر وأراده

يقال : لمن قال : أن الله أمر بالإيمان ولم يرده ، ونهى عن الكفر وأراده : إن الله تعالى يجل أن يوصف بما وصفته به ، لأن هذا قول فحش قبيح . والله تعالى يجل عن ذلك ، لأن هذه الصفة ، ليست بصفة إله حكيم عليم . ولا يصف الله تعالى ، بهذه الصفة ، إلا جاهل ولكن البارئ تعالى ، أمر بطاعته ، ونهى عن معصيته . وأراد الطاعة ممن أتى بها طائعا ، لا مكرها ولم يردها ، ممن لم يأت بها ونهى عن المعصية وقبّحها .

فمن عمل بالمعصية ، فقد عمل بما نهاه الله عنه ، وقبحه ، وأراده أن يكون فعلا قبيحاً ، لا طاعة ، ممن أتى به . وأراد الطاعة حسنة ، إرادة أمرٍ ، أمر بها . وأراد المعصية قبيحة ، منهيا عنها . ولا مخرج للعباد ، مما علم الله ، وإرادته ومشيئته. فلا يكون إلا ما شاء الله ، وأراد ربنا وعلم ـ تعالى وجل ـ له الملك والخلق ، يفعل ما يشاء . وقد قال تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله الله رب العالمين » .

فكل مشيئة ، خالفت مشيئة الله ، فهى ضائعة .

فدل أنه لا يكون فى ملكه وسلطانه ، إلا ما شاء وعلم ، وأراد كونه ، على الوجوه التى بيناها ، والتفاسير التى أوردناها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والتسعون

فى الرد على من قال : إن الله أراد الإيمان ولم يرد الكفر

يقال لهم : أتقولون : إن الله أراد الإيمان ، ولم يرد الكفر ؟

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فأراد أن يكون الإيمان خلاف الكفر ؟

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فأراد أن يكون الكفر خلاف الإيمان ؟

فإن قالوا : لا .

قيل لهم : فأراد الإيمان خلاف الكفر ، ولم يرد أن يكون الكفر خلاف الإيمان ، فأراد أن يخالف شيئا ، لا يريد أن يخالفه ذلك الشىء ؟

فإن قالوا : نعم . كابروا .

ويقال لهم : هل علم الله بمن يؤمن ومن يكفر ؟

فإن قالوا : لا . كفروا .

وإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فأراد إنفاذ ما علم أم إبطاله ؟

فإن قالوا : إنفاذه ، خصموا أنفسهم .

وإن قالوا : إبطاله ، كابروا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والتسعون

فى مقالة المعتزلة فى إرادة الله

المعتزلة رجلان: أحدهما يقول : إنما أراد الله من أفعال عباده غير الأمر بها .

والآخر : يقول : لم يرد الله من أفعال عباده ، الأمر بها .

فمن ذهب إلى الأمر،لزمه ـ إذا لم يكن للبارىء أمر بأفعال الأطفال والمجانين ـ أن يكون كارهاً لها ، إن كان يجب أن تبقى أفعال العباد ، لإكراهه . والله تعالى لا يكره إلا معصية ، كما لاينهى إلا عن معصية .

وإن لم يكن هذا هكذا عندهم ، بطل ما قالوه . وهذا يوجب : أن كل مباح معصية .

ومن ذهب إلى إرادة الله ـ عز وجل ـ لأفعال عباده ، غير الأمر بها . قيل له : إذ كان يجب أن تبقى الإرادة لأفعال عباده الكراهية . فهل أراد الله تعالى ؛ كون الأفعال التى ليست بمعاصى ولا طاعات ؟

فإن قال : نعم .

قيل له : فيلزمك أن تكون طاعة ؛ لأن الطاعة عندك إنما كانت طاعة للمطاع ؛ لأنه أرادها .

فإن قال : لم يُردها .

قيل له : فيلزمك أن تقول : إنه كاره لكونها تكريها . وهذا يوجب أن تكون معصية ، لأن ما كره الله تعالى، فهو معصية عندك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والتسعون

فى بيان النهى عن المعصية
مع إرادة الله لها وعلمه بها

إن قيل : ما معنى النهى عن المعصية، وقد أرادها الله وعلمها ؟

قيل له : لو لم يكن نهيا ولا أمرا ، لم تكن معصية ، ولا طاعة . وإنما نهى عن المعصية ، وقد أرادها وعلمها أنها تكون إذ نهى عنها ؛ لأن النهى لو لم تكن معصية، لكان لا فائدة فيه . وكذلك أراد أن تكون معصية أرادها، وعلم أنها ستكون إذ نهى عنها .

وكذلك إن سألوا ما وجه إرسال الرسل ، وقد علم أنهم لايؤمنون ، وأراد أن لايؤمنوا ، إذ أرسل إليهم الرسل ؟

وإنما أرسل الرسل ، ليكونوا حجة على من لم يؤمن . وليس للناس على الله حجة . وإنما هذا عدل من الله ، وحكمة بالغة، لأنه تعالى يقول «وما كنا مُعَذِّبِينَ حتى نَبعث رسولا » ولله الفضل والمنة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والتسعون

فى قضاء الكفر ثم يُعَذِّبُ عليه

قال المؤلف : فإن قيل : هل رضى الله المعاصى ؟

قيل : لا . قال الله تعالى : « ولا يرضى لعباده الكفر » .

فإن قال : كيف قلتم : أرادها ، ولم تقولوا : رضيها وأحبها ؟

قيل له: إن الرضى بالفعل والمحبة ثواب من الله، ومدح له. والله تعالى لايمدح المعاصى، ولا يثيب عليها . والإرادة صفة الله فى ذاته .

ومعنى قولنا أرادها أنه لم يغلب عليها ، ولم يكره على كونها . فلذلك قلنا : أرادها ، ولم نقل رضيها، ولا أحبها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والتسعون

في قضاء الله للكفر ثم يعذب عليه

إن قالت القدرية : أيقضى الله بالكفر ، ثم يعذب عليه ؟ فهذا توهم أن الله تعالى ، قضى بالكفر على الكافر : أنه أجبره عليه . وليس ذلك كذلك . ولكن معنى قولنا: قضى على الكافر بالكفر: أى خلقه الله على يديه . فقضى الله بالكفر ، أى خلق الله الكفر . وكذلك قدر الله عليه الكفر . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والتسعون
فى خلق الله أفاعيل العباد
والرد على القدرية فى إنكار ذلك

اختلف الناس فى أفعال العباد على ثلاث فرق .

فرقة قالت : العبد مكتسب ، وكسبه خلقه لأفعاله . ولا تعلق بقدرة القديم ، بأفعال العباد . وهى المعتزلة . فجعلوا العبد خالقا ، مخترعا لأفعاله .

وفرقة قالوا : ليس بمكتسب لشىء ، ولا قدرة له ، فهو كالباب ، إذا حرك تحرك .

وفرقة قالت: إن الله تعالى خلق أفعال العباد ، مخترعا لها . والعباد مكتسبون لها . فعلى هذا الأصل، يكون الفعل الواحد مخلوقا مكتسباً ، فى زمن واحد .

فمن قال: إن الفعل خلق العباد ، جعل مع الله خالقا غيره . والله تعالى يقول : « هل من خالقٍ غيرُ الله ـ الله خالق كل شىء » .

ومن نفى القدرة عن العباد بالكلية ، أسقط تكليف الشرع ؛ لأن الشرع راع للقدرة فى التكليف وقال الله تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

ومساق مذهب هؤلاء: أنه لا فرق بين تكليف الصلاة ، وتكليف الطيران فى الهواء .

وأما القائلون : إن العبد مخترع لأفعاله . فقولهم باطل ؛ لأنهم جعلوا أنفسهم شركاء لله فى الخلق . والله تعالى يقول : « هل من خالق غير الله » وقال: «خلقوا

كخلقه » يعيرهم بذلك . فكيف يكون أحد من خلقه ، خالقا كخلقه ـ تعالى الله ـ أن يشبهه أحد من الخلق والاختراع ، مع أن الخالق من شرطه أن يكون عالما بتفاصيل ما خلق. وقد قال الله تعالى : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

والعبد لو سئل عن إعداد حركاته ، فى ليله أو نهاره، ما علم ذلك. وقد يتحرك مع شهوة للحركة . فكيف يكون خالقا لها ، وهو لها شاه مشتهٍ ؟ . فكيف يكون خالقا ، من كان ساهيا عن مخلوقاته ؟ وقد يفعل الأشياء وهو ، فى حال فعلها ، ناسيا للقصد الذى يريده ، ولا يقدر يذكر ، ليرجع إلى سبيل القصد الذى أراد العمل له ؟ فكيف يكون خالقا لأعماله ، ويفعل الأشياء على أنها صواب ، فيأتى بالخطأ ، فكيف يكون خالقا لأعماله ، ولكن أعمال العباد من الله : خلق ، ومن العباد : اكتساب : عمل وكسب والله خالق كسبهم، فى حال ما يكسبون لا قبل ذلك، ولا بعد ، فهذا قول المسلمين .

فإن قال : أليس تقولون : إن ماخلق الله فقد فعله وصنعه ؟

قيل له : نعم . نقول ذلك فى جملة الأشياء ، ولا نقول ذلك مطلقا وفى بعض الأشياء مطلقا فى ذلك .

فإن قال : أليس تقولون : إن الله خالق الكفر ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : أفتقولون : إن الله فعله وصنعه ؟

قيل له : لا نطلق بذلك. ألا ترى أنا نقول: إن جهنم قذرة . ولا نقول : إن الله صنع الأقذار . و يقال : خلقها ؛ لأن خلقها اسم تعظيم ، فى كل شىء . وصنع

ودبّر الأقذار والقبائح تهجين . فنفينا عن الله تعالى كل إضافة تهجين . ألا ترى أنا نقول: إن الله يوجد كل شيء. ولا نقول: إن الله يوجد الحر والبرد ، والأذى والمكروه لأن جملة القول: إن الله يوجد الأشياء ،يوجد العلم بالأشياء والإحاطة بها.

وإن قال : أتقولون : إن العبد فعل الكفر ؟

قلنا له : نعم . على معنى أنه كفر .

فإن قال : أفتقولون : إن العبد فعل خلق الله ؟

قيل له : لا ؛ لأن ذلك يوهم أنه خلقه .

فإن قال : متى خلق الله تعالى الفعل ؟

قيل له : في حال مايكسبه ، لاقبل ذلك ، ولا بعد .

فإن قال : أفيجوز أن يخلقه الله ، ولا يكسبه العبد ، أو يكسبه العبد ، ولا يخلقه الله ؟

قيل له: لا يجوز أن يكسبه العبد، ولم يخلقه الله ؛ لأن في ذلك إيجادا لفعل كان، بعد أن لم يكن، ولم يخلقه الله ؛ لأن ذلك محال أن يكون محدثا وقع وليس الله هو المحدث له، كما يستحيل أن يكون مملوكا ومربوبا في العالم،لم يملكه الله. ولا يكون ربه.

قال المسلمون : إن الله تعالى خلق الطاعة والمعصية وقدرها،وقضاها مع الفعل، لا من قبل ، ولا من بعد . فليس لله شريك ، فيما قضى وقدر . ولم يؤت العبد ،من قبل خلق الله وقدره وقضائه . ولكن أوتى من قبل اكتسابه للمعصية، ومخالفته الأمر، وإيجاد الحجة عليه . ولم يزل الله تعالى مريداً لذلك . فالطاعة : إرادة رضى ومحبة وعلم ومشيئة . والمعصية : إرادة علم ومشيئة ، لا إرادة أمر ، ولا رضى ، ولا محبة .

والدليل على خلق الأقوال ، من كتاب الله ـ عز وجـل ـ : قوله تعالى : « وأسِرُّوا قولـكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

يقول : كيف لا أعلم القول الذى يخفون ، وأنا خلقته ؟!

وقال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختـلاف ألسنتكم وألوانـكم » فأوجب اختلاف الألسنة وهى اللغات . واختلاف لونها خلق من خلقه . وكل ذلك كلام . والخلق يُحمدون على الصواب منه؟ ويُذمون على الخطأ . فجعل اختلاف الألسنة آية من آياته ، كخلق السموات والأرض .

والدليل على خلق الأعمال ، من كتاب الله : قوله تعالى : « قدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما » فأضاف إلينا فعلا . وقال : أنا خلقته وقدرته .

وقال تعالى : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » فجعل ابتغاءنا الذى أمرنا به ، من آياته . فهو من فعلنا .

والدليل على خلق الأعمال ، من كتاب الله : قوله تعالى : « لقد جئتم شيئاً إدًّا » وأعمال العباد شىء .

وقال : « وكل شىء فعلوه فى الزبر . وكل صغير وكبير مستطر » .

وقال : « إنا كلّ شىء خلقناه بقدَر » .

وفى قوله لنا : بأن جعل لنا سرابيل تقينا الحر ، وتقينا بأسنـا ، وهى عمل يعملها بنو آدم . وقال تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » .

فإن قالوا : إنما قال : « وما تعملون » من الخُشُب التى تتخذونهـا أصناماً من الخشب .

قيل لهم : لو جاز لكم أن تقولوا : إنه خاص للأصنام والخشب ، دون ما كانوا يعملون من السيئات ، جاز لغيركم أن يزعم ، أنه خاص لتلك الأصنام والخشب ، التى خاطب إبراهيم فيها قومه ، دون غيرها ، من الخشب والأصنام .

فإن قال قائل : كل خشب وصنم ، فهو مخلوق .

قيل له : وكذلك كل ما تعملون من الأصنام والأفعال ، من الطاعة والمعصية . فكل ذلك مخلوق .

والدلالة من كتاب الله – عز وجل – على أن العمل مخلوق ، والأفعال التى يفعلها العبد كلها مخلوقة خلقها الله تعالى ، فهى من الله : خلق ، ومن العباد : عمل.

والدليل على خلق الأفعال ، من كتاب الله : قوله تعالى : « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » فثبت أن الله يصيب الكافرين بأيدى المؤمنين ، فيكون فعل المؤمنين بالكفار ، من القتل والجراحة ، مصيبة أصابهم الله بها . وأضاف ذلك إلى الله أنه أصابهم بها ، على أيدى المؤمنين . فذلك فعل الله : إصابته إياهم بتلك المصيبة . وهو فعل للمؤمنين. فدل أن الأفعال من الله خلق ، ومن العباد عمل . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والتسعون

فى الدليل على خلق الفعل من السنة

الدليل من السنة ، على أن الأفعال مخلوقة : قوله ﷺ : ما خلق الله خلقا أحب إليه من العتاق ، ولا أبغض إليه من الطلاق .

وقال ﷺ : لو أن الناس نظروا إلى الرفق، لرأوا خلقا حسناً، لم يروا خلق شىء أحسن منه . ولو نظروا إلى الخرق ، لم يروا خلق شىء أقبح منه .

والرفق: فعل الرفيق . والخرق : فعل الأخرق . فقالوا: إن الله تعالى خلق فعل الرفيق وفعل الأخرق .

وقال ﷺ : إن الله تعالى خلق كل صانع وصنعته .

فإن قالوا : إذا زعمتم أن كسبكم خلق الله ، أفتزعمون أنكم اكتسبتم ما خلق الله ؟

قيل له : إنا اكتسبنا ما خلق الله كسباً لنا ، ولم نكن مكتسبين الأجسام، ولا لسائر ما خلق الله ، لأنها ليست بكسب لنا ولكنا مكتسبون للشىء الذى خلقه الله كسباً لنا ، ولم نكتسبه خلقا لله ــ عز وجل . وذلك أنا لم نكسبه خلقا لنا خلقناه ، فنكون خالقين له . وإنما اكتسبنا شيئاً ، خلقه الله .

فإن قالوا : وقد قال الله : « وتخلقون إفكا » .

قيل له : ذلك : الإفك: الكذب . يقول : تدّعون باطلا إفكا . والباطل: الكذب . وقوله تعالى: « إن الذين جاءوا بالإفك» فهو الكذب، فى قذف عائشة ــ رضى الله عنها ــ إنما ادعوا باطلا إفكا .

فإن قالوا : أفيعذب الله العباد ، على الكفر الذى خلقه كفرا منهم ؟

قيل له : إن الله يعذبهم على الكفر ، الذى هو خلق منه لهم ، وكسب منهم للكفر ، كما أنه تعالى يعذبهم ، على الكفر الذى هو معلوم لله ، لا أنه علمه . ولم يعذب الله العباد ، لأنه خلق الكفر منهم كسباً لهم . وإنما عذبهم على كسبهم للكفر ؛ لا لأن الله خلقه ، بل لأنهم عملوه وكسبوه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب المائة

فى تفسير قولهم : يجب الإيمان بالقضاء وخيره وشره

وسألت عن القدر ، خيره وشره . فما خير القدر ؟ وماشره ، الذى يلزم العباد أن يؤمنوا به ؟

فاعلم أن القدر : هو الخلق . تقول : قدر الله وخلق الله فهذا هو القدر . وخيره وشره : كل خير وكل شر ، يلزم العباد أن يعملوا ، ويصدقوا ويؤمنوا أن الله خالق كل خير وكل شر . والكفر من الشر . والإيمان من الخير .

* * *

الباب الحادى والمائة

فى بيان من استحق أن يلقب بالقدر ومن أولى بذلك

اعلم أن الناس فى زمن النبى ﷺ كانوا كلهم ، على ملة واحدة ، ومذهب واحد ، فى قولهم بالقدر ، وإقرارهم بالقضاء والقدر ، خيره وشره كله من الله ، حتى ادعت القدرية لأنفسها ، أن المشيئة والقدرة إليهم ، وأنهم فى اكتسابهم ذلك ، وأعمالهم ، أنهم يقدرونها ويفعلونها ويخلقونها ، مقدورة لهم ، دون خالقهم تعالى . وأن الله لم يخلق إيمان المؤمنين ، ولا أفعالهم ، ولا حركات أهل الجنة وتلذذهم ، ولا حركات أهل النار ، ولا طيران طير فى طيرانه ، ولا دبيب ذر النمل ، فى حركاته ، ولا حركة بهيمة ، ولا حركات كل متحرك ، ولا الإيمان والكفر ، ولا الطاعة والمعصية . وأن الأمور مفوضة إليهم ، يخلقون أفعالهم . فصار القدرى هو الذى يدعى ذلك لنفسه ، كما أن الصائغ هو من يعرف أنه يصوغ دون من يزعم أنه يصاغ له . نعوذ بالله من الضلال ، وكل ما تحبط به الأعمال . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والمائة

فى الامتحان وجهه والحكمة منه
والرد على من أبى حكمه

الامتحان على وجهين. فوجه أن يمتحن، ليعلم بامتحانه، ماخفى عليه . ووجه لإيجاب الحجة ، وقطع العذر . والبارئ تعالى ، عالم بالخلق وما تئول إليه عواقبهم، فلا يمتحنهم بشىء خفى عليه من أمرهم، ولكن مبتليا لهم بالفرض ، ليثيب بالطاعة من أطاعه ، ويعذب بالمعصية من عصاه .

والحكمة من هذا الاختبار والامتحان : أن فى الشاهد لا ينبغى للحاكم أن يحكم بعلمه ، من غير إقامة المدعى البينة أو يمين المنكر ؛ لأنه إذا حكم بعلمه ، دون ظهور وجه الأمر فيه لغيره ، اتهم بالميل إلى الجور . فبمثل هذا عامل الله عباده فأراد البارئ تعالى أن يظهر فيهم معلومه ، لا ليُتَّهم بالميل ، وينسب إلى الجور ، كما قال تعالى : « فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذين صَدَقوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين » معناه : فليظهرن الله معلومه فى الذين صدقوا ، وليظهرن معلومه فى الذين كذبوا . فهذا الامتحان والاختبار . وبالله التوفيق .

• • •

الباب الثالث والمـائة

فى التكليف ووجهه

والحـكمة فى ذلك التكليف على معنيين : معنى تجوز إضافته إلى الله . والآخر لاتجوز .

فالذى تجوز : هو الذى كلفهم ، حسب طاقتهم ، ليبلغوا منافـع لهم ، دون مآرثهم .

والذى لاتجوز : هو أن يكلفهم ، لحاجته إلى ما يكلفهم . تعالى الله عن ذلك؛ إذ لم يزل البارىء غنيا عن جميع العالمين .

مسألة فى الحـكمة من التكليف :

قال بشير بن محمد محبوب ـ رحمه الله ـ فى بيان حكمة التكليف ـ إنا وجدنا العقول ، بها زمام الطباع ، وآله البيان ، وعنان العرفان .

وعلة العرفان بها : تبيُّن حسان الأمور وقبيحها،وفاسدها وصحيحها ، والتمييز بها والحـكمة ماشرف فيها . والخواطر فى تبيينها لها ، والفـكر ثمـارها . ذلك تقدير العزيز العليم . خص به الإنسانية من خلقه ، وفضل به المـكلفين من خلقه ؛ ليبلغوا منافع لهم ، وأعدمهم العجز ، كما كلفهم ، حجة عليهم ، وحكمة بالغة فيهم، وفضل عظيم لهم ، مع قدرته على اتصال ماعرضهم لعباده ، وغناه عنهم وعنها منهم فحسن مع ذلك تـكليفهم ؛ لأنه لا يجوز فى الحـكمة ، شكر من لا يستحق الشاكر ، بإحسان كان منه ، مع لذته لذلك ، وقدرة الشاكر على شكره . ولذلك لم يجز أن يبتدىء عباده بالشكر لهم ، واتصال اللذة بهم إليهم ، من غـير أن يكون منهم

فعل يستحقون به شكره إياهم ، وإن كان قادرا على فعل ذلك بهم .

وكذلك ما أدخله من المكاره على أطفالهم ، لايجوز فى الحكمة ابتداؤهم بما يعوضونه به منه ؛ لأن العوض استحقاق بما نالهم بما يستحقون، لايجوز كونها بغير مايستحقون .

ولما كان خلقه إياهم لينتفعوا حكمة ، كان الإحسان إليهم كذلك . وكان الكفر منهم كذلك ،فى عقولهم . وكان الشكر به حسنا منهم ، ترك هذا الشكر.

ولما كان ذلك كذلك ، كان الأمر بهذا الشكر ، والترغيب فيه حسنا .

ولما كان ذلك حسناً ، كان تركه قبيحاً . ولما كان تركه قبيحاً ، كان النهى عن تركه حكمة ، لأن ما كان حسنا، فحسن الأمر به. وما كان قبيحا، فحسن التزهيد فيه منهم ، والنهى عنه . ولئن يكون الترغيب إلا بعدمهم، المرغب لهم فيه بعدمهم: أنه يحرم ذلك من كفره ، ولم يرغب .

وإذا كان كذلك ، لم يجز فى الحكمة أن يساوى بين الشاكر والكافر ، ولايعطى أحدهما مايعطيه الآخر منهما .

ولو كان ذلك كذلك ، مارغب الراغب فى الشكر ، ولا زهد الزاهد فى الكفر ، إذا كان ينال أحدهما من اللذة ، ماينال الآخر منهما .

ولو كان ذلك ، لكان لا معنى للترغيب فى الشكر ، والتزهيد فى الكفر ، دون الترغيب فى الكفر ، والتزهيد فى الشكر .

ولو كان ذلك كذلك ، لكان لا فرق فى العقل بين الحسن والقبيح، والفاسد والصحيح .

ولما لم يكن ذلك كذلك، صح أن الذى يستحق بالشكر من الثواب، لايجوز أن يعطَى من لا يستحق ذلك بشكره وطاعته .

وكذلك حسن التكليف ، وإن كان ذلك متعينا للمكلفين ، إذا كانوا ينالون منه نفعاً ونعماء، لايجوز فى الحكمة ، أن ينالوه من غير أن يستحقوه ، لفعل ما كلفوه ، وإن كان الله تعالى قادرا ، على أن يفعل ذلك بهم ، ويوصله إليهم .

والتكليف على معنيين . فمعنى تجوز إضافته إلى الله تعالى . ومعني لا تجوز .

فالذى تجوز : هو الأمر . هو تكليفه ـ عز وجل ـ عباده أوامره ونواهيه ، وطاعته وفرائضه، حسب طاقتهم .

والمعنى الذى لايجوز : هو إنزال المكلِّف حاجته بالمكلَّف وهذا غير جائز على الله ، أن يكون تكليفه العباد ، لحاجة به إلى ما كلفهم ، إذ كان الله تعالى غنيا عن جميع خلقه . وكل إليه محتاج مفتقر ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

• • •

الباب الرابع والمائة
فى لزوم التكليف
وأقسام اللازمات فيه

لزوم التكليف من كتاب الله قوله تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » .

ووجوب التكليف على المكلف ، على طريقين: طريق عقل ، وطريق نقل.

فطريق العقل، ينقسم قسمين: أحدهما معرفة الله تعالى أنه واحد، وعالم وقادر، ونحو ذلك . فعلى المكلف عند ذكر ذلك وسمعه، اعتقاده وعلمه ، غير معذور بجهله، بجملة، ولا الشك فيه .

والقسم الثانى : ما فيه الاختلاف بين الناس ، مثل عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، وعالم بنفسه ، وقادر بنفسه . فحجة هـذا تلزم بالسؤال، وبعد الاستدلال . وعلى الشاك فيه ، لا يعتقد تحولا من قول المختلفين ، بغير دليل . وأن يكون متمسكا بالجلة . وهى أن الله تعالى واحد، ليس كمثله شىء .

وأما ما كان طريقه طريق النقل، وهو السمعى . فغير لازم فرضه، ولا هالك من جهله، إلا بعد قيام الحجة عليه ، بالخبر المنقول إليه .

فأما ما طريق سمعه من ذلك ، لزمه فرضه ، إن كان مفسّرا فى نفس اللفظ المنقول . وإن كان مجملا ، فإلى أن يسأل العلماء عن تفسيره بخطئه . وما لم تقم على المكلف حجة ، ولم تبلغه دعوة ، فهو سالم بجهله ، فيما كان طريقه طريق السمع ،

من رسالة الرسول ، وعلم الفرائض ، ومشاهدة الرسول ليست بحجة حتى يُظهر له معجزة على دعوى النبوة ، ويدعوه إليه من الإيمان به . فلا تلزم حجة الرسول من غير إظهار معجزة .

والتكليف ثلاثة أقسام : فقسم أمر المكلفون باعتقاده . وقسم أمروا بفعله. وقسم أمروا بالكف عنه .

وما أمروا باعتقاده ، فقسمان : قسم إثبات ، وقسم نفى .

فأما الإثبات فإثبات توحيد الله وصفاته ، وتصديق رسوله ﷺ فيما جاء به .

وأما النفى ، فنفى الصاحبة والولد والأشباه والحاجة والقبائح أجمع ، عن الله ـ عز وجل ـ وهذان القسمان، هما أول ما كلفه العقل .

وأما ما أمرهم الله بفعله، فثلاثة أقسام: فقسم على أبدانهم، كالصلاة والصيام وقسم فى أموالهم ، كالزكاة والكفارات . وقسم على أبدانهم ، وأموالهم جميعا ، كالحج والجهاد .

وأما ما أمرهم بالكف عنه ، فثلاثة أقسام : فقسم لإحياء أنفسهم ، كنهيه عن القتل ، وأكل الحيات والسموم، وما يؤدى إلى فساد أبدانهم وأديانهم .

وقسم لأنفالهم، وصلاح ذات بينهم، كنهيه ـ عز وجل ـ عن الغضب والظلم والبغض، وما أشبهه .

وقسم لحفظ أنسابهم ، وتعظيم محارمهم ، كنهيه ـ تعالى ـ عن الزنا وتحريم ذوات المحارم .

والتعبد مأخوذ من عمل متبوع ، وشرع مسموع .

فالعقل متبوع، فيما لا يمنع منه الشرع .

والشرع مسموع، فيما لم يمنع منه العقل ، لأن الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل والعقل يتبع، فيما لم يمنع منه الشرع .

وكذلك توجه التكليف إلى من كمل عقله . والأحكام العقلية ، لا تكون أصولا للأحكام الشرعية . ولا تشبه الأحكام الشرعية الأحكام العقلية . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والمائة

فى تكليف المنفرد عن الناس ، وشبه ذلك
وما يجب عليه من ذلك

من كان فى جزيرة لا علم له بالناس ، ولا الشرائع فعليه فى حال التكليف : أن يعلم أن له خالقا خلقه ، وصانعا صنعه ودبره . يقسم له دليل ذلك ، من طريق العقل ، على ما يراه من خلق نفسه ، ويعلمه من خلق السموات والأرض ، والليل والنهار ، واختلاف الأحوال .

ويجب عليه الكف ، عما قبح فى عقله ، من مثل قتل الحيوان ، وأكل لحومها ، لأن إيلام الحيوان ، وقتل ذوات الأرواح ، قبيح فى العقل ، لولا جواز ذلك بالشرع ، لما حسن أن يأتى إلى ذى روح مثله ، يقتله ويأكل لحمه .

وعليه إذا رأى رجلا ، يقتل ذوات الأرواح ، أن ينكر عليه ؛ لأن ذلك الفعل فى العقل جور ؛ لأنه لو أتاه آت ، يريد ألمه ، لكان يرى ذلك جورا فى العقل .

والزنج الذين هم بسفالة وغيرهم من أطراف الأرض الذين لم يبلغوا ، ما بلغ غيرهم من أهل الإسلام ، عليهم أن يعرفوا بعقولهم أن الأشياء التى يرونها ، لها خالق ومدبر وليس كمثله شىء ، لا عذر لهم من ذلك .

وإن كان جائزاً فى عقولهم ، وحسنا ليس بقبيح ، أن يكون لهذا الرب رسولا ومعبر . فعليهم أن يسألوا عن ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والمائة
فى تكليف الكفار

إن الله تعالى كلف عباده ، العقلاء البالغين ، من الجن والإنس أجمعين ، هذا التكليف الاختيارى، المتقدم ذكره . وإنما كفر من كفر، من الجن والإنس؛ لسوء اختيارهم لأنفسهم الكفر ، واستحبابهم له ، على الإيمان والعمى على الهدى.

فأولهم إبليس أبو الجن ، وأولهم آدم أبو البشر وحواء . لولا أن تداركهما الله برحمة منه ، حتى تابا لله ، لكانا من الهالكين . وأولهم : قابيل قاتل هابيل فالكفار أجمع مكلفون .

وقيل لأبى محمد عبد الله بن محمد بن بركة : تكليف من علم الله أنه يؤمن أو يكفر حسن ؟

فقال : نعم .

وإنما تكون الطاعة طاعة ، والمعصية معصية ، من قبل الأمر والنهى . فأما بموافقة الإرادة والمراد ، فلا تكون طاعة ، لموافقة العلم .

وذلك لأن الله مكننا وكلفنا الطاعة لحسنها . ونهانا عن المعصية لقبحها . فصرف العبد منا تلك الطاعة ، وتلك الاستطاعة ، إلى ما أحب واختار ؛ لأنه مختار . لذلك خلق من غير إجبار ، أجبره الله ، على فعل من الأفعال . فهو محمود مذموم. فإنما فعل ما أمر، أو نهى، باختياره . والله الخالق لجميع ما يحدث من فعله، فى حال فعله .

قيل له : فيقدر من علم الله منه المعصية ، وأراد خلقها منه ، أن يفعل خلاف ماعلم الله ؟

قال : لا .

قيل له : فإذاً هو مجبور .

فقال : ليس بمجبور . وإنما قلنا : لا يقدر على فعل ما علم الله ، أن لا يفعله ؛ لتشاغله بما فعل ، مما أمر به ، أو نهى عنه .

فأما إن ترك ما اختار ، فهو قادر على فعل ما اختار ، فى الحال التى هو مختار فيها الفعل الثانى . فهو لشغله بفعل ، لا يقدر على فعل آخر . ولكنه قادر على ترك ذلك ، فى حال تركه ، من غير مانع له ، من تركه ، ولا جابر يجبره . ولا حائل بينه وبينه ، من قبل الله . وإنما أوتى من قبل نفسه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والمائة

في بيان ما كلفه الله الكفار

اختلف أصحابنا في الكفار : هل مخاطبون بالعبادات والأحكام ، مثل المسلمين ؟ أم مخاطبون بأصل الإيمان أولا ، لا غير ذلك ؟ على وجهين :

أحدهما : غير مخاطبين إلا بأصل الإيمان، لا بصلاة ، ولا بصوم ، ولا زكاة ، ولا حج . فإذا دخلوا في ذلك ، خوطبوا حينئذ بذلك .

وقال آخرون من أصحابنا : بل كلهم مخاطبون بذلك ، إذا كانوا كلهم معاقبين ، على ترك جميعه . ولكن فعلهم ذلك ، على ترتيب وتنزيل انظر إلى قوله تعالى : « فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » .

وأما المرتد فلم يختلف أصحابنا ، في أن حكم الخطاب ، في جميع ذلك كله ، يجرى عليه ، وإن كان مرتدا . ولهذا لزمه ما تركه ، من ذلك ، في حال ردته . وبالله التوفيق .

• • •

الباب الثامن والمائة

فى الحكمة فى تكليف من علم الله أنه لايؤمن من خلقه وهو يعلم أنه لايؤمن

وبيان ذلك

قال الملحدون : وكيف يجوز أن يكون البارىء الذى تسمونه حكيما ، وقد خلق خلقا ، ثم كلفهم ، مع علمه أنهم يعصون ، فيصيرون إلى النار ، فلو لم يخلقهم ما كفروا ، واستحقوا النار ؟

قال الموحدون : إن وجب أن يكون الخلق والتبليغ بالتكليف قبيحاً ، ولا يكون حكمة ، لكان لاشىء أوضع ولاأحسن من العقل ، ولاأضر منه ؛ لأن الإنسان متى لم يكن عاقلا، لم يلحقه لوم فى شىء ، مما يكون منه. ولم يلزمه عذاب. ومتى كان عاقلا ، لحقه ذلك . والأمة الموحدة والملحدة ، مجمعون على شرف العقل وفضله . وإنما كفر من كفر ، بسوء اختياره ، لا أن التبليغ والتكليف ، حملهم على ذلك

* * *

الباب التاسع والمائة

فى الرد على من قال : إن أهل الجنة مكلفون فى الجنة أم لا ؟

قال المؤلف : لو كلف الله أهل الجنة فى الجنة ، كما كلفوا فى الدنيا، كان الأمر من الوعد والوعيد ، كما كانوا فى الدنيا .

فإن قيل : إن فرض معرفة الله ، والشكر له ، لابد لأهل الجنة من ذلك .

قيل له : إن أهل الجنة ، لم يدخلوا الجنة ، إلا وهم عارفون بجميع ذلك . فبعد استقرار ذلك فىقلوبهم ، لا ينسون ذلك ، ليعاد عليهم التكليف مرة أخرى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب العاشر والمائة

فى الرد على من قال : هل ابتدأ الله الخلق فى الجنة وأرواحهم من التكليف ؟

قال المؤلف : لو ابتدأ الله الخلق فى الجنة ، لوجب فى الحكمة : أن يدعوهم إلى معرفته وشكره ، وأن لا يبيح لهم جهل معرفته، وكفر نعمته ؛ لأن فاعل ذلك غير حكيم .

ولو دعاهم إلى معرفته ، وشكر نعمته ، لم يكن بد من أن يتوعدهم على ترك ذلك ، وأن يقبحه عندهم بالزجر . وأن يفعل لهم من الترغيب فيه ، والترهيب من تركه ، مايقوم مقام الوعد والوعيد .

ولو أمرهم بمعرفته ، وشكر نعمته ، ووعدهم وتوعدهم، فقد كلفهم وامتحنهم . فكان الأمر يعود إلى ماهم عليه ، فى دار الدنيا ، من الامتحان والتكليف .

* * *

الباب الحادى عشر والمائة

فى القول فى ترك الله منع المعاصى مع القدرة على ذلك

فإن قال قائل : أفيكون حكيما ، من ترك عبده يعصيه ، ويعمل عملا ، يستحق به الخلود فى النار ، ولا يمنعه ، ويخلصه منه ؟

قلنا له : قد منعهم من ذلك أشد المنع ، وخلصهم منه ، بأفضل الخلاص : بأن زجرهم ، ونهاهم وتوعدهم بالنار ، وأراهم العبر والآيات والمَثُلات .

وأما الخلاص ، فقد أقدرهم على ترك المعاصى ، وجعل لهم السبيل إلى الطاعة ، وأعطاهم كل ما ينجون به من المعصية . وحذرهم ، ووعدهم وتوعدهم .

فإن قال : فهلا منعهم بالجبر والقهر ، وخلصهم بمثل ذلك ؟

قلنا : لو فعل ذلك بهم ، لم يستحق محسن ثوابا ، ولا مسىء عقابا . وكان لا معنى لخلقهم ؛ إذ لم يخلقهم لينفعهم . ولكان قد خلقهم عبثا ، وتركهم سدى — تعالى الله عن ذلك .

* * *

الباب الثانى عشر والمائة

فى العبادة واختلاف الناس فى كيفية خلق الله تعالى الخلق لعبادته

قال الله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ » الآية .

قال بعض المسلمين : المعنى فى ذلك : إلا لآمرهم بعبادتى .

وقال بعض قومنا : المعنى فى ذلك : أى وما خلقت صالحى الجن والإنس إلا ليعبدون .

وقال ابن عباس ــ فى قوله تعالى ــ : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» أى ليعرفونى .

قال بعض أهل الخلاف لدين المسلمين : ماخلقهم إلا لعبادته .

فمن زعم أن الله تعالى، أراد العبادة ، من جميع خلقه ، وأراد الطاعة من الجميع ؛ لأنه خلقهم لذلك ، ولم يفعلوا ، كان فى قياد قول هذا القائل : إن الجن والإنس ، فعلوا خلاف ما أراد الله منهم وكانت إرادتهم غالبة لإرادته فيهم، خلافا لماخلقهم له . وكانوا قد أكرهوه وغلبوه . وكان قوله تعالى ذلك ، غير صدق .

فلما فسد هذا بطل ما قالوه . ولو أراد الإيمان من العاصين ، ممن خلق ، من الجن والإنس جميعاً ، لآمنوا كلهم جميعاً . ولـكن لم يرد ذلك ؛ لأنه تعالى قد قال: «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً» يدل أنه لم يشأ الإيمان من الجميع.

فدل ذلك ، أنه لم يرد الإيمان إلا ممن آمن طائعا ، ولم يرد المعصية طاعة . وقد أراد المعصية ، أن تـكون ممن عصاه ، قبيحـة مسخوطة ، وأراد الطاعة ، حسنة مقبولة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث عشر والمائة

في كيفية اعتقاد بأدية العبادة لله ـ عز وجل

قيل : من عبد الله بالرجاء ، فهو مُرجى . ومن عبده بالحرف ،فهو حرورى. ومن عبده بالحب ، فهو زنديق . ومن عبد الله بالثلاثة ، فهو مستقيم .

وقيل : لاينوى أنه يعبد الله ، رغبـــة فى الثواب ، ولاخيفة من العقاب . وتكون نيته : أن الله مستحق أن يخضع له ؛ لأن من شأن العبد أن يخضع لمالكه وسيده . وعليه أن يعلم أن العبادة التى يعبدها اللهَ ، غير زائدة فى ملكه . وأن الله غنى عن عبادة الخلق . وعليه أن يعلم أن عبـــادته لله تنفعه ؛ لأنه متى قام بتأدية ما عليه ، استحق الثواب . وعليه أن يخاف الله ، فى التقصير والتضييع ؛ لأنه متى لم يقم بتأديه ماعليه وضيع ، استحق العقاب . فنفسه بدا ، وعن حظه عرا .

وقيل : من عبد الله بتوهم القلب ، فهو مشرك . ومن عبـد الاسم ، دون الصفة ، لابالإدراك . فقد أحال على غائب . ومن عبد المعنى ، بحقيقة المعرفة ، فقد أصاب .

قال المؤلف : إن الله تعالى واحد ليس كمثله شىء ، من صفات المخلوقين . وأنه لم يزل قبل كل شىء . وما سواه مخلوق محدث ، كان بعد أن لم يكن ؛ لأن على العبد أولا معرفة من افترض عليه المفترض ؛ لأنه لايؤدى المفترض ، حتى يعرف من افترض عليه الفريضة ، حق معرفته ؛ إذ لايجوز أن يتقرب إلى من لا يعرفه . ولا يخضع ويعبد ويعمل ، لمن لايعرفه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع عشر والمائة

فى حق الله على عباده المكلفين

حق الله على عباده المكلفين : أن يعرفوه ، ويوحدوه ويعبدوه ، ويشكروه ، ولا يكفروه .

فإن قيل : أراد الله هذا الحق منهم ؟

قيل له : أراده ، ممن يأتى به مطيعاً . ولم يرده ، ممن لم يأت به مطيعاً .

وقيل: والذى يريده الله من العباد : أن يعرفوه حق معرفته . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس عشر والمائة

فى أن الله تعالى كلف العباد استطاعتهم وطاقتهم
وذكر تكليف ما لا يطاق
ونفى ذلك عن الله ـ عز وجل

قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقال : « فاتقوا الله ما استطعتم » فيوجد فى قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » أى لا يؤاخذها ويطالبها .

قال المؤلف : الدليل على أن الله تعالى لم يكلف العباد فوق طاقتهم : قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » يعني من ضيق . ولو كان قد كلفهم ما لا يطيقون ، كان قد جعل عليهم أكبر الضيق ؛ لأنه لا ضيق أكبر ، من تكليف ما لا يطاق .

وأما ما سألت عنه ، من هل يجوز أن يكلف الله العباد ما لا يستطيعون ؟ فذلك على معنيين عندنا : أحدهما لا يجوز لقائل أن يقوله . والآخر جائز عدل . وهو قول المسلمين .

فأما الوجه الذى لا يجوز ، فإن الناس قد يكون لا يستطيعون ، للزمانة والأمراض ، بمنزلة المقعد ، لا يستطيع القيام ، لذهاب رجليه . والأعمى لا يستطيع البصر ، لذهاب بصره ، وما أشبه ذلك ، فلا يكون مستطيعاً ، ولا مأموراً . ومن كان لا يستطيع، لأنه آثر المعصية ، وشغل قلبه بها، فلم يستطع ماسواها؛ لأنه شغل

نفسه بها ، فهو مكلف . وإن لم يستطع ذلك لأن ذلك جاء من قِبله . فهذا دفع ، لما سأل عنه القدرية .

والدليل من العقل : أن الله لا يكلف العباد ما لا يطيقونه : أنّا وجدنا الله تعالى قد قبّح ذلك فى عقولنا ، لا لعلة ، من نهى أو غيره ، بل لنفسه . وما كان قبيحاً بعينه للأمر والنهى ، فلن يفعله فاعل ، كائنا من كان ، إلا كان غير موصوف بالحكمة ، إذا كان ذلك قبيحا فى العقل . بعينه ، لا الأمر ولا النهى . وما كان قبيحا بعينه ، قبيحا فى العقل ، فلا يفعله حكيم ، لا خالق ولا مخلوق . ولو جاز أن يكون ذلك قبيحا منا حسنا من الله ، إذ الخلق خلقه ، لجاز أن يكلف الزمِن العدْو ، ويكلف الأعمى النظر . وأن يقول لما لم يكن : إنه كان . ولما كان : إنه لم يكن . ويكون ذلك حسنا منه ؛ لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

• • •

الباب السادس عشر والمائة

فى التخفيف بعد التثقيل
والتثقيل بعد التخفيف

يقال لمن قال : إن الله لا ينقل العباد ، من تخفيف إلى تثقيل : إن الله تعالى قد أمر المؤمنين بقتال المشركين ، بعد أن كانوا غير متعبـــدين . فقال تعالى : « إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما » فقد صاروا بالتخلف عن القتال متوعّدين ، بعد أن كانوا غير مأمورين وقد خفف عن عباده أشياء ، بعد التثقيل عليهم ، كقوله تعالى : « الآن خفف الله عنكم وعَلِم أن فيكم ضعفا » .

فإن قال قائل : ألم يكن الله علم قبل ذلك ، عند ما ألزمهم الفرض الأول ؟

قيل له : هو عالم بما كان ، وبما يكون ، قبل أن يكون . ولـكن خفف عليهم وألزمهم الفرض الثانى ، لما كان المسلمون أقلاء ، فى صدر الإسلام . وكانت نياتهم أقوى ، فرض عليهم الفرض الأول ؛ لقوة نياتهم .

ولمـا كثر المسلمون ، وكان الحرص منهم ، على قتال العـدو ضعيفا ، خفف المحنة عنهم ، وألزمهم هذا الفرض الثانى . والله أعلم . وبه التوفيق .

* * *

الباب السابع عشر والمائة

فى حجج الله تعالى على عباده المكلفين

فأول حجة الله على العباد : العقل. فحجة الله فى الأرض: العقل ،والاستطاعة، والكتاب ، والسنة ، والرسل .

والدليل على الحق : الهدى، والرسل والميثاق والإجماع .

الدليل على أن القرآن حجة : قوله تعالى : « إن هذه القرآن يهدى للتى هى أقوم » . وقال تعالى : « آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

والدليل على أن السنة حجة : قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهُوا » .

والدليل على أن الإجماع حجة : قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » الآية . والشهيد لا يكون إلا مرضيا .

وقال النبى ﷺ : أمتى لا تجتمع على خطأ .

والدليل على أن العقل حجة : قوله تعالى : « فاعتبروا ياأولى الأبصار » فهذا يدل على أن الاعتبار يؤدى إلى معرفة الحق . وقال تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » الآية .

والدليل على أن تواتر الأخبار حجة : ما نعلمه من البُلدان التى لم نشاهدها ،

والأشياء التى لم نعلمها، إلا بنقل المخبرين بها، وإن لم نعاينها ، من البلدان القاصية؛ لأنى أعلم أن لله تعالى بيتا فى الأرض . وهو الكعبة . ولم أعاينها قط .

والدليل على أن الرأى حجة : قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث » الآية . والله أعلم .

* * *

الباب الثامن عشر والمائة

فى القول فى الرسل
واستحسان إرسالهم إلى عباده المكلفين

الفائدة للخلق، فى بعث الرسل إليهم ، واستحسان بعثهم من الله ـ عز وجل ـ أن الله لما خلق خلقه المكلفين ، أحياء عقلاء قادرين ، لا لحاجة منه ـ عز وجل ـ إلى خلقه ، ولا استحقاق منهم عليه ، وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ، وجب بذلك عليهم ـ لله عز وجل ـ الشكر. ولا بد لهذا الشكر من كيفية ، يعرفها العباد فحسُن من الله ، بعث الرسل إليهم ، تعلّمهم بكيفية هذا الشكر ، على ما أولاهم به .

وأيضا إنا لما بيّنا استحسان التكليف من الله لعباده، والتوصل به إلى منفعة لهم، ومصلحة لهم فى ذلك . وكان فى التكليف أوامر ونواهٍ وفعل أشياء ، واجتناب أشياء ، فلا يدرون كيف امتثال ما كلفوا به ، والتوصل إليه، ليستط عنهم امتثال التكليف ، وفرضه من البارىء تعالى ، فى أوامره ونواهيه . ولم يكن البارىء ـ عز وجل ـ بمشاهَد ، ولا تراه العيون. وليس كمثله شىء . لكى يبلغهم علم ذلك حسن من الله تعالى ، إرسال الرسل إلى عباده المكلفين ، يبينون للناس ما يأتون وما يذرون ، من أمر الله ونهيه . وإن كان جائزا أن يتعبد الله الخلق بعقولهم . ولكن لما بعث الله الرسل، علمنا أن إرسال الرسل أفضل . وقد قلنا : إن الله تعالى لا يفعل إلا الأفضل والأصلح والأحسن . فلله الحمد والشكر ، على ذلك كثيرا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع عشر والمائة

فى بيان ثبوت حجة الرسل

وبما يلزم تصديقهم

وتكون حجة الله عز وجل عند ذلك

وذلك أن نظر الرسول المرسل ، ومشاهدته ، ورؤيته ، لا يكون ذلك حجة، من الله عز وجل ، دون إظهار معجزاته الباهرة ، التى لم تجر بها عادة من الخلق ، ولا أن يقدر أن يأتى بمثلها أحد من العالمين . وقد كان فى زمن الفصحاء والخطباء والشعراء ، فما قدر أحد منهم أن يعارض القرآن . قريش هم أفصح العرب ، وأقدرها على أوزان الكلام ، فدهشت وطاشت عقولها . فقالت مرة : إنه سحر . وتارة تقول : إنه مجنون . وتارة تقول : أساطير الأولين . وتارة تقول : شعر . فلم يقدر أحد منهم أن يأتى بمثله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب العشرون والمائة

فى تثبيت نبوة نبينا محمد ﷺ
والرد على من أنكر نبوته والحجة فى ذلك

الدليل على أن محمدا رسول الله ، وأنه صادق، من وجهين: القرآن والمعجزات التى لا يقدر عليها أحد إلا الله ـ عز وجل ـ والقرآن الذى أتى به ، لم يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثله ، لقول الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وغير ذلك فى القرآن موجود . فعلمنا أن هذا القرآن من عند الله ، جعله الله علما وحكمة وحجة للنبى محمد ﷺ ، إذ عجز الخلق ، أن يأتوا بمثله

وأما غير القرآن ، فالمعجزات الباهرات ، وهى كثير .

منها : أن اليهود جعلوا له سُمـا فى شاة . فمن أكل من ذلك السم لم يعش . فلما أراد النبى ﷺ الأكل منها،نطقت الشاة . فكلمته . فقالت : يارسول الله لاتأكلنى؛ فإنى مسمومة. فأمسك النبى ﷺ عن أكلها، حتى أتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال له : يا محمد قل : باسم الله إله الأرض وإله السماء الذى لا يضر مع اسمه داء . فقالها ﷺ وأكل ، فلم يضره شىء .

وأنه ﷺ دعا بشجرة فأجابته ، من غير جاذب يجذبها ، ولا دافع يدفعها ، أكثر من قوله لها : تعال فجاءت . وقوله لها: اذهبى. فذهبت .

وأنه يسبح الحصى فى كفه .

ووضع يده فى مضاة،فيها ماء قليل ففاض الماء من بين أصابعه ، كمثل العيون فشرب منه بشر كثير .

وأنه أطعم ، من الطعام اليسير ، الجماعات الكثيرة حتى شبعوا ، وأشياء عدة يقصر عن ذكرها هذا المختصر ، من الدلائل والأعلام التى لا يقدر عليها إلا الله. فمن كان معه الدلائل والأعلام ، التى لا يقدر عليها أحد من الخلق ، فهو رسول الله .

الدليل على ذلك: أنه لو كانت أعلام الصادق مع الكاذب،لم يكن الصادق يبين من الكاذب بشىء ، ولا كان سبيل للخلق ، إلى معرفة الصادق من الكاذب فدلّ ذلك على أن النبى محمدا رسول الله ﷺ . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والعشرون والمائة

فى الرد على اليهود فى إنكارهم

لنبوة نبينا محمد ﷺ

إن قالت اليهود : ما الدليل على نبوة نبيكم . دلونا على ما تدّعون ؟

قيل لهم : الدليل لكم : أن النبى الذى بشر به موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ فى التوراة والإنجيل .

فإن قالوا : إنا لانعرف ذلك .

قيل لهم : فأنتم أيضا على غير الهدى . فما دليلكم على ما فى أيديكم ؟

فإن قالوا : لأنا على دين موسى وعيسى ، اللذين نقر بهما .

قيل لهم: فإنا لانعرف موسى وعيسى اللذين تقولون إلا من الذى أخبرنا بهما نبينا محمــد ﷺ . فإن يكن صادقا عندكم ، فعليكم اتباعه ، وإن يكن كاذبا عندكم ـ فيما قال ـ فأنتم على الضلال عندنا ؟ لأنا لانعرفهما إلا بما جاء به محمد ﷺ فليس لكم حجة عليه ، فى أن تصح لكم نبوته وعليكم الدليل : أن موسى وعيسى نبيان ـ كما تزعمون

فإن قالوا : أتيانا بالتوراة والإنجيل .

قيل لهم : ومحمد أتانا بالقرآن ، المفرق بين الحلال والحرام .

فإن قالوا : لانعرف ذلك .

قيل لهم : ولا نعرف نحن أيضا . ما تقولون مما فى أيديكم : إنه عن الله . ولا

أن موسى أتى بشيء مما في أيديكم . وإنما عرّفنا محمد ﷺ خبر موسى وعيسى والتوراة والإنجيل . فإن صدقتموه فاتبعوه . وإن أنكرتم ما في كتابكم ، فنحن لا نعرف ذلك إلا عن محمد نبينا ﷺ . فإن كان صادقا عندكم ، فعليكم تصديق ذلك . وإن كان كاذبا ، ولم يصدق في موسى وعيسى عندكم ، فليس موسى وعيسى اللذان تدعونهما عندنا بشيء . وإنما النبيان عندنا اللذان أخبرنا بهما محمد الصادق صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، فهو حق وقولهم حق . آمنا بجميعهم ، وصدقنا بما جاءوا به عن ربهم .

ويقال لهم : عرّفونا بما أثبتم به رسالة موسى ﷺ بما هو .

فإن قالوا بالأخبار المتواترة التي لا يكذب مثلها ، كالتي جاءتنا في فلق البحر والعجيبة من أمر العصا ، وإخراجه يده من جيبه بيضاء ، وأشباه ذلك ، من أعلامه .

قيل لهم : فقد جاءت الأخبار عن عيسى بإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، والكلام في المهد وأشباه ذلك . وجاء عن محمد ﷺ ما جاء من المنضاة ، وما حدث من الماء الذي توضأ منه عالم كثير من الناس . وشربوا منه ودعاؤه للشجرة ، فشققت الأرض ، حتى قامت بين يديه وكلام الذئب الذي يخبر بنبوته ، وانقضاض النجوم ، في أوان رسالته ، وإخباره بالغيوب التي توجد موافقة لخبره ، والقرآن الذي لا يقدر أحد أن يأتي بمثله ، ما جعل مما ادّعيتم ، من تواتر أخباركم ، في ثبوت أعلامكم ، من موسى ـ عليه السلام ـ أولى بأن يكون حقا ، مما جاءت به أخبارنا ، عن نبينا محمد ﷺ . وبه التوفيق .

* * *

الباب الثانى والعشرون والمائة

فى الرد على من قال : كيف لزمت حجة القرآن الهند والترك والعجم ؟

إن قال قائل: كيف لزمت حجة القرآن الهند والترك والعجم. فهم ما يعرفون أن ما أتى به معجز ؟

قيل له : من حيث إذا فتشوا، علموا أن العرب الذين بعث إليهم النبى ﷺ كانوا أفصح فى الكلام العربى ، وأنهم النهاية فى هذا الباب وأنه نشأ عندهم . وأنه ما كان يتلو من قبله من كتاب ، ولا يخطه بيمينه ، وأنه مع ذلك أجمع ، تحداهم بمثله، أو مثل سورة ، مجتمعين ومتفرقين، فعجزوا عن ذلك ، كما أن حجة موسى وعيسى قائمة ، على من ليس بساحر ، ولا طبيب ؛ لعلمه أنهما تحديا أطبّ الناس، وأعلمهم سحرا ، بمثل ما أتيا به . فعجزوا عن ذلك ، مع الحرص عليه ، والإيثار له . وبالله التوفيق .

• • •

الباب الثالث والعشرون والمائة

فى الرد على من قال من اليهود : إن رسول الله ﷺ لم يبعث بعد وأنه سيبعث

يقال لهم : كيف يكون لم يبعث فى قولكم . وأنتم تعلمون أيان بعثه ، وأيان موته . وكل ذلك عندكم ، فى كتابكم ، قد انقضى وقته ، فى مولده وبعثه وموته، شاهرا ذلك عندهم ، لا ينكره إلا مكابر ، ممن يشترى بآيات الله وأيمانه ثمنا قليلا — كما وصفهم الله فى كتابه .

ومن الدليل على تكذيب اليهود : خبر الحبر اليهودى ، حين أتى عمرو ابن العاص فأخبره بوفاة رسول ﷺ .

ذلك أنه يروى أن عمرو بن العاص قال : بعثنى رسول الله ﷺ أنا وعاشر عشرة إلى عمان . وكان أهلها أسلموا طوعاً فلما أتيتهم ، أتانى حبر من اليهود . فقال : من أرسلك إلينا ؟

فقلت : محمد رسول الله ﷺ .

فقال : نبى مرسل نبى مرسل — ثلاث مرات — ؟

فقلت : نعم .

فقال : والذى أنزل التوراة على موسى ، لئن كنت صدقت ، ليقبضن فى هذا اليوم .

قال : فهالنى ما أتانى به ، وجعلت أنظر إليه .

فقال: إنى أرى ما وقر فى نفسك . فأحسن فى حبسى ، حتى ترى ماقلت لك. فأمرت به فحبس . فوالله ما لبثت إلا يسيرا ، حتى أتانى راكب ، معه صحيفة مختومة . ففضضت ختمها ونظرت فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى عمرو بن العاص .

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ــ فلا تحلّن عقالا ، عقده رسول الله ﷺ . ولا تعقدن عقالا ، حله رسول الله ﷺ ، فيما قبلك . والسلام .

قال: فنظرت فى تاريخ الكتاب ، فوجدته قد توفى رسول الله ﷺ ، فى اليوم الذى قال فيه اليهودى ما قال .

قال : فأرسلت إليه . فقلت : ماتقول يا يهودى ؟

فقال : إن كنت صادقتنى فقد صدقتك .

فقلت له : إن رسول الله ﷺ ، قبض فى ذلك اليوم . فأسلم اليهودى .

اختصرت الخبر . وقد كتبته بكليته ، فى كتاب التاج والله أعلم .

* * *

الباب الرابع والعشرون والمائة

فى شرائع الدين وأحكامه وتناسخ الشرائع
وماذا على من أدرك النبى الثانى
وهو على ملة النبى الأول ؟
والخلاف على اليهود فى إنكارهم النسخ

عن أبى سعيد محمد بن سعيد الكُدَمى . قال أبو سعيد : كل دين الأنبياء والمرسلين واحد ، ودعوتهم واحدة ، وحجتهم واحدة ، ودينهم واحد ، لا يختلف الدين الذى جاءوا به من رب العالمين . وكلهم كانت شهادتهم واحدة . كل من أرسل منهم، كانت دعوته إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنه رسول الله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ، وأن جميع ما جاء به عن الله ، فهو الحق. وكان هذا الدين، هو الدين والإيمان فى الأمم كلها ، لا تختلف أصول الدين . ولا يخرج فيه الاختلاف .

وذلك قول الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين » .

وقال تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وقال : « إن الدين عند الله الإسلام »

وقال : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وإنما تختلف من أمور النبيين والمرسلين الشرائع ، إذا اختلفت ؛ لقول الله تعالى : « لكلٍّ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً » .

والشرعة فى أحكام دينه : الذى يأمر به وينهى عنه ، ويحله ويحرمه . فإذا جاء رسول بشىء ، من نسخ ما جاء به رسول قبله، من الأمر والنهى ، كان ذلك منسوخا فى دين الله وكان الأخذ به باطلا . وكل رسول جاء ، فهو يدعو إلى الإيمان بالرسل من قبله ، وبالكتب التى من قبله ، من رسل الله وكتبه . وذلك هو الذى لايختلف ولا ينسخ وإنما نسخ الأمر والنهى، مما شاء الله أن ينسخ .

قال : وإنما ينسخ كل رسول ، وكل نبى جاء من بعد رسول ونبى ، إذا جاء النسخ على لسانه ، وفى شريعته النهى والأمر ، من أحكام شريعة النبى الأول ، لا لشىء من ذلك ، من كتب الله ، ولا دينه ، ولا من أمثاله ، ولا من وعده ووعيده ، ولا من إخباره . وكل ذلك ثابت محكم، لايجوز عليه النسخ ، من قبل الله تبارك وتعالى، فى شريعة نبى ولا رسول، لشىء جاء به رسول غيره، ولا لشىء جاء به هو .

ولا يجوز النسخ ـ فيما قيل ـ وهو كذلك عندنا إلا فيما جاء عن الله ، من الأمر والنهى ، لا غير ذلك ، مما جاء عن الله ، ولا فيما جاء عن أحد من رسله ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وشريعة نبينا محمد ﷺ ، ناسخة لجميع شرائع النبيين والمرسلين . ولا ناسخ لها ، ولا شىء من أحكامها إلا ما صح ، من نسخ ذلك ، فى شريعة دينه ، لأنه لا نبى بعده ، ولا رسول بعده ، فينسخ ما جاء به عنه .

فأحكام شريعته ﷺ المحكمة ، محكمة أبدا إلى يوم القيامة وما مات عليه ، من منسوخ شريعته ، فهو منسوخ إلى يوم القيامة ، لا يجوز أن يأتى غير ذلك أبداً.
وكل ما جاء معنى ، فى شريعة نبى من الأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين ، كان التمسك به هدى ، وعدلا وصوابا ، ما لم ينسخه غيره ، من النبيين والمرسلين .

ولو بعث النبى ﷺ ، وصح بعثه ، لم يكن ناقضا لما فى أيدى المسلمين ، لما قبلوه ، وبلغت حجته إليهم .

فمن كان مستمسكا بشريعة دين عيسى ﷺ ، ولو بلغته رسالة نبينا محمد ﷺ ، من بعد ما نسخ ما فى أيديهم ، على لسانه ، عدلا وصوابا وهدى ، حتى يبين لهم ما يتقون ، على لسان نبيه محمد ﷺ ، مما أحدثه إليهم ، ويأتيهم خبر ذلك بعينه . ولا يضرهم نسخ ذلك فى الشريعة معنا ، على لسان رسول الله ﷺ ، ولو بلغتهم حجته ودعوته بالجملة . وقد نسخ فى شريعته ، ما كان حلالا ، فى أيديهم . وما كان حراماً فى أيديهم لم يضرهم ذلك ، ولم ينفعهم معنا . وحلال الله وحرامه الذى قبلوه ، هدى وصواب ، هو على حاله على الأبد ، حتى تأتيهم الحجة بغيره ، إلا أن عليهم الاعتقاد للسؤال ، عما يلزمهم فى شريعة النبى محمد ﷺ ، فى الاعتقاد لجملة ذلك ، والديّنونة لجميع دينه ، وجميع شريعة دينه ، وطلب شريعة دينه . وحلال لهم ما كان فى أيديهم ، من دين الله ، الذى لم يصح معهم ، ولم يأتهم خبر نسخه ، ولو كان منسوخا ، ولو استجاب أحد إلى الإسلام عن الشرك ، وقبل دين محمد ﷺ ولم يبلغه ذلك ، إلا أنه قد بعث محمد ﷺ ، بنسخ شىء من أحكام شرائع دين عيسى ﷺ فاستجاب ، وقبل من المسلمين الذين يتمسكون بدين شرائع عيسى ﷺ ، إذ قبلوه . وهو هدى وعدل وصواب قبلوه .

وإنما نسخ من قبل أن يستجيب بساعة ، على لسان رسول الله ﷺ ، في المدينة ، أو في مكة . وهم بين السدين ، أو في أبعد الأمصار ، وأقصى الأقطار ، لما جاز عندنا ، لهذا المستجيب إلى الإسلام ، قبول أحكام شريعة عيسى ؟ إذ كان في الحكم من دين الله ، قد نسخ على لسان رسول الله ﷺ . ولكن له منى ، وعليه الإيمان بالله تبارك وتعالى ربا ، وبعيسى نبيا ﷺ . وأن ما جاء به عن الله ، فهو الحق ، إن كان قد بلغته دعوته ﷺ ، لأن هذا واجب في كل نبي ورسول ، إلى أهل زمانه ، على جميع من بلغته دعوته ، وعرف رسالته ، أو نبوته ، وقامت عليه بذلك الحجة فعليه أن يؤمن به ، ويصدق به ، ويؤمن بما جاء به ، أنه الحق من الله . وهذه كانت دعوة النبيين والمرسلين .

قال : فعلى الذين استجابوا للدين ، على دين عيسى ﷺ مسلمين ، قبلوا حلال ما كان على دين عيسى وحرامه ، مما هو منسوخ ، على لسان نبيه محمد ﷺ ، إن كان منسوخا منه شيء .

والذين قبلوا ذلك ، وهو هدى وعدل ، قبل أن ينسخ على لسان رسول الله ﷺ . ولو لم تكن بلغتهم دعوة النبي ﷺ ، إلا أنه كان قد بعث ، ونسخ من دينه ما نسخ ، من دين عيسى .

والذين قبلوه ، وهو هدى وعدل وصواب ، وجائز قبوله ، والتمسك به ، والعمل به معنى ، حتى يأتيهم خبر نسخه نصا ، كما أخذوه نصا ، من هداية الله ، ودينه وعدله وليس على هذا الناشيء ولا المستجيب ، ولو كان بالغا مشركا ، في أيام ما كان الأخذ به هدى ، إلا أنه لم يكن آمن به ، ولا قبله . ولا بلغ هذا الناشيء ،

حتى نسخ ذلك على لسان رسول الله ﷺ . فليس للناشىء، إذا لم يكن وجبت عليه أحكام الإسلام، والتعبد بأحكام نفسه من الإسلام أىّ المولودين كان. وللمستجيب على الشرك ، فى هذا المنسوخ ، ما للذين قبلوه ، وهو عدل وهـدى وعلى هذين الإيمان بالله ، وبعيسى ، وبما جاء به عن الله مجملا ، أنه الحق المبين . وعليهما معنى، فى المنسوخ من دينه ، على لسان نبينا محمد ﷺ ، حكم شريعة نبينا ، من حلاله وحرامه ، لأنهما لم يلزمهما حكم دينه . إلا ذلك الشىء الذى كان حراماً قد حل . والذى كان حلالا ، قد حرم . وهو نبيهما ﷺ ، فى أحكام الشريعة ، ونبى من كان على الأرض من الثقلين ، من مؤمن متقـدم الإيمان ، أو مستجيب ، أو ناشىء من بعد بعثه ، فى أصـل دين ، ما تعبدهم الله به ، ولو لم يبلغهم خبره ، ولا ذكر شأنه .

فمن حين ما بعث الله الرسول. وكذلك كل رسول، قد ثبت نبوته ورسالته، على جميع أهل الأرض، ممن أرسل إليه، ونبتت عليهم أحكام شريعته، فى دين الله بلغتهم دعوته، أو لم تبلغهم ومن كان منهم على هدى من دين نبى قبله ، وشريعة رسول قبله، وشىء من الهدى قبله، فهم على هداهم . ولهم التمسك به، ولم تقم عليهم حجة ، ولا حجة شىء ، مما ينسخ على لسانه ، مما قبلوه وهو هدى فى دين الله ، حتى يأتيهم خبره. فإذا جاءهم خبره برسالة، ثبت عليهم الإيمان به، وبجميع ما جاء به عن الله ، ولو لم يدع إلى ذلك ، والدينونة بدينه ، والانتحال بحكم شريعته وهم على هداهم، الذى قبلوه عن الله نصا ، حتى يأتيهم خبر نسخه نصا . ولو كان قد نسخ ولو لم يكونوا قبلوه نصا، وهو هدى، إلا أنهم قبلوا دين النبى وآمنوا به ،

وقبلوا شيئا من شرائعه نصا. ولم يبلغهم شيء من أحكام شريعته، حتى نسخ ما يبلغهم على لسان الرسول المرسل ، ما كان قبولهم معنا المنسوخ، من أحكام شريعة النبي قبله عدلا ولا صوابا . وكانوا فى هذا معنا كالبالغ الناشيء ، من بعد رسالة الرسول وبعثه ، والمستجيب عن الشرك ، ولو كان فى أيام الرسول الأول ، أو فى أحكام شريعته والمستجيبون للنبي الأول ، أو لمن دعا إلى دينه ، أو دخلوا فى دينه، واستجابوا إلى الذين آمنوا به ، وبما جاء مجملا ، ولو لم يكونوا قبلوا منه شيئا من الدين نصا، حتى نسخ على لسان النبي المبعوث، كانوا فى ذلك معنا، مثل المستجيب والناشيء ، من بعد نسخ ذلك، وبعث الرسول الآخر فافهم معانى شرائع الدين، وأحكام جملة الدين، فى كل وقت وزمان .

ومعنا أنه لو كان أهل مصر متمسكين بدين عيسى ، لم يخالفوه فى شيء من الدين . وكانوا على جملة شريعته ، من الأمر والنهى ، والحلال والحرام ، وجميع شرائع الإسلام . وكانوا على ذلك إلى أن بلغهم خبر بعث النبي محمد ﷺ ، ودعوته إلى الجملة ، وبلغتهم دعوته فى الجملة ، لكان عليهم الإيمان به ﷺ ، والتصديق بجملته، واعتقاد الطلب ، لعلم ما يلزمهم فى شريعته، من الأمر والنهى ، والحلال والحرام واللوازم ، ليؤدوه على وجهه ، ويعملوا به بحقيقته . وليس عليهم معنا أن يتركوا ما هداهم الله له ، من حلاله وحرامه ، فى شريعة عيسى ﷺ ، إذ بلغتهم الدعوة بالجملة ، التى قد نسخ فيها ، ما كان معهم حلالا بالتحريم ، وما كان معهم حراما بالتحليل . وما كان معهم أمراً بالنهى ، وما كان معهم نهيا

بالأمر ما كان عليهم ذلك حجة . وكان عليهم التمسك بحلال الله وحرامه ، الذى هداهم له . ولا يضرهم بلوغ الدعوة بالجملة ، إذا لم تبلغهم الحجة ، بأحكام الجملة الداخلة فيها ، حتى يأتيهم شىء من ذلك بعينه ، إذا كان قبول ذلك لهم فى دين الله بعينه عدلا وصوابا ، قبل أن يأتى نسخه فى دين الله بعينه . ولو كان قد نسخ . وبالله التوفيق

* * *

الباب الخامس والعشرون والمائة

فى تناسخ الشرائع

والرد على اليهود فى إنكارهم النسخ إذ هو عندهم بدُو

إن مِن كتب أهل الخلاف مكتوبا عليه موافق . قال فى اليهود :

وأما نسخ الشرائع ، فإنهم إنما أنكروه ، لأنهم زعموا أنه يوجب القول بالبَدا ، بأن الله يبدو له .

وجملة ما ننقض به عليهم، إقرارهم بأن الله تعالى يحيى عبدا، ثم يُميته، ويصحه ثم يمرضه . فكل ما أجابوا به ذلك ، وأبطلوا به ، أن يكون موجبا للبَدا . فعليهم مثله . وهو أن يقال لهم : أخبرونا عن إحياء الله الإنسان ، ثم إماتته ويُصحه ثم يمرضه . أتقولون : إنه حكمة وصلاح، وغير موجب للبدا ؟

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم: فما أنكرتم من أن يكون حكم الشرائع هذا الحكم .

وجواب آخر. يقال لهم: ما تنكرون، من أن يأمر الله تعالى بشىء ، ويكون حكمة وصلاحا وطاعة، إلى وقت من الأوقات. ثم يكون النهى عنه، فى وقت آخر حكمة وصلاحا، لمن هو أعلم به، إذا كان الله تعالى مطلعاً على العواقب، عالما بالمصالح فى أوقاتها . وهذا ما لا يمكنهم دفعه ؛ لأنا نرى الحكم فى الأعمال والمصالح ، يختلف على حسَب الأزمان. وهم يعلمون أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل ﷺ ، بذبح ابنه ، ثم نهاه عن ذلك وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والعشرون والمائة

فى الفرق بين البُدُوّ والنسخ من الكتاب

مكتوب عليه موافق

الفرق بين البَدا والنسخ : أن البَدا : هو أن يظهر للآمر باب من المصلحة ، أو صواب الرأى فى التدبير ، لم يكن ظهر له قبل ذلك . فيبدو له . ويجب فى الحكمة ، ترك ما تقدم ، والأخذ بما أوجبه الرأى الحادث . وهذا لا يجوز على الله تعالى .

وأما النسخ ، فقد كان الله عالما قبله ، بأن الحال سَيُغَيَّر . فيجب فى حكمه ، تغيير ما أمر به فى المتقدم إلى أمر ثان . وليس يبدو له من ذلك ، ما كان خافيا عليه ـ تعالى الله عن ذلك . وهذا معروف فى الشاهد.

وذلك أن رجلا لو أمر عبيده بأمر ، وهو مع ذلك عالم أن أحوالهم ستغير ، وأنه يأمرهم عند ذلك ، بغير ما أمرهم به ، ثم فعل ذلك ما قيل : إنه بدا له . وبالله التوفيق .

• • •

الباب السابع والعشرون والمائة
فى الرد على من قال بالأوصياء
بعد رسول الله ﷺ

قال المؤلف : زعم المخالفون للحق : أن فى الأرض بعد رسول الله ﷺ أوصياء معصومين ، يوحى إليهم وأن علم باطن القرآن عندهم ، عن الشيخ أبى الحسن البسيانى ـ رحمه الله ـ .

وسأل عمن قال : إن الأوصياء يوحى إليهم ، ولم تخل الأرض من نبى يوحى إليه ، وأنهم قد اعتقدوا بوحى ، قد ضل الناس عنه .

قيل له : إن قائل هذا كافر ، لأن الله تعالى قال: « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ولم يقل : رسول بعده . وقال : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فجعله خاتم النبيين فلا نبى بعده .

وقد أجمعت الأمة : أنه حجة الله إلى يوم القيامة .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « يا أيها الناس إنه لا نبى بعدى ، ولا أمة بعدكم . والحلال : ما أحل الله على لسانى إلى يوم القيامة . والحرام : ما حرّم الله على لسانى إلى يوم القيامة . فبى ختم الله النبوة وبى احتج على الخلق » .

وسأل عن من زعم أن للقرآن ظاهرا وباطنا . فعلم ظاهره عند الناس ، وعلم باطنه عند الأوصياء . ما الحجة عليه ؟

قيل له : كتاب الله تعالى ، يكذب قول هذا القائل ؛ لأن الله تعالى أنزل

كتابه وقال فيه : « تبيانٌ لكل شىء » وقال : « إن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » وهى الأهواء . فالقرآن اتباعه واجب وهذا القائل خارج مما نطق به القرآن ، متبع للأهواء وذلك فى حكم الأمة . فقائل هذا خارج من كتاب الله ، ومتبع ضلاله ، قد عمى عن الحق .

وسأل فقال : ما الحجة على من قال : إن الله فرض معرفة الأوصياء والولاية لهم ، وإن كانوا أهل ضلال ومعصية . ومن أطاعهم وتولاهم ، مغفور له ؟

قيل له : إن الله لم ينزل فى كتابه ، بيان شىء من ذلك . وقد قال : « لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان » وقال : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » فحرم ولاية أهل المعصية .

وقال النبى ﷺ : يا بنى هاشم إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً؛ فإن لكل امرئ ما كسب . ولم نجد فى التلاوة وصيا للنبى ﷺ . ولا اتفق الناس على أوصياء مخصوصين ، منصوص عليهم . وإنما وصف أصحاب النبى ﷺ والذين اتبعوهم بإحسان . فثبت الاتباع لهم ، ولمن عمل بمثل عملهم ، من الإحسان ، ولم يقل : وصيًا بعد وصى . فمن قال خلاف هذا خرج من الحق ، وولاه الله ماتولى .

* * *

الباب الثامن والعشرون والمائة

فيمن لم يصدق بالأخبار المذكورة من معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ

إن قال قائل : إنى لا أومن بهذه الأخبار ، ولا أصدق أن نوحاً كان نبيا، ولا هلكت أمته . ولا أصدق أن عاداً هلكت بريح صرصر، ولا أن صالحا جاء بناقة ، ولا أن إبراهيم طرح فى النار فلم يحترق .

قيل له : هل تؤمن بشىء من الأخبار ؟

فإن قال : لا أومن بشىء من الأخبار ، ولا أصدق إلا ما عاينت وظننت ولا أرضى إلا ما عاينت وظننت .

قيل له : هل لما عاينت وظننت من خُلف ؟

فإن قال : لا ، فقد شهد على نفسه بالكذب ، لأنه لم ينته إلى غاية الأرض .

وإن قال : نعم .

قيل له : هل لها اسم ؟ وهل منها خبر ؟

فإن قال : لا ، فقد [illegible]د القرآن ، وكابر الحق .

وإن قال : نعم .

قيل له : من أين علمت أن مكة مكة ، والمدينة مدينة ؟

فإن قال : عرفتها بالأخبار .

قيل له : وجبت عليك معرفتها بالأخبار . بحقيقة ؟ أم باختيار ؟

فإن قال : باختيار .

قيل له : هل يجوز لك أن تختار بعضها ، وتصدق به ، وبعضها تـكذب به؟ فمن أين قام هذا فى وهمك وعقلك ؟ فهل للذى صدقت به خلف ؟

فإن قال : لا ، فقد صدّق بما لم يعاين .

وإن قال : نعم ، فقد رجع إلى ترك الأخبار .

وإن قال : صدّقت الأخبار بحقيقة .

قيل له : كما صدقت معرفة الأرضين ، التى لم تطأها ، و لم تعاينها . فـكذلك وجب عليك التصديق بالأخبار التى لا تُدفع ، ولا تُنـكَر .

وكذلك وجبت عليك معرفة أبيك وأمك ، وخالك وعمك .

فإن قال: لا أعرف أبى وأمى ولا خالى وعمى ، فقد أوجب على نفسه الهِجنة، أن أنـكر ما هو معروف به ، وأحال الأشياء . فما من جاحد ولا موحد، إلا وهو يعرف أبويه إلا اللقيط .

ويقال له : من أين عرفت ولادتك ، وأنت لم تعقل ولادتك ، ولا وقوع أبيك بأمك ، فلابد من أن تقر بتصديق الخبر .

فإذا أقر هذا ، فقد وجب عليه التصديق بالأخبار. وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والعشرون والمائة

فى الأنبياء

هل يجوز أن يقال فيهم : إنهم يعصون الله أم لا ؟

قال الشيخ أبو محمد : لا يجوز لأحد أن يقـــول : إن أنبياء الله كانوا غير مسلمين ، وهم أصفياء الله ، من قبل أن يخلقهم قال الله تعالى: « إن الله اصطفى آدم ونوحا » الآية .

مسألة :

عن محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ قال : إن أنبياء الله تعالى ، لم يزالوا عند الله مسلمين ، وهم له أوليا . لايسع أحد أن يقول : إن أنبياء الله ورسله ، كانوا عند الله فى شىء من الحالات كفاراً ، وضلّالا وهم أصفياء الله ، قبل أن يخلقهم.

وكذلك أخبرنا الله تعالى . فقال : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » وقوله تعالى للنبى ﷺ : « ووجدك ضالا فهدى » يعنى ضالا عن النبوة ، لم تأته بعد .

كذلك قول موسى : « فعلتها إذاً وأنا من الضالين » عن النبوة .

وما بعث الله نبيا إلا أعطاه خصلتين ، يغفر له ما تقدم من ذنبه ، ويعصمه فيما تأخر .

مسألة :

عن أبى سعيد ـ ردًّا على من قال ـ : إن آدم لم يعص الله ، وقد قال الله تعالى :

« وعصى آدم ربه فغوى » فهذا مخالف للكتاب أيضاً.وقد قال الله تعالى :« وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغـــدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » . فكيف يكون من الظالمين ، ولم يعص ؟

مسألة :

عن أبى الحسن البسيانى : أن يوسف همّ بالمعصية ، فصرف الله عنه السوء والفحشاء ، بالبرهان الذى أراه إياه ، ولم يفعل معصية ، فيكتب عاصياً .

قال : والناس مختلفون فى ذنوب الأنبياء صلى الله عليهم أجمعين . وقد اتفقوا على أنها كلها صغائر وخطأ .

وقال : إن النبى داود ﷺ لم يقصد إلى الخطيئة ، ولا تعمد عليها . وإنما هو قصد إلى ما هو جائز له . إنه خطب إلى القوم امرأة ، قد خطبها غيره . فأنزل الله تعالى عليه الملكين ، كما أخبر الله . قال داود ـ من قبل أن يسأل الخصم ـ « لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجـــه » فلما قال : « لقد ظلمك » ظن أنه قد فتن ، ولم يتعمد ، ولا أراد الخطيئة.وإنما الملكان سألاه : أن ليس له أن يخطب على خطبة أخيه فعرف أنه قال للخصم ـ قبل أن يستفهم ـ قوله: « لقد ظلمك » فتاب من ذلك ، من غير عمد منه ، ولا قصد للمعصية . فوقع فى الخطيئة غلطا . فتاب واستغفر ربه وأناب ، أى رجع إلى الحق ، وندم على ما فعل .

مسألة :

قال أبو عبد الله : لا يقال : إن النبى إبراهيم ﷺ قال الكذب ، فى قوله: « إنى سقيم » وقوله : « فعله كبيرهم » هذا . ولا قول يوسف لإخوته : « إنكم

لسارقون » ولا قول الملائـكة لداود ـ عليه السلام ـ : « خصمان بغى بعضنا على بعض » فلا يقال : إنهم قالوا الـكذب . ولـكن هذا بوحى من الله ، أن يقولوا فأطاعوا أمر الله ـ عليهم الصلاة والسلام

مسألة :

قال الشيخ أبو محمد : قتل موسى ﷺ ، يتصرف على وجوه :

منها أنه يجوز أن يكون قتله ، ولم يستأذن فى قتله ، لأن الأنبياء إذا أرادوا فعلا ، وإيجاب حكم ، استأذنوا ، فى فعل ما أرادوا فعله ؛ لئلا تلحقهم هناك لائمة. فيجوز أن يكون لم يستأذن فى قتله . وكان فعله خطأ . وكانت معصية منـــه ، يمحوها الاستغفار والندم والإنابة ، لأن الإجماع من الكل : أن الأنبياء لا يأتون الـكبائر . ويجوز أن يكون غير متعمد فى الظاهر ، بدليل على قتل ذلك الرجل ؛ لأن العبادة مأخوذة عليه ، فى جملة الشريعة فتأول فى قتله ، فأخطأ التأويل. فوقعت منه صغيرة ، من جهة خطئه فى التأويل ، لا من جهة القتل ؛ لأن المقتول كان كافرا ، واستغفر وتاب ، من جهة خطئه فى التأويل .

مسألة :

وإخوة يوسف فعلوا فى يوسف ، ما فعلوا فيه ، قبل أن يُستنبأوا . وإنما استنبئوا من بعد ذلك .

وقيل : فعلوا قبل بلوغهم .

وقيل: إن النبى محمدا ﷺ لم يأت الخطيئة، ولا كانت منه . وبالله التوفيق.

* * *

الباب الثلاثون والمـائة

فى التوفيق والعصمة والخذلان والختم والطبع والأكنة والوقر

التوفيق والخذلان . والختم : هو الطبع . والأكنة والوقر ، إنما يكون جميع ذلك ، عند فعل العبد ، لا قبل ذلك ، ولا بعد .

وأما العصمة ، فهو أن يعصمه الله ، فيما يستقبل ، ممن نجا من الهلكة . فمِن قِبل الله ، وعصمته إياه ، وتوفيقه ، ومنّه وفضله .

ومن كتاب الأكلة :

قال : معنى الخذلان : هو القدرة على الكفر وكل من خلق له القدرة على الكفر ، فقد خذله . والخاذل : هو الخالق القدرة على الكفر .

قال : ومعنى الحرمان : هو القدرة على المعاصى سوى الكفر .

والمحروم : من خلقت له القدرة ، على المعصية . والحيلولة هى المنع . والصرف والحيلولة بمعنى واحد . وهى القدرة على الكفر والمعاصى . وهو معنى قوله تعالى : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

والتوفيق : ما يكون عنده الطاعة . وفى الحقيقة : هو القدرة على الطاعة .

وقيل : التوفيق : ما له كان الموفق موفقاً .

وأما الموفّق فهو المقدر للخلق على الطاعة ، لله المقدور لتخلق الطاعة واللطف مما كان من المعلوم ، أنه إذا وجد كانت الطاعة عنده لا محالة . وهو القدرة على الإيمان عندنا . وكذا القدرة على سائر الطاعات ألطاف لها .

والعصمة : هى الحراسة، من موافقة المعصية. وهى القدرة على الطاعة .

ومعنى العاصم : الذى يحرس المكلَّف من إيقاع المعاصى . وهو فى الحقيقة البارىء — عز وجل — ومنه قوله — عز وجل — : « والله يعصمك من الناس » يعنى يحرسك .

والمعصوم : هو المحروس . وبالله التوفيق .

انقضى الذى من كتاب الأكلّة ، تأليف القاضى نجاد بن موسى .

مسألة فى الختم والطبع :

قال الله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم » الآية .

فقوله تعالى : « ختم » طبع .

قال أبو علىّ: جعل الله أعمالهم السيئة ، طبعا على قلوبهم . ركبوا الذنب على الذنب ، حتى رانَ القلبُ واسودَّ .

ومن بعض كتب قومنا :

قال : الطبع والختم واحد ؛ لأنك تقول : طبعته ، أى ختمته . والطابع : هو الخاتم .

وقال بعض أصحابنا — فى معنى الختم والطبع — : إنه بمعنى الخذلان . وتركه لهدايتهم . يدل على ذلك قوله تعالى : « ويذَرُهم فى طغيانهم يعمهون » . وقوله : « ويذرهم فى طغيانهم » راجع إلى معنى، به يصيرون ضالين. وهو الذى يوصف به طبع وختم وغشاوة .

ومن كتاب الثعالبي :

إن معنى الآية: «طُبِع على قلوبهم» أغلقها وأقفلها، فلا تعى خيرا ، ولا تفهمه . يدل عليه قوله تعالى : « أم على قلوبٍ أقفالها » .

قال المؤلف : والختم والطبع من الله يكون ذلك ، عند فعل العبد المختوم ، على قلبه، المطبوع عليه، لا قبل ذلك ولا بعد ؛ لأنه لو كان قبل ذلك ، لكان حجة للعبد على الله يوم القيامة ، إذ قد ختم على قلبه وطبع ، فلم يقدر أن يؤمن. فكيف يُلزمه فعلَ شيء ، صده عنه بالختم والطبع ـ تعالى الله عن ذلك. وليس الختم والطابع من الله، هو شهادة على العبد أنه لا يؤمن، كما قالت المعتزلة .

ومن كتاب الأكِلّةِ :

قال: حقيقة الطبع والختم والأكنة والأغشية : إنما هو فعل ما به يصير القلب مطبوعاً ومختوما عليه ، ومُغطًّى عن الحق ، لأن الأكنة هى الأغطية .

ولا يجوز أن يكون قولنا : فلان قد طبع الكتاب ، وطبع الشمع والطين ، أى سماه مطبوعا . وإنما هو فعل معنى ، يصير القلب والكتاب والطين والدرهم والدينار مطبوعا . هذا فى كلام أهل اللغة . انقضى .

قال المؤلف : وهذا عند ضلال العبد ، بسوء اختياره ، لا قبل ، ولا بعد ، من الطبع والختم والضلال . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثلاثون والمائة

فى الهدى والرد على القدرية فى ذلك

الهدى على ضربين: هدى السعادة ، وهدى البيان والدلالة والإرشاد إلى الحق.

فهدى السعادة ، لا يستحقه إلا المؤمنون .

وأما هدى البيان والدلالة والإرشاد إلى الحق ، فقد بين الله تعالى لعباده المكلفين أجمع . قال الله تعالى : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فهذا هدى البيان .

فهدى البيان قد آتاه الله الخلق أجمعين .

فإن قال : هل هدى الله الكفار ؟

قيل له : نعم . هداهم هدى البيان والدلالة ، لا هدى السعادة . وقد قال تعالى: « وأما ثمودَ فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » .

وإنما ضلت الكفار وكفرت ، باستحسانهم الكفر على الإيمان ، بسوء اختيارهم .

قال المؤلف : وقوله تعالى : « يهدى من يشاء ويضل من يشاء » المعنى : فمن علم الله أنه يهتدى لم يضل . ومن علم أنه يضل لم يهتد ، من غير أن يكون العلم ساق العباد إلى ما عملوا . وقد بين الله مشيئة الهدى فقال : « ويهدى إليه من أناب » ومشيئة الضلال ، بقوله : « ويضل الله الظالمين » .

وإنما هدى الله من ، اختار الإيمان على الكفر . فبحسن اختياره ، هداه الله.

وبسوء اختيار الكافر والمنافق، الكفر والنفاق على الإيمان، أضله الله. وكلا الفريقين يكون هُدى الله للمهتدى، وضلاله للضال، عند عمل المهتدى والضال، لا قبل ذلك، ولا بعد. قال الله تعالى: « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » عند إزاغتهم، لا قبل ذلك، ولا بعد. وقوله تعالى: « ويهدى إليه من أناب » عند إنابتهم، لا قبل ذلك، ولا بعد.

ولابد للمكلف أن يكون إما مهتديا أو ضالا. فلا تأتى على العبد طرفة عين، إلا وهو إما مهتد، وإما ضال. فقيل: إما هداية من هداه الله من الله منة وفضلا، يمن بها عليه. وإما هداية من عدل. فالله تعالى يحتج لها عليه.

فالمؤمنون والكافرون أجمعون قد هداهم الله تعالى، هدى البيان والدلالة. فقد هداهم جميعا إلى الدين؛ لأنه قد دلهم جميعا على الدين. وضلال الله تعالى، ليس كضلال الشيطان، يدعو ويزين، ويرغب فى شىء من المعاصى.

وإنما معنى أضل الله: أنه لم يهد، ولم يعصم، ولم يوفق. إنما هو فقدان الهدى، ليس اختيار الكافر. كما يقال: خذل فلان فلانا. إنما يعني بخذلانه إياه: أنه لم ينصره، ولم يعنه، لا أنه فعل به فعلا فى خذلانه إياه شيئا، أكثر من تركه النصرة والمعونة. وليست الضلالة والخذلان ابتداء من الله تعالى بوجودهما كان الكفر. لو كان كذلك، لكانت الحجة للكافرين يوم القيامة يقولون: أضللتنا عن الهدى، وخذلتنا عن الإيمان، فلم نقدر أن نؤمن ونتقى ونعمل صالحا.

وقوله تعالى: « وأضله الله على علم » معناه: على علم منه بضلال العبد الضال.

وقيل فى قوله تعالى: «ويضل الله الظالمين» أى يهلكهم ويعاقبهم . فالضلال . منه: الهلاك. ومنه: الذهاب عن الصواب. وقال الله تعالى: «وضلوا عن سبيل الله» أى ذهبوا عن الحق فالله تعالى لايبتدى، عبداً بضلال . يقال : أضل الله وأضل الشيطان . وأضل الناسُ بعضهم بعضا . فأضل الشيطان : أى دعا وزين ورغب فى المعصية .

وكذلك ضلالة السامرى ، وضلالة الناس بعضهم بعضا وليس ضلال الله دعا وزين الكفر. ولكن لم يهد، ولم يعصم، ولم يوفق وذلك عند نعل الكافر، كما قدمنا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثلاثون والمائة
فى الرضى والمحبة والسخط والغضب
من الله تعالى للعباد

الرضى والمحبة والسخط والغضب . كل ذلك صفة الله ، من صفـــات فعله . لا شىء يحل فى ذاته ـ عز وجل؛ لأن ذاته تعالى، إنما المراد بذلك إثباته . لا شىء كالأشخاص ، يحل فيه الرضى والمحبة ، والسخط والغضب . وإنما الرضى والمحبة من الله ، إذا رضى على عبد ، أثابه فى الجنة ، بقدر عمله . وإذا سخط وغضب على عبد ، عاقبه فى النار، بقدر عمله . فلا يوصف البارىء تعالى، بالرضى والمحبة ، والسخط والعقوبة ، بما يوصف المخلوقون ، أنه يحل فيه كما يحل فيهم .

قال بعض قومنا: إن محبة الله : إرادته لخصوص الأنعام، من القربى والزلفى ورحمته : إرادته لعموم الأنعام ، من التوفيق والخير . وإرادة الله للعقاب والشر : سخط، وإرادة غضب . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والثلاثون والمائة

فى حب العباد لله ـ عز وجل

قال المؤلف : حب العباد لله عز وجل ، إنما هو حب طاعته ؛ لأن الله تعالى ليس بشخص، فيقع عليه الوهم، لكى يحب ما يقع عليه وهمه .

وقيل : علامة حب الله للعبد : أن يوفقه لطاعته ، ويعصمه عن معصيته .

وقال بعض قومنا : محبة العبد لله: حالة يحدثها العبد فى قلبه. وهى ألطف من أن يعبّر عنها بلسان، وأشرف من أن يشار إليها ببنان ويستحيل أن تكون محبة العبد لله ، بالكيفية والإحاطة بالأينية ، لأن الله تعالى منزه عن هذه الأوصاف الدنية . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والثلاثون والمائة
فى تكليف من علم الله ، أنه لا يؤمن
والرد والبيان لمن تشبه فى ذلك

إن سأل سائل فقال : أليس الله تعالى ، خلق الخلق للصلاح. فكيف حَسُنَ أن يكلف من علم حاله أنه لا يؤمن ، بل يئول أمره إلى السكون ، فى العذاب الدائم ؟

قيل له : إن الله تعالى ، قد فعل بهذا الذى اختار الكفر ، غاية ما يصلحه ، فيما كلفه ، إذا قدر كما قدّر المؤمن ، ومكّنه فيما يتوصل به إلى الخلود فى جنات النعيم . وإنما أهلك هذا الكافر نفسه ، حين عصى ربه ، وركب هواه ، وكفر نعمة الله عليه ، بفعله إقامة النعيم ، لا فعل الله تعالى ، وإحسان المحسن ، لا يصير إساءة ، بجحد من جحده ، وكفران من كفره ألا ترى أن عطشانا ، لو مكناه من الماء البارد ، فامتنع من شربه ، حتى مات من عطشه ، لكان الذى يلحقه من إهلاكه لنفسه دوننا . ولكنا فى عقل كل عاقل ، محسنين إليه ، إذ مكناه مما ينجو به وهو الذى أمات نفسه ، وأحرم نفسه النجاة .

كذلك تكليف الله لمّا كان ممكّنا مما ينجو به ، لا يخرج عن أن يكون صلاحا له ، وإن جعله هو فسادا بعصيانه .

فإن قال : وكيف يقدر أن يؤمن ، وقد علم الله أنه لا يؤمن . ولئن قدر على ذلك ، إنه لقادر على تجهيل الله ـ تعالى وعز عن ذلك .

قيل: هذا غلط ظاهر ، لأنا ما زعمنا أن الله تعالى علم منه أنه لايؤمن ولم يعلم منه ، أنه يقدر . بل قد علم الله تعالى منه الأمرين جميعا . فعلم منه أنه يقـــدر أن يؤمن . ولا يؤمن ، ليس لأنه لايقـــدر . ولـكن لسوء اختياره لنفسه . فليس فى الأمرين إلا ما قد علمه الله . ولو كان أبو جهل ، إذا علم الله أنه لايؤمن ، وقدر على الإيمان ، كان قادراً ، على تجهيل الله تعالى ، لـكان الله تعالى ، لما أمره بالإيمان، مع علمه بأنه لايؤمن ، أمرا له بتجهيل ربه . ولـكان رسول الله ﷺ ، لما دعاه إلى الإيمان ، دعاه إلى تجهيل الله . هذا واضح السقوط . على أنا نقول : إن فى تـكليفه له لطفا لغيره ، ممن علم الله أنه لا يؤمن ، إن لم يكلف هذا . فمثاله مثال ما بيّنا فى الاثنين ، وتسليمهما . وإن شاء أحد الاثنين لنفسه . ولم يفعل .

قال المؤلف: فى المسألة غلط حروف وكلام، وشىء من المعانى، زالا عن الحق يعرض على المسلمين ؛ لأنها من كتب قومنا . والحق معنا أن النبى ﷺ دعا من علم الله، أنه لايؤمن إلى الخروج ، من معلوم إلى معلوم . وإنما لايقدر أن يؤمن لشغله بالـكفر عن الإيمان .

فالمؤمن الذى شغل نفسه بالإيمان، لايقدر على الـكفر، لشغله بغيره . فـكذلك الـكافر، لشغله بالـكفر ، لايقدر على الإيمان، لأن الإنسان لايقدر أن يأتى بشىء وهو مشغول بغيره ، كالذى يكون قائما، فلا يقدر أن يأتى بالقعود فى حال القيام. والقاعد لايقدر أن يأتى بالقيام، وهو فى حال القعود. ولـكن كل من كان فى شىء من الأمور ، فهو قادر أن يأتى بغير ذلك ، إذا ترك ما هو فيه ، مما هو مشغول به فحينئذ قدر أن يأتى بغـــيره . فالبارىء ـ عز وجل ـ إذا علم من العبد ، أنه

لا يؤمن ، فلا يترك التشاغل بالـكفر ، والأخذ فى الإيمان . فالعبد لا محالة ، على ما علم الله منه، من غير أن يقال: إن عِلم الله ساق أحداً إلى ما يعمل من خير وشر ونفع وضر .

وإنما دعا النبى ﷺ الـكفرة أن يخرجوا من معلوم إلى معلوم . من معلوم الـكفر الذى هم له عاملون ، إلى معلوم الإيمان ، الذى هم مشغولون بغيره . فدعاهم أن يتركوا ذلك التشاغل بالـكفر ، الذى قد اشتغلوا به ، ويشتغلوا بالإيمان . فمِن راجعٍ منهم، وآخذٍ فى صلاح نفسه ، وتارك الاشتغال بالـكفر، ومِن مقيم على كفره . والخلق كلهم ، يعلم الله أعمالهم، وما يئول إليه أمرهم . يعلم الله ذلك كله ، كقوله تعالى : « ألا يعلم مَنْ خَلَق وهو اللطيف الخبير » وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والثلاثون والمائة

فى الوعد والوعيد

والرد على المرجئة

الوعد : وعد الله أهل الطاعة من الثواب ، فى الآخرة . وهو حق . والوعيد: ما أوعد الله أهل الكفر والفسوق على المعاصى ، العقاب فى الآخرة . وهو حق .

قالت المرجئة ـ فى وعيدالله : إنا وجدنا الكريم فيما بيننا ، إذا توعدالعقوبة ، ثم عفا ، كان أحسن فى صفته . فإذا كانت العرب تفتخر ، وتتبجح بالصفح عن الجرائم . فالله تعالى أولى بالصفة الجميلة ، وكل صفة حسنة .

قلنا إن الله تعالى أولى بكل صفة حسنة . ولكن لايجوز على الله ، إذ ليس هو بصفة حسنة . وذلك أن العرب كلما عفَوا عن الأمر الذى هو أعظم ، عمن بالغ فى عداوتهم ، كان ذلك أحسن . فلو كان ذلك أيضاً فى صفة الله حسنا ، لكان يحسن أن يعفو عمن جحده ، وكفر به . وجعل معه إلهًا غيره . وجعل له الصاحبة والولد ، حتى لقيه كافرا مشركا جاحدا . فلما أجمعوا جميعا ، لاخلاف بينهم : أنه لايعفو عن أحد من هؤلاء ، ممن أشرك به وجحده ، علمنا أن هذا لا يساوَى فيه بين صفة الخالق والمخلوق، مع أن الذى يعفو من الخلق، بعد أن توعد، إنما تبدو له المصلحة فى العفو ، لما لم يكن علمه . وذلك لايجوز على الله أن يبدو له شىء، لم يكن علمه قبل ذلك . وأيضا فلا يخلو القول فى وعيد أهل الكبائر ، من أحد وجوه ثلاثة : إما يكون الله تعالى قال : إنه يوقع بهم هذا الوعيد . فلابد من وقوعه بهم،

على كل حال ، أو يكون قال ذلك ، وهو لا يدرى يوقعه بهم أم لا ، أو يكون . قال ذلك . وهو يعلم أنه لا يوقعه بهم ولا يفعله .

فإن كان قاله ، وهو يعلم أنه لا يوقعه بهم فهذا هو الكذب على الله ــ تعالى عنه .

وإن كان قال ذلك . وهو لا يدرى يوقعه بهم أم لا ؟ فهذه هى صفة الجاهل. والجاهل ليس بإله عليم ــ تعالى الله عن ذلك . فلما بطل هذان الوجهان ، صح ماقلنا : إنه إذا توعد بعقوبة أمضاها .

فمن زعم أن فى الوعيد ناسخا ومنسوخا ، فإن الله توعد أهل الكبائر بالنار. ثم نسخ ذلك بقوله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فقد كذب ، لأن النسخ إنما هــو فى الأمر والنهى . يأمر عادة بأمر ، ثم يخفف عنهم ، أو ينهى عن أمر ، ثم يرخص لهم فيه ، لعلمه بصلاح عباده ؛ لأن الناسخ والمنسوخ فى الأخبار : أن يخبر بخبر أنه كائن . ثم يقول : لا يكون . فذلك هو الكذب ــ تعالى الله عنه .

وأما قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » فقد أخبرنا الله تعالى : أين وقعت المشيئة فى سورة طه . وهو قوله تعالى : « وإنى لغفار لمن تاب » فى الدنيا « وعمل صالحا » يظهر العقب فى الدنيا لمن تاب ، عند رؤية الجنة والنار يوم القيامة . لو كان كذلك ما عذب الله أحدا ؛ لأنهم كلهم يتوبون عند رؤية الجنة والنار . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والثلاثون والمائة

فى الرد على من قال : إن الخلود فى النار خاص لأهل الشرك وأما الموحدون فلا

قال المؤلف : الدليل على أن الخلود فى أهل الشرك وأهل النفاق والموحدين كلهم جميعا: قوله تعالى : « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم » فقد جمع الله بين الكفار والمنافقين الموحدين، فى الخلود فى النار.

فمن زعم أن أهل الإقرار من المنافقين والمنافقات ، يخرجون من النار ، فقد كذب كتاب الله ، وأباح بقوله هذا ارتكاب الحرام ، وانتهاك المحارم ؛ لأن اسم الـ[illegible] جمع بين كل من عصى الله من خلقه موحداً ، أو غير موحد ؛ لقوله تعالى : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » .

فمن لم يكن شاكرا ، كان كافراً . وقال الله تعالى : « اشكروا لى ولا تكفرون » فالخلق أجمعون ، إما طائع ، وإما عاص ، وإما مؤمن ، وإما كافر ، وإما مهتد ، وإما ضال ، لاغير ذلك . وقد قالت اليهود والنصارى : إنما نحن عند الله بمنزلة الولد ، إن عذبنا ، فبقدر ذنوبنا . فأنزل الله فيهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » وما شاء أن يغفر لليهود والنصارى ، حتى

يسلموا ولـكن يغفر لمن تاب منهم ، ودخل فى الإسـلام ، ويعذب من أقام على كـفره ، وتـكذيبه بمحمد ﷺ والقرآن ومن آثار المسلمين .

وأما قوله تعـالى : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » فـكان جابر يقول : إن الله يعزم ، ثم يستثنى . وإنما شاء الخلود ، كقوله تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله » وقد شاء أن يدخلوه . وكقوله تعالى : « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» وقد بين مشيئته لمن شاء أن يغفر له . فقال : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » وقوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نـكفر عنـكم سيئاتـكم » فقال بعض المسلمين ـ وهو أبو سعيد ـ : إنما يكفر عنه الصغائر باجتناب الـكبائر ، إذا لم يصر على الصغائر ، لأن الإصرار عندهم كبيرة ، كان الإصرار على كبير أو صغير ؛ لأن الله تعالى يقـول : « ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » ولم يذكر فعلوا كبيرة ، دون صغيرة . فدل أن ما فعله ، من الصغير والـكبير ، فأصر عليه ، فهو مستحق الخلود فى النار ؛ لقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فلو كانت الصغائر تغفر بلا توبة ، إذا اجتنبت الـكبائر ، كما قال بعض مخالفينا ، لم يكن لقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » معنى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والثلاثون والمائة

فى المنزلة بين المنزلتين

قال المؤلف : اعلم أن الكافرين والمنافقين والفاسقين والظالمين والجائرين كل أولئك لاحِق لهم اسم الكفر وكل من مات على ما هو عليه مصرًا ، مات كافرا على كفره .

وقول : المعتزلة : إن الفاسق لا مؤمن ، ولا كافر . فعلى قياد قولهم : إنه لا موحد ، ولا ملحد ، ولا ولى ولا عدو ، ولا شقى ، ولا سعيد . فهذا خلاف الكتاب المنزل من الله ؛ لأن الله تعالى يقول : « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار » فكيف لايلحق به اسم الكفر . وقد جعل الله له النار ، لأن الناس إما طائع ، وإما عاص ، وإما مؤمن ، وإما كافر ، وإما مهتد ، وإما ضال ، لقوله تعالى : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا. إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفوراً » فالشاكر : الطائع . فمن لم يكن طائعا ، كان كافرا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والثلاثون والمائة

فى التائب

هل يجوز أن يأمن العذاب أم لا ؟

الذى منا ونذهب إليه ونعتقد : أن أحدا من عباد الله المكلفين ، لا يأمن عذاب الله تعالى ، وقد قال الله تعالى : « ويدعوننا رغبا ورهبا » وذكر الملائكة فقال: « وهم من خشيته مشفقون » وكان النبى ﷺ مع ما قد غفر الله له، ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، مشفقا من خشية الله ، باكيا حزينا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والثلاثون والمائة

فى الآجال

والرد على المعتزلة فى ذلك

قال المؤلف : الذى نذهب نحن إليه : أن كل من مات ، أو قتل ، فقد مات بأجله .

وقول المعتزلة: إن من قتل لم يمت بأجله، تحريف لكتاب الله ، لأن الله تعالى يقول : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فإذا جاء أجله ، لا يستأخر عنه ساعة ، ولا يستقدم .

ولا ينفع عمل للزيادة فى الأجل ، كما زعم المخالفون ، من صدقة أو غيرها ، من صلة الأرحام، أو غير ذلك ،لأن قول الله تعالى:«فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» خبر أخبر الله به. والأخبار لا تناسخ فيها، إذا كانت تئول إلى الكذب . إذا لحقها التناسخ ، لم يكن المخبر صادقا ، فيما أخبر والله تعالى يقول : « ومن أصدق من الله قيلا » وقد قال الله تعالى فى يحيى بن زكريا : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » وهو لم يمت على فراشه . بل قتل ، ومات مقتولا. فسمى الله تعالى قتله موتا له فقد مات بأجله الذى أجّله الله له .

ولو أن إنسانا ، حلف أنه يوم يموت زيد ، فامرأته طالق . فقتل زيد ، ولم يمت على فراشه ، لطلقت امرأته ، لأنه لم ينو : إن مات زيد على فراشه ، بلا قاتل يقتله . وإنما يذهب يوم تخرج روح زيد من جسده وبالله التوفيق .

* * *

الباب الأربعون والمائة

فى البعث والرد على الدهرية
ومن لا يعتقد الخلق وبعث المخلوقين

من كلام الشيخ أبى الحسن ـ رحمه الله ـ :

فإن قال قائل : ما الدليل على إعادة الخلق ؟

قيل له : الدليل أنه سبحانه وتعالى خلق الخلق أولا ، على غير مثال سبق . فإذا كان خلقه أولا ، على غير مثال سبق ، لم يعى أن يعيده خلقا آخر . وقد قال عز من قائل : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

وقال سبحانه : وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » .

وقال سبحانه ، مخبرا عن قولهم : « أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون » وفى آية أخرى : « مبعوثون » وقال : «فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة » فدل فى القرآن ، فى غير موضع ، أنه يعيدهم . وقال سبحانه : « أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون » .

وقال سبحانه وتعالى : « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون .

وقال سبحانه : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

وقال : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » فهذا دليل من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والأربعون والمائة

فى اختلاف الموحدين

هل يبعث الله الخلق أجمع أم بعضهم ؟

اختلف الموحدون ، فى بعث الخلق .

فقال من قال: إن كل شىء خلقه الله عز وجل،وأخرجه من العدم إلى الوجود يبعث يوم القيامة .

وقال من قال : يبعث الله كل ذى روح . ويوجد أنه من اعتقد أن الله يبعث كل ذى روح ، فهو سالم . ومن اعتقد أن الله يبعث كل شىء خلقه ، فهو سالم ما لم يخطئ أحدهما الآخر .

فحجة من قال : إن الله يبعث كل ذى روح : قوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون » .

وقال الآخرون : إنه ليس فى هذه الآية دلالة ، على أنه لا يبعث إلا ذوات الأرواح . وإن من كان من غير ذوات الأرواح، فلا يعاد . وقد قال الله : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده » وهذه عامة . وما كان عاما ، فهو على عمومه ، إلا أن تقوم دلالة على نسخه وتخصيصه ، وحجة واضحة من كتاب الله ، أو سنة ، أو إجماع . وقد قال الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » الآية . فهذا ليس من ذوات الأرواح .

وقال تعالى: « إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون»
وقال تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها » . وبالله التوفيق .

• • •

الباب الثانى والأربعون والمائة

فى الرد على من قال: إن قبل يوم القيامة بعث

عن الشيخ أبى الحسن البسيانى :

وسأل عمن زعم أن قبل يوم القيامة بعثا ، يقتل بعده من قد مات فى الدنيا ، ويموت من قد قتل. وأن دولتهم وظهور أمرهم وبيان تصديق قولهم بعد ذلك البعث. ما الحجة عليه ؟

قيل له : هذا كاذب ، مخالف لكتاب الله . والإجماع على خلاف قوله. وقد قال الله تعالى ما يدل على تكذيبه: « الله لا إلٰه إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة» وقال : « ولئن متم أو قتلتم » وقال رسول الله ﷺ ـ فيما يروى عنه ـ أنه قال: بعثت أنا والساعة كفرسىْ رهان . وإن كادت لتسبقنى فسبقتها . ولم يقل : مثل ما قال صاحب هذه المقالة ، ولا عن الصحابة الذين هم الحجة على شىء ، مما ذكر هذا . وهذا كذب كله ، ودعوى لا يصح لمن قال ذلك . وقوله زور ، ومخالف للقرآن . وبالله نستعين .

* * *

الباب الثالث والأربعون والمائة
فى عذاب القبر ومنكر ونكير

الشيخ أبو الحسن البسيانى :

فإن قال : فما تقول فى عذاب القبر ؟

قيل له : ذلك إلى الله وهم عبيده - إن شاء - عذبهم فى الدنيا ، وفى القبر، وفى الآخرة .

وأما عذاب الآخرة ، فلا شك فيه . وقد قال الله تعالى فى اليهود : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاءَ لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذابُ النار » .

وأما عذاب النار،فلا بد لهم منه كما قال.وقد كتب عليهم فى الدنيا الإجلاء من المدينة . وقد قال تعالى: « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر» فهو كذلك كما قال: إن شاء عذب فى الدنيا بما شاء وعاقب فيها، من شاء . وقد قال عز وجل : « فأخذهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون » .

وقد اختلف الناس اختلافا كثيرا ، فى معنى عذاب القبر . وقولنا فيه ، وفى غيره قول المسلمين . ولا يعجز اللهَ شىء من ذلك .

وحجة من قال بعذاب القبر : قوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » الآية .

فالموتة الأولى : التى تقع بهم فى الدنيا بعد الحياة . والحياة الأولى : إحياء الله إياهم فى القبر .

وللموتة الثانية : إماتة الله إياهم بعد المسألة .

والحياة الثانية : إحياؤهم الله للبعث .

وحجة من أنكر عذاب القبر : قوله تعالى : « قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم » .

قال : ولو كان هؤلاء الكفار أحياء فى قبورهم ما قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم . فهذا يدل أنهم لا حياة لهم فى القبر بعد الموت .

وأما الخبر الذى روى عن النبى ﷺ أنه قال: إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه . فهذا خبر غير موافق للكتاب ، لأن الله تعالى يقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال : « وكُلًّا أخذنا بذنبه » .

وأما مُنْكَرٌ ونكير، فقد اختلف الناس فيهم وذلك إلى الله يفعل ما يشاء والله هو أعلم بذلك . وإنما يجوز لنا القول فى الحكم ، على ناطق الكتاب والإجماع .

فأما ما فيه الاختلاف، ولم يقع فيه حكم بنص بنصره، فقولنا فيه قول المسلمين ونحن سائلون ـ إن شاء الله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والأربعون والمائة
فى ذكر ذهاب السموات السبع والأرضين السبع
يوم القيامة

قال المؤلف: قال الله تعالى: « كل شىء هالك إلا وجهَه » فبيّن فى هذه الآية فناء الخلق أجمعين .

والدليل على أن السموات والأرض فانيات ، قوله تعالى : « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه » . ففى التفسير : أن السموات والأرض ذاهبات يوم القيامة .

وقال تعالى: « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب » من غير طى بيد .

وقال فى الأرض : « وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » .

وأما الدليل على ذهاب ذوات الأرواح : فقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » فكل نفس منفوسة ، ذائقة الموت ، من دابة وبشر وملائكة وطير . فهو ميت .

والدليل على أن كل ما فى الأرض من جماد يذهب : قوله تعالى : « كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

والدليل على أن جميع الخلق أجمع تذهب، مما ذرأ الله وبرأ، من جميع بريته ، ومما ذرأ من السموات والأرضين، وما فيهما أجمعين، من حيوان، أو جماد ذاهبٌ فانٍ : قوله تعالى : « كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فكل شىء موجود مخلوق ، يقع عليه اسم شىء ، فذاهب من جميع السموات والأرض، وما فيهن أجمعين . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والأربعون والمائة
فى الحساب والجزاء يوم القيامة
ودخول الجنة والنار

قال الله تعالى : « ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » ليس حساب ربنا كحساب المخلوقين . وإنما هو حكم وعدل ، وعلم بأعمالهم التى عملوها ، وقوله : « وكفى بنا حاسبين » الباء رفع . والمعنى : وكفينا حاسبين . وحاسبين منصوب على التمييز وعلى الحال ؛ لأن حسابه للخلق أجمعين ، مثل حسابه لرجل واحد ، لا يشغله حساب واحد عن حساب آخر . وهو معنى قوله : « إن الله سريع الحساب » .

قال المؤلف : نعم لا يشغل اللهَ شىءٌ عن شىء .

والكتب . قيل : إنما هى تطّاير طيرانا . يطير كل كتاب إلى صاحبه . وأنها تكون قبل طيرانها تحت العرش .

قيل : إن الكتب تكون بأيدى الملائكة الذين كانوا يكتبون على بنى آدم . فيعطون بنى آدم كلا منهم كتابه فيقرأوه فإن قرأه علم بحجة الله عليه ، يلقى الله ذلك على قلوبهم .

قال الشيخ أبو الحسن البسيانى : أقول إن الله تعالى هو المحاسب لهم ، وأنه يسألهم عن أعمالهم من الخير والشر ، ويريهم ذلك . فيعلم المؤمن فضل الله عليه . ويعلم الكافر عدل الله عليه ، لأنه ليس بظلام للعبيد وهو كأسرع ما يكون . إنه قال تعالى : سريع الحساب وأسرع الحاسبين . انقضى .

قال : وأقول : إن هذا الكتاب يكون عند حفظته ، الذين كانوا يكتبون عليه حسناته وسيئاته .

قال المؤلف : ولا أقول : إن الله يقضى بين الدواب كما قال قومنا : تنطح الجماء يوم القيامة القرناء، بما نطحتها فى دار الدنيا؛ لأن الدواب ليسوا بمكلفين، حتى يقضى بينهم ويحاسبوا ويقتص منهم. وهذا شىء لا يصح فى جهة البارى - عز وجل - يعاقب من لا تكليف عليه . ويحاسب ويقتص ويحكم ، بين من لم يأمره فى الدنيا وينهاه ، كالمكلفين من الثقلين. وإنما قيل: إنهم يحشرون يوم القيامة. فما استحسن منهم أهلُ الجنة ، كان فى الجنة ثوابا لأهل الجنة . والباقى فى النار ، يكونون عذابا لأهل النار . ولا عذاب على البهائم . والله أعلم .

وقيل : إن البهائم يدخلون الجنة بالأعواض، فى قول أبى محمد ، لأن أبا محمد قال : إن المكلفين يدخلون الجنة بالتفضيل والعمل . والأطفال يدخلون الجنة بالتفضيل . والبهائم هم الذين يدخلون الجنة بالأعواض .

وقال : فالبهائم والحشرات، وجميع ما يجرى هذا المجرى ، لا عقاب عليهم . ولا تدخل الجنة بالتفضيل، فلم يبق إلا بأعواض .

قال المؤلف : فإن قيل : كيف يدخل الجنة المكلفون - بالتفضيل ، وهم قد استحقوه بعملهم ؟ لو كان كذلك ، لكان كل من دفع إلى أجير أجرته ، فقد تفضل عليه ؟

قيل له : إن الأجير ، قد نفع المستأجر بعمله ، كما نفعه المستأجر بأجرته . والمكلفون لم ينفعوا الله تعالى بشىء ، إنما كلفهم الله لينفعهم. فهذا فرق بين ذلك وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والأربعون والمائة

فى الشفاعة ومن يستحقها

قال المؤلف : الشفاعة حق ولكنها المؤمنين الذين رضى الله عنهم؛ لقوله تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » وقال : « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » وقال سبحانه : « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا » .

فمن قال: إن الشفاعة لأهل الكبائر، فقد كذّب الله ـ عز وجل ـ فى قوله. ولو كانت لأهل الكبائر ، ما قال الله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » وقولهم : إن النبى ﷺ قال : شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى . فهذه الرواية لا توافق كتاب الله ، لما قدمنا من ذلك ، مع أنه عارضتها رواية أخرى ، محبطة لها . وهى موافقة للكتاب . قوله ﷺ : لا تنال شفاعتى أهلَ الكبائر من أمتى. وقد قال ﷺ : ما منكم من أحد يدخل الجنة يوم القيامة إلا بفضل الله ، ثم بعمله ، ثم بشفاعتى فشفاعته زيادة المؤمن فى أجره ، ورفع درجته . ونحن نقول : اللهم أدخلنا فى شفاعته ﷺ . ولا نسأله أن يجعلنا من أهل الكبائر ، لكى ندخل فى شفاعته . ولا يجوز ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والأربعون والمائة
فى الصراط
والردّ على من قال : إنه صراط مستقيم
محدود كحد السيف

قال المؤلف : الصراط معنا : هو دين الإسلام . وهو الحق الذى دعا الله النبي ﷺ . قال الله تعالى: « اهدنا الصراط المستقيم » وقال تعالى : « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » كل ذلك بمعنى الدين والإسلام والحق القويم . فليس هناك يوم القيامة صراط موضوع . ولا ميزان منصوب . بل هناك عدل من الله مبين، وحق ظاهر مستبين .

والدليل على أن الصراط هو الإسلام والدين والحق القويم : قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

والسبل : هى الأهواء الضالة . والسبل هى الطريق . والسبل : هى طريق غير الحق . كما قال الشاعر :

أمير المؤمنين على صراط   إذا اعْوَجَّ الموارد مستقيم

ولم يصفه بأنه قائم على شىء ، كحد السيف ، ولا قاعد عليه . وإنما وصفه أنه على الدين القويم ، والحق المستقيم ؛ لأن الموارد الطرق . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والأربعون والمائة

فى الميزان

والرد على من قال : إن يوم القيامة ميزان حقيق

زعم أهل الضلال أن يوم القيامة ينصب الله للخلق ميزانا ، يزن فيه أعمالهم وأن سعة كفة الميزان ، سعة السموات والأرض . وطول عموده ، كطول الدنيا. واحتجوا بقوله عز وجل : « فمن ثقلت موازينه » الآية . وأنكر هذا المسلمون . وقالوا : إنما الوزن هو مجازاة البارئ ـ عز وجل على الأعمال . وذلك فى اللغة ، كما قال الشاعر :

إنى وزنت الذى يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

إنما أراد التمييز ما بينهما والتأويل ، لا أنه وزن ذلك بميزان . ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه: زن مجلسك. ولا يطيق أن يزن المجلس . وزن كلامك ولا يطيق أن يزن كلامه ، لأنه عرض. فإذا تكلم به ، لم يقدر عليه ليزنه . وإنما يريد التأمل والنظر والتسوير والحق .

وقوله تعالى: « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » أى نضع العدل . يعرّف عباده أن عنده لهم حقائق العدل ، وأنه لا يظلم الناس شيئا . وهو الحكم بينهم يوم القيامة والفصل . وقوله تعالى : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » يعنى لانقبل منهم يوم القيامة إيمانا ، كما قال تعالى : « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » فالوزن فى هذا الموضع : الإيمان ، لا أن هناك

ميزانا ، كما زعموا . وإنمــــا قال الله تعالى : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه » يعنى من جاء بالإيمان والإخلاص « ومن خفت موازينه » يعنى إذا جاء بالـكفر . وإنما المعنى: أن الناس يجازون على أعمالهم ، بالحق والقسط والعدل.

وقال بعض المسلمين : هو مقابلة الأعمال بالأعمال . وقد قال الله تعالى : « الله الذى أنزل الـكتاب بالحق والميزان » فقد رأينا الـكتاب ، ودلونا بالميزان . أين أنزله ، إن كان كما ذكرتم . وهذا موجود فى اللغة . قال الشاعر :

وزن الـكلام إذا نطقت فإنه   يبدى عيوب ذوى الـكلام المنطقُ

والـكلام عرض لايوزن بميزان وإنما مراده التأمل والمجازاة .

قال المؤلف : يقال لهم : ما تقولون فيمن عاش مائة سنة ، يعمل بالإيمان . ثم كفر شهرا ، أو يوما ، أو لحظة . ومات على كفره أين يكون ، لأن عمل شهر أو يوم ، أو لحظة ، لايوازن عمل مائة سنة ؟

فإن قالوا : فى الجنة .

قيل لهم : خالفتم كتاب الله تعالى ؛ لأنه تعالى يقول : « والذين كفروا لهم نار جهنم » .

وإن قالوا : فى النار ، بطل قولهم بالميزان .

وكـذلك يسألون عن رجل عاش مائة سنة ، يعمل بالـكفر ، ثم تاب ، وآمن وعمل صالحا ، وأخلص نيته لله شهرا ، أو يوما ، أو لحظة . ثم مات .

* * *

الباب التاسع والأربعون والمائة

فى الورود وهو المرور بالنار

والرد على من قال : إنه الدخول نفسه

قال الله تعالى: « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » .

الدليل على أن الورود يوم القيامة : هـــو المرور بالنار ، والاجتياز بها ، لا الدخول فيها : قول الله تعالى ، لموسى ﷺ : « ولما ورد ماء مدين » وموسى عليه السلام إنما اجتاز بماء مدين ، ومر عليه ، ولم يدخله .

وقال بعض المسلمين ـ فى تفسير هذه الآية ـ : « وإن منكم إلا واردها » يعنى جملة المشركين . فالورود : الاجتياز ، والمرور بالشىء . تقول العرب : ورد ماء كذا ، أى اجتاز به ولم يدخله . وورود الإبل والطير الماء . إنما هو انتهاؤها إليه ، لتشرب منه ، لا الوقوع فيه . قال زهير :

فلما وردنا المـاء زرقا جمامة   وضعن عصىّ الحاضر المتخيم

والمعنى : انتهين إلى الماء وبلغنه ، وقمن عليه ، لا أن المؤمنين يدخلونها .

الحجة : أنهم لايدخلونها . قوله تعالى : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون» فكيف يكونون فيها داخلين. والله تعالى يقول : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون » . والحسنى هى الجنة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخمسون والمائة

فى الخلود فى النار

والرد على من قال بالخروج منها

قال المؤلف : يقال لمن قال : إن أهل التوحيد إنما يعذبون فى النار ، بقدر أعمالهم، ثم يخرجون منها . وإنما الخلود لأهل الجحود من أهل الكفر يقال لهم : فما الدليل على ذلك ؟ فأهل التوحيد، لو كان يكفيهم التوحيد، عن العمل بالإيمان، وموتهم عليه، ما قال الله تعالى: « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها أبداً » فالمنافقون والمنافقات ، هم أهل التوحيد ؛ لأنهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، فلم يغن ذلك عنهم شيئا من الخلود فى النار، ولما قالت اليهود والنصارى « نحن أبناء الله وأحباؤه » يعنون أنّا عند الله بمنزلة الولد، إن عذبنا فإنما يعذبنا بقدر ذنوبنا. وقالت اليهود: «نحن أبناء الله وأحباؤه» قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » وذكر لهم الخلود فى موضع آخر. فقال عز وجل: « وقالوا » يعنى أهل الكتاب اليهود: «لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وقال فى المقرين من هذه الأمة : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » الآية . فسوّى بينهم وبين أهل الكتاب «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها » .

وإن احتجوا بقوله تعالى : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » فقد شاء لهم الخلود ، حيث قال : « خالدين فيها أبدا » لأنه تعالى قد جمع الكفار والموحدين فى آية واحدة جميعا ، وأعد لهم الخلود . وقوله : « إلا ما شاء ربك » فقد شاء لهم الخلود ، حيث أخبر بخلود أهل النار .

وقال أيضا: « وما هم منها بمخرجين » فليس لهم فيما تعلقوا به حجة ، لأن الله تعالى يقول : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » فقد شاء لهم الخلود .

فإن زعموا أن أهل النار لايخلدون فيها بهذا الاستثناء. فيلزمهم أن أهل الجنة لا يخلدون فيها أيضا ، بهذا الاستثناء . وهم لايقولون بذلك وبالله التوفيق .

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٤٠٦
الرقم الخاص : ٢١٤/١

الباب الحادى والخمسون والمائة
فى الحكمة فى خلود أهل النار
والتفاضل فى الثواب والعقاب

قال بشير : علة من يقول بالتخليد فى النار بالقياس : إن المذنب العاصى ، إذا عصى بكبيرة ، إنه قد عصى ربا عظيما ، لا نهاية لعظمته . وكذلك يخلد فى العذاب خلودا ، لا نهاية له .

قال المؤلف : وقول المسلمين فى توحيدهم لربهم: إن لله ثوابا لا يشبهه ثواب، وعقابا لا يشبهه عقاب . فلو كان فى ثوابه وعقابه نهاية ومنتهى وأمد ينقطع إلى وصوله ، وينتهى إليه ، لأشبه ثوابُ المخلوقين وعقابهم .

فإن قيل : كيف هذا ، وقد قال تعالى : « من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها» والسيئة لها منتهى .

قيل له : إنه تعالى قال : « مثلها » فى التعديل . والحق أنه لا يعذب الكافر كعذاب المنافق . المنافق أشد عذابا. وكل يعذب بقدر عمله ، فى الجزاء والتفاضل؛ لأن للنار دركات ، وللجنة درجات . قال الله تعالى : « ولكلٍّ درجاتٌ مما عملوا وليوفّيَهم أعمالهم وهم لا يظلمون » وقال فى أهل النار : « ولكلٍّ ضِعف ولكن لا تعلمون » . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والخمسون والمائة

فى الجنة والنار أخلقتا أم لم تخلقا بعد؟

قال المؤلف : اختلف الناس فى ذلك .

وحجة من قال : إنهما خلقتا قول الله تعالى : « قلنا اهبطوا منهـا جميعا » والهبوط من الشىء لا يكون إلا وقد خلق. وقال فى الجنة والنار: « أعدت للمتقين وأعدت للـكافرين » والمعد : المهيأ الذى قد فرغ منه .

وقال النبى ﷺ : اطلعت على الجنة ، فرأيت أقل أهلها الأغنياء والنساء . واطلعت على النار ، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء . فلا يطلع إلا على شىء قد خلق وفرغ منه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والخمسون والمائة

فى خلود أهل الجنة والنار كيف يبقون كبقاء الله والحكمة فى بقائهم

قال المؤلف : الفرق بين بقاء أهل الجنة والنار ، وبقاء البارىء تعالى: إنما هو عز وجل يبقى بنفسه ، لا ببقاء مبق أبقاه . فبقى ببقائه باقيا . وأهل الجنة والنار ، إنما بقوا ببقاء مبق أبقاهم ، فبقوا ببقائه . وهو الله عز وجل بقاهم فبقوا ببقاء الله . فلا يقاس بقاؤهم ببقاء الله ، ولا خلودهم كخلوده ـ عز وجل ـ لأنه تعالى خالد بنفسه ، لا بخلود مخلد خلّده ، فخلد بخلوده . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والخمسون والمائة

في سؤالات أهل العناد والعنت للمسلمين

إن قيل : هل يعلم الله بجملة نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار أم لا ؟

قلنا : يعلم الله تعالى نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار، أنه لا نهاية لذلك. فإذا لم يكن لهم أمد ونهاية، فلا يقال: أيعلم الله بأمدهم ونهايتهم؛ لأنهم لا نهاية لهم. وقد علم الله أنهم لا نهاية لهم. فلا يعود ما قد سبق به العلم أو أخره، إلى علم ثان . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والخمسون والمائة

فى الرد على من قال : إن الجنة التى دخلها آدم إنما كانت بستاناً من بساتين الدنيا

الدليل على أنها كانت الجنة التى أعدها الله للمتقين : قوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجُك الجنة » بالألف واللام . فلا تكون إلا الجنة المَعدّة للمتقين ، لا غيرها . كما أن من أوصى للمسجد ، ولم يعرف لأى مسجد ، كانت الوصية للمسجد الجامع المعروف .

والدليل على ذلك : قوله تعالى : « اهبطا منها » يعنى من الجنة السماوية إلى الأرض السفلية . فأهبطا من السماء إلى الأرض . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والخمسون والمائة

فى الرد على من قال من الجهمية : إن الجنة والنار يفنيان فى الآخرة وأن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنى وأنه إلى مدة

قال المؤلف : الدليـل على أنهما باقيتان لا تفنيان : قوله تعالى : « أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون » .

فالقائل بفناء الجنة والنار ، قد نقض كتابَ الله تعالى . فمن لم يؤمن بالجنة والنار ، وأنهما باقيتان كبقاء الآخرة ، وأن أهلها لا يخرجون منها ، فقد كفر .

وإن احتجوا بقوله تعـالى : « خالدين فيها ما دامت السموٰاتُ والأرضُ إلا ما شاء ربك » فقد شاء اللهُ الخلود للفريقين ؛ لأنه قد علّمنا أنه قد شاء الخلود ، بقوله فى أهل الجنة « خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنـه » . وقوله فى أهل النار : « خالدين فيها أولئك هم شر البرية » والله تعالى ، إنمـا خلق الخلق لنعيم الآخرة ، لا لسكونهم فى الدنيا . وإنما كفر الـكافر لسوء اختياره . ولو لم يكفر ، لـكان فى نعيم الآخرة كغيره ممن آمن ، لأن الله تعالى إنما خلق الخلق لينفعهم . فلا منفعة أعظم من خلودهم فى النعيم . فلذلك لم يهلـكهم ويصيرهم عدما . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والخمسون والمائة

فى خلق الله الخلق

لم خلقهم ورزقهم وأماتهم وحاسبهم

وأثابهم وعذبهم؟

خلق الله الخلق ليريهم حكمته . ورزقهم ليريهم نعمته. وأماتهم ليريهم قدرته وبعثهم ليريهم رأفته . وحاسبهم ليريهم هيبته . وغفر لهم ليريهم رحمته . وعذبهم ليريهم عدله .

فإن قيل : لم خلقهم طوراً طورًا ؟

قيل له: ليكون ذلك أدل على كمال القدرة ، لأن كل طور من تلك الأطوار يكون فى نفسه دلالة ظاهرة بالغـة كاملة ، على قدرته وتـكوينه . وخلقه لهم دفعة واحدة، دلالة واحدة . والله تعالى قادر أن يخلق السموات والأرض ، وما بينهما ، وما فيهما دفعة واحدة ، فى أسرع من طرفة عين. فقد خلقهم فى ستة أيام؛ ليعلم أنه تعالى يريد التأنى فى الأمور . فلهذا قيل : العجلة من الشيطان ، والتأنى من الله . وكانت أمور الدنيا على التراخى .

والتأنى: الشىء بعد الشىء. فجعل الله التأنى رحمة للعباد ، للآجال والمعاملات وجميع الأمور .

قال الشيخ أبو الحسن البسيانى : إن الله تعالى شاء أن يظهر قدرته ، ويرى العباد ملكه وعزته . فخلق الأشياء التى سبق فى علمه أنه سيخلقها . فخلق الأشياء

لا من شيء . ثم خلق الشيء من الشيء . ولو شاء لخلق كل شيء لا من شيء ؛ لأنه إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون ـ انقضى .

فخلق الله الخلق قسمين: مُنتَفِـعٌ ومُنتَفَعٌ به. ثم خلق المكلفات. فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها .

فإن قيل : فأى شيء أننى الله الخلق من الآلاء ، حتى يذكرهم بها ؟

قيل له : النعمة فى ذلك التسوية بينهم فى الموت، حتى لا يكون لأحدهم فضل بالحياة على أحد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والخمسون والمائة

فى أن الله تعالى خلق الخلق لينفعهم

قال المؤلف: دليل ذلك: أنه لايخلو من أن يكون خلقهم لينفعهم، أو لينتفع هو بهم، أوْ لا لهذا ولا لهذا .

فإن يكن خلقهم لينفعهم، فهو ما نقوله. وإن يكن لينتفع هو بهم ، فقد لزمته الحاجة والفقر والعجز . والعاجز المحتاج الفقير ، ليس بإله غنى على كل شىء قدير وبكل شىء عليم .

وإن يكن خلقهم، لا لهذا ، ولا لهذا ، فقد خلقهم عبثا ، وتركهم سدى . والفاعل لذلك ليس بحكيم . والله حكيم عليم . وبه التوفيق .

* * *

الباب التاسع والخمسون والمائة

فى نعمة الله على العباد

قال المؤلف : أول نعمة الله على العباد : أن خلقهم أحياء غير أموات . لأن الموات لايجد لذة. وكمال نعمة الله على العباد العقل ؛ لأن غير العاقل ، لاينظر بعقله حكمة الله ونعمته عليه ، وعلى سائر الخلق أجمعين. ثم إن الله تعالى أتم نعمته عليهم بهذا الإسلام . فالإسلام هو تمام النعم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الستون والمائة
فى الرزق
والرد على المعتزلة

قال الله تعالى: « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

فمن قال : إنه يحصى نعمة الله ، فقد كفر بالله .

فإن قال قائل : أفيرزق الله الحرام ؟

قيل له : إن الله تعالى أمر بكسب الرزق، والابتغاء من فضله ، من الكسب الحلال . ونهى عن الحرام وكسبه .

فكل من كسب الحلال ، فقد كسب رزق الله الذى أمره به ، ورزقه إياه حلالا طيبا ، كما قال .

ومن كسب الحرام ، واتبع خطوات الشيطان ، فقد أكل ما حرم الله عليه ، وأكل الحرام الذى نهاه عنه ، وأكل رزق الله تعالى حراماً فالله تعالى خلق الأرزاق كلها . ثم نهى عن شىء منها . وأمر بشىء منها .

فمن أكل الحرام، فقد أكل ما غذى به جسده ، من رزق الله حراما . وليس يحسن أن يقال: إن الله يرزق الحرام، وإن كان ذلك الرزق الحرام خالقه الله تعالى ولكن لا يوصف الله إلا بالصفة الحسنة، كما أنه لا يقال للمرأة: هذه امرأة الله . والنعل : هذا نعل الله ، وشبه ذلك . والله هو الخالق لتلك المرأة ، وتلك النعل والقميص والعذرة والكلب والقرد . ولكن لا يخص الله بشىء من ذلك ، فيقال : هذا لله . فافهم ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والستون والمائة

فى الأسعار ممن هى الأسعار ؟

غلاها ورخصها من الله

من قِبل أن الله القابضُ الباسط

معنى القابض : أن يقتر على من يشاء . والباسط : أن يوسع الرزق على من يشاء ، لا أنه تعالى قابض بأنامل أو باسطها ، كما قالت المشبهة ـ تعالى الله عن ذلك .

فإن قيـل : أليس لو حاصر السلطان بعض البلدان ، غلت أسعارهم ، وقل ما فى أيديهم . وصلح أن يقال : إن السلطان غَلَّى أسعارهم ؟

قيل له : قد يقع ذلك من السلطان . ولـكن يقال : إن السلطان غَلَّى أسعارهم مجازا ، واتساعا . كما يقال : قد أماتهم السلطان جوعا وضرا وهزلا . وهو فى الحقيقة ، لم يفعل بهم قتلا ولا موتا . وإنما فعل أفعالا ، أحدث الله تعالى عند ذلك ، موتهم وهلاكهم ، وإن نُسِبَ الموت والهلاك إلى السلطان مجازا وتوسعا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والستون ومائة

كيف جعل الله أبدان المكلّفين تغتذى بالحلال والحرام ؟

جعل الله أبدانهم ، تغتذى بالحلال والحرام ، كما جعل استطاعتهم تصلح للإيمان والكفر . كذلك جعل أبدانهم تغتـذى بالحلال والحرام ، ابتلاءً وامتحانا . ولو جعل أبدانهم لا تغتذى إلا بالحلال فقط ، لـكانوا قد لجأوا واضطروا إلى أكل الحلال . والمُلجأ المضطر ، لا يستحق ثوابا ولا عقابا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والستون والمائة

فى الحكمة فى ذبح الحيوانات وإيلامها

الحكمة فى ذبح الحيوانات: أن الله تعالى له أن يميت كل ما خلق ويفنيهم . فلما كانت الحيوانات خلقا من الله ، فله أن يميتها ، جعل الله موتها على أيدينا ، نذبحها منفعة لنا ، بذبحها وإيلامها وركوبها . والله يعوضها على ذلك .

وكذلك تسليط البهائم والطيور ، بعضها على بعض . فإن الله يعوضها ، مما ينال بعضها من بعض، ولا يفعل الله شيئا من ذلك عبثا . ولله أن يأمر بذبح الحيوان.

وقد أمر إبراهيم ﷺ أن يصدق رؤياه ، بذبح ولده ، وأمر الخضر – عليه السلام – بقتل الغلام. وأمر بنى إسرائيل، بقتل بعضهم بعضا. وليس ذلك بأكثر من أن يأمر ملك الموت ، بقبض أرواحهم . ولو لم يكن لله ذلك ، فله أن يميتهم ، بعد أن خلقهم، مع أن فى قتلهم أهون إثما من موتهم. وأيضا فإن هذه الحيوانات ، لو لم تذبح وأهملت ، لصارت من الكثرة إلى الضياع والموت ، بالحوادث الفظيعة التى هى أفظع من الذبح ، لأنها ليست ، أو ليس أكثرها ممن تحمى نفسها . وهى إن لم تذبح ، تموت لا محالة . ولسنا مع ما قد بيّنا ، نجيز ذبح الحيوان ، للتلذذ والطرب ، واللعب والعبث بلا منفعة ، بل حرام عندنا ، قتل الذر وما فوقه ، مما لا يؤذى . وحرام إضرار الدواب وإيلامها وضربها ، والحمل عليها فوق طاقتها ، إلا ضربها لسوقها ، بقدر ما تعرف أنها تساق بذلك . وهذا الباب منه شىء عن قومنا . وهذا التعويض يسأل عنه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والستون والمائة

فى إيلام الدواب والبهائم والأطفال والحكمة فى ذلك

الحكمة فى إيلام الدواب والبهائم والأطفال ، والهوام على معنيين :

الأول : أنه تعالى عوضهم ، حتى خرج من أن يكون ظلمها ؛ لأن حقيقة الظلم : هو الضرر الذى لايستحقه المفعول به عقابا ، على قبيح نعله . فلا يكون فى ذلك الضرر وصول نفع ، أعظم منه ، ولادفع ضرر أعظم منه .

الثانى: فى إيلامهم اعتبار للمكلفين ، حتى خرج من أن يكون عبثا. والمعلوم عند الله: لو لم يؤلمهم لما صار المكلفون ، يقربون إلى الطاعات ، ويتجنبون عن المعاصى . وتصديق ذلك : قوله تعالى فى محكم كتابه : « وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً » الآية . فنى قتل الغلام ، حصل له عوض يوم القيامة ، وحصل للوالدين ألطاف كثيرة ، لأن الوالدين كانا يحبان الغلام محبة كثيرة . فربما قد حصلا ، فى محنة من المحن . وكان سبب قتل هذا الغلام ، من كثرة التفقد له .

قال المؤلف : ولم أجد فى آثار أصحابنا ذكر العوض . والذى سمعت بعض المسلمين يقول : إن الحكمة فى ألم الأطفال ، لكى يعلموا فضل الآخرة ، أنه ليس فيها ألم يؤذى .

مسألة :

سئل بعض العلماء عن المرض الذى يصيب الدواب والبهائم ، يكون لهم بذلك عوض فى الآخرة أم لا ؟

قال: فى هذا اختلاف بين قومنا ولا أعرف لأصحابنا منه قولا. وبالله التوفيق.

* * *

الباب الخامس والستون والمائة

فى إيلام المكلفين والحكمة فى ذلك

قال المؤلف : إيلام المكلفين البالغين على وجوه :

الوجه الأول: أن يؤمر الأنبياء ، ومن لا ذنب له ؛ لاستحقاق الثواب ، كألم الأطفال .

والوجه الثانى : ألم المؤمنين ، من كسب الذنوب لم يأت منها. فلكى يكون حظه ذلك ، من عذاب النار . فجعل ذلك الإيلام والبلاء عقوبة ، لما سلف من ذنوبه .

والوجه الثالث : ألم الكافر ، والمصرين من الموحدين ، على ما كسبت أيديهم ، كالمنافقين والفاسقين والظالمين والجائرين ونحوهم ، ممن قد أصر. فذلك عقوبة لما كسبت أيديهم ، لا أنه ليكون ذلك حظه من العذاب . بل عقوبة فى الدنيا والآخرة إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، فأولئك من المؤمنين . وقد يعمى الله المؤمن ويصم أذنه . وذلك صلاح له . ولعله لو لم أعمى أو أصم ، لاكتسب بتلك الجارحة ، مايورد به جهنم . وكان فى صممه أو عمائه ، ارتفاع ذلك الذنب العظيم الذى يورده عذاب الجحيم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والستون والمائة

فى خلق السباع والهوام والأمراض والأرانيج المكروهة والآلام

قال المؤلف : الحكمة فى جعل أذى ذلك لنا فى الدنيا ، لكى نذكر عذاب جهنم ، أن الذى فيها أعظم مما أصابنا . ونذكر نعيم الجنة ، نرى لها فضلا عظيما، إذ ليس فيها ألم يؤذى ، إلا لذة وسرورا . مع أن الذى يصيبنا من الآلام ،ولسع الدواب والأرانيج المكروهة، لو لم يصبنا شيء من ذلك قط ألبتة ، ماوقع فى قلوبنا الزجر ، بذكر عذاب جهنم . كما يقع بقلوبنا، إذا أذاقنا الله طرفا من ذلك فى الدنيا، من لسع الدواب ، وأمراض وأرانيج مكروهة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والستون والمائة

فى أطفال الكفار والمنافقين أمؤمنون هم ؟ أم كافرون ؟

فقيل : لا مؤمنون ، ولا كافرون ، لأنهم لم يكفروا بالله ، ولم يؤمنوا بالله .

وقال أبو سعيد الكدمى : إنهم ولدوا على الفطرة والدين والإسلام . وإنما يحكم عليهم بالكفر ، إذا بلغوا وكفروا ، بسوء اختيارهم . ومنهم من يكون سببَ كفرهم آباؤهم ، كالذى يهوِّده أبواه ، وينصِّره أبواه . والعابد الصنم . والذين ولدوا من الكفار ، يكفرهم آباؤهم .

وقال بعض المسلمين : إنهم فى النار مع آبائهم. كما أن المؤمنين لحقوا بآبائهم.

وبعض قال بالوقوف عنهم .

وبعض قال : إنهم فى الجنة ، وأن الله تعالى لا يعذب إلا من عصاه ؛ لقوله تعالى: « وكلًّا أخذنا بذنبه » فلا يؤاخذ الطفل بذنب أبويه . والله تعالى يقول: « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها » وقال تعالى : « ذوقوا ما كنتم تكسبون » فهذا ما قيل فى الأطفال . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والستون والمائة

فى السؤال فى الأطفال

كيف يدخلون الجنة ولا عمل لهم والجنة لاتدخل إلا بعمل؟

قال المؤلف الجواب أنه قيل : إنهم دخلوا الجنة ، بما يصيبهم من الآلام فى الدنيا ، لو لم يكن أصابهم من الآلام إلا ألم الموت وحده ، كفى ذلك . إن ألم عرق واحد عند الموت ، أعظم ألما من سبعين ضربة بالسيف ، على الأنف . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والستون والمائة

فى النسيان أمن البارى هو أم من الشيطان ؟

قيل إن الشيطان لا يقدر على الخلق والإبداع . فلا يقدر على شيء من أمر الله ومخلوقاته ، أن يخلقها كخلق الله به ، ويقدر كمقدرة الله . فلا يقدر الشيطان أن ينسى أحداً ، ولا يذكره . وإنما الشيطان يشغل الإنسان عن الطاعة ، فيكون سبباً لكون المعصية من العبد .

وتفسير قول الله تعالى : « وما أنسانيه إلا الشيطان » يقول : وما أشغلنى أن أخبر بالحوت إلا الشيطان . وقوله تعالى : « وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى » الآية . يقول : لا يشغلنك الشيطان .

قال ابن محبوب : من قال : إن النسيان من الشيطان ، وليس من الله . يعنى ليس فى علم الله . فقد كذب . وإن قال : ليس من الله . يعنى أن الله لم يحمل العبد على المعصية ، ولم يأمره بها فقد صدق .

قال غيره : ولم يخرج ذلك من علم الله . وقالوا نسيان الغفلة من الشيطان . فكل هؤلاء القوم ، لم يقدحوا فى الشيء غاية القدح ، ماينثلج القلب . والله نسأله التوفيق لما يحب ويرضى .

* * *

الباب السبعون والمائة

فى حكم مايوجبه العقل فى التوحيد

هل يؤخذ به أم لا، إذا أوجبه عقل السامع له، والقارىء له، والفتيا بما يوجبه عقل السامع والقارىء، ونحو ذلك .

من جواب نجدة بن الفضل إلى الإمام راشد بن سعيد ـ رحمه الله ـ :

قلت : فما تقول فيمن يجد مسألة فى بعض الآثار، من حلال أو حرام، من أمر أو نهى، فيوجبها عقله . هل يجوز له الأخذ بها، والعمل بموجبها، والقيام بما فيها، أم لايجوز أن يفتى بها، على هذه الصفة ؟

الجواب : الذى عرفت أنه لا يجوز أن يفتى من الكتب، إلا بما عرف عدله .

قلت : فإن كانت المسألة فى توحيد، فأوجبها عقله وقبلها. هل يجوز اعتقادها، وتخطئة من خالفه فيها أم لا ؟

الذى عرفت : أنه لايجوز اعتقاد شىء، من حلال أو حرام، أو توحيد، حتى يعرف جواز ذلك . وقد عرفت أن من قال قولا، أو فعل فعلا . لا يدرى أمباح ؟ أم محظور ؟ إنه إن وافق المباح، كان إثما . وإن وافق المحجور، كان هالكا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والسبعون والمائة

فى الأسماء ومعانيها واشتقاقها

ومايدل على مسمياتها

يقال: إن الاسم مأخوذ من السمو والرفعة . ومن آثار قومنا قال أهل الحق : أن الاسم مشتق من السمو .

وقالت المعتزلة وغيرها من أهل الأهواء : إنه مشتق من السمة . وهى العلامة ــ انقضى .

فالاسم : سمة الشىء . والصفة : ظهور الشىء . والاسم للنطق ، والصفة للنظر . والاسم للسان ، والصفة للنفس .

مسألة :

عن أبى محمد قال: الاسم عبارة عن صفة الله . وهو من المتكلم ، لأنه محدَث. وكذلك صفة الواصف ، هى محدثة المعنى بصفته ، هــو الموصوف . فهو الموصوف . وهو لم يزل . وهو الله وصفاته ، على ما ذكرنا ، من الذاتية والفعلية . والاسم والصفة إنما هما عبارة عن ذكر المسمّى ، والموصوف. وهو المقصود . والمراد. والمعنى بهذه الصفة والاسم ، فهو الله .

وقال: الاسم دلالة على المسمى، وتعريف له ، ودلالة إلى المقصود الله، أنه الخالق الذى لم يزل ــ تعالى عما نحله المبطلون . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والسبعون والمائة

فى أقسام أسماء الله ـ عز وجل

أسماء الله تعالى على ثلاثة أوجه :

فمنها : أسماء ليست بصفات .

ومنها : صفات ليست بأسماء .

ومنها : ما هى أسماء وصفات . فالآتى أسماء ليست بصفات . الله ، والرحمن . هذان الاسمان مخصوصان لله تعالى ، ليسا بصفات .

واللاتى صفات ليست بأسماء : فخالق وبارئ ومصور ، وما شاكل هذا .

واللاتى تجمع الأمرين جميعا : الرحيم القـدير الغفور العالم القاهر الجبار المتكبر . وما شاكل هذا ، مما يخرج عن الفصلين ، المتقدم ذكرهما . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والسبعون والمائة

في إثبات أقسام أسماء الله ووجوبها

أسماء الله ما هي هو أو وغيره

وما هي لا هي هو ولا غيره

أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام :

فمن أسمائه ما يقال : هي هو . وهي كل ما دلت التسمية به على وجوده .

ومن أسمائه ما يقال : إنها غيره . وهي كل ما دلت التسمية به على فعل ، كالخالق والرازق .

ومن أسمائه ما لا يقال: هي هو. ولا يقال : هي غيره. وهي كل ما دلت التسمية به على صفة قديمة ، كالعالم والقادر والخالق . وهو الاسم. وهو الرب تبارك وتعالى.

وليس الخالق اسماً للخلق، ولا الخلق اسماً للخالق . وذلك في جميع الأقسام . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والسبعون والمائة

فى أسماء الله تعالى قديمة هى أم محدثة

سألت الشيخ أبا محمد عبد الله بن محمدبن بركة ، عن أسماء الله تعالى : أكلها محدثة هى ؟

قال : نعم .

قلت : أكان الله تبارك وتعالى ، ولا اسم له ؟

قال: إن كنت تعنى موجودا أحدث الأسماء فنعم. وإن كنت تعنى كان الله ، ولا اسم له معلوم، فلا . لم يزل الله تعالى له الأسماء المعلومة ، لا يحصيها غيره وبهذا فصل بين المعلوم والموجود . والاسم غير الله . ولو كان موجود ، كان مع الله غيره . والله تعالى وجل عن ذلك ـ انتهى .

قال المؤلف : حفظت أنه إنما يقال : كان لما لم يكن ، ثم كان . والبارئ تعالى لم يزل قبل كل شى . إنما يقول السائل : لم يزل الله تعالى ، ولا اسم له . فيقول المجيب : إن كنت تعنى لم يزل الله ولا اسم له فلا . والذى عرفت أن الله تعالى لم تزل له الأسماء المعلومة . ولم يزل بجميع صفاته الذاتية . فلما أن خلق الخلق أعلمهم كيف يصفونه ويسمونه . فأظهر من المعلوم لهم من ذلك ، ما سموه ووصفوه . فأظهره من المعلوم إلى الموجود .

مسألة :

فإن قال قائل : فالله تعالى لم يكن موصوفا ، حتى وصفه العباد .

الجواب : إن كنت تعنى لم يكن عالما ولا قادراً ولا سميعا ولا بصيرًا ، حتى وصفه بذلك العباد . فهذا خطأ ؛ لأنه تعالى لم يزل عالما سميعاً بصيرا ، قادرا حيا . وإن أردت أن أحداً لم يصفه ، حتى خلق الواصفين له . هكذا نقول: إن الله لم يكن موصوفا ، حتى خلق من يصفه كما نقول : لم يكن معبوداً ، حتى خلق من يعبده ، ولا مذكورا ، حتى خلق من يذكره .

قال المؤلف : والله تعالى لم يزل واصفا لنفسه فى الأزل . فلما خلق من يصفه، أعلمهم بأسمائه فسموه ، وبصفاته ، فوصفوه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والتسعون والمائة

فى تفسير اختلاف الناس

فى أسماء الله ـ عز وجل ما هى هى هو ؟ أم غيره ؟

أم لا هى هو ولا غيره ؟

وتفسير جميع ذلك عن الشيخ أبى الحسن البسيانى .

بعض يقول : إن الله ليس بمسمى . وهذا القول لا يصح مع أصحابنا ؛ لأن قول القائل : الله واسم الله ، فقد سماه ووصفه .

ومنهم من قال : إن اسْمَ الشىء لا هو هو ، ولا غيره .

وقال الآخرون : الاسم صفة له . وهو غيره .

وقال آخرون : اسم الشىء هو . وإن الواصف للشىء ، لايقع إلا عليه . وإذا كان لايقع إلا عليه ، كان هو .

وعلى قول من يقول : إن الاسم غير المسمى . وإنما هو تعريف له ، ووصف يدل عليه من الواصف ، فى حال وصفه له . فإنما هو تعبير عن صفته، ودلالة عليه. وهو كلام من المتكلم به محدَث . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والسبعون والمائة

فى مذهب من قال : إن اسم الله هو الله

قال الله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » ولم يفصل بين الاسم والمسمى . كما يقال: هذا محمد نفسه. وجاءنى الأمير نفسه. وقول العرب فى لغاتهم: وجه الطريق ووجه الحق ، ليس يعنون غير الطريق والحق . وقول الله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سُطحت » أفتزعمون أنه أمرهم أن ينظروا إلى السماء التى زعمتم أنها لا ترى إلا مكنونة. فلما لم يذكر إلا الأسماء ، علمنا أنه لا فصل بين الاسم والمسمى ؛ لأنه لم يأمرهم، أن ينظروا ويعتبروا بما لا يرونه . ولكن لو قال : أفلا ينظرون إلى المسمى كيف خلقت ، وإلى المسمى كيف رفعت ، وإلى المسمى كيف نصبت، لكان القول ما قلتم . ثم قستم أسماء الله على هذا. فقلتم : أسماء الله مخلوقة والأسماء غيره ، حتى قلتم: إن اسم الله مخلوق. والرحمن مخلوق، والرحيم مخلوق . فجئتم بأعظم الشرك ، وأعظم الفرية، وأفحش الفحش، حيث زعمتم أن الله مخلوق وقد قال الله تعالى:« ويحذركم الله نفسه » فلم يفصل بين الاسم والمسمى، كما يقال: هذا محمد نفسه . ووجه الطريق، ووجه الحق ، ليس يعنون بذلك ، غير ما ذكرنا بعينه، دون غيره .

وكذلك قال غيره فى اسم الله. أى هو الله؛ لأن اسم الشىء هو الشىء بعينه. قال لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

* * *

الباب السابع والسبعون والمائة

فى قول من يقول : إن اسم الله هو غيره

اختصرت من كلام أبى المنذر بشير .

فإن قال : أسماء الله هى هو ؟ أم غيره ؟

قيل له : إن فى قولك أسماء الله إثباتا لأسماء مسمًّى بها . وفى إثبات أسماء العدد ، ظاهر ذلك فى اللفظ بها . وفى ذلك ثبوت الغيرية ووجوبها . فالمسموع عالم غير المسموع قادر . والواحد المسمى بهذه الأسماء ، ليس بمسموع ولا بذى عدد ، ولا غيرية . فلو كان هو هذه الأسماء القائمة فى أوهامنا ، لكانت هذه الأسماء التى لها هذه الصفة معبودنا ، وإليها قاصدون ، فى اعتقادنا لعبادتنا .

وأيضا فلو كانت الأسماء هى المسميات ، لكنا إذا وقفنا بين الاسمين ، فقد وقفنا بين المسميين . فقلنا : إذا قلنا للقديم : قادر . وللمحدث : قادر ، كنا قد سمينا القديم بالمحدث ، ولثبت فيهما ما ينفى به عنهما . لقولك للقديم : ليس بحركة ولا جسم . وليست الحركة جسما ، ولا الجسم حركة . فلو وجبت التسمية بالتسمية ، لوجب ذلك فى النفى لهما ، كالذى قلنا ، فيما يقع به الاتفاق به ، فى النفى له عن القديم والإعراض . ولا فرق فى ذلك لمحتج .

فمن امتنع عن صفة المحدثات بذلك ، لزمه أن لا يصفها بشىء من الصفات . وفى ذلك الخروج ، مما يتعارفه الناس بها من اللغات .

قال غيره : الاسم غير المسمى . وإن معنى قول لبيد ، حيث قال :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أنه ذكر الاسم ، وأراد المسمّى ، على مجاز اللغة وسعتها .

قال غيره : وقد قال الله تعالى : « قل ادعوا اللهَ أو ادعوا الرحمن » فلم يأمرنا أن ندعو إلٰهين ، بل أمرنا أن ندعُوَ إلٰهاً واحداً ، بهذين الاسمين .

وقولنا : الله . وقولنا : الرحمن : اسمان لله . وهما غير الله . وأسماء الله كثيرة . والله واحد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والسبعون والمائة

فى قول من يقول : إن اسم الله تعالى لا هو هو ، ولا هو غيره

عن محمد بن محبوب ـ لا يقال: إن أسماء الله تعالى محدَثة . ولكنها لم تزل لله . ولا يقال : إنها هو ، ولا غيره ، ولا شى منه ؛ لأنه تعالى غير محدود ، ولا متبعض تبارك وتعالى .

قال الشيخ أبو محمد : أما صفات الله الذاتية فقديمة . ولا يجوز أن يقال : هى غيره ، ولا هى هو .

وأما الصفات الفعلية، فهى غيره . وهى محدَثة . ولا يجوز أن يقال : لم يزل الله موصوفا بها .

وقال: الاسم عبارة عن صفة الله . وهو من المتكلم به محدَث. فصفة الواصف محدَثة ، لأن اللفظ محدَث . وهو غير الله . فالموصوف قديم لم يزل . والمعنى بالصفة هو الموصوف . وهذا لم يزل. وهو الله وصفاته، على ما ذكرنا من الذاتية والفعلية. والاسم والصفة. إنما هى عبارة عن ذكر المسمّى والموصوف هو المقصود والمراد. والمعنى بهذه الصفة والاسم ، فهو الله الذى لم يزل بصفات ذاته .

قال المؤلف : قوله: لم يزل موصوفا ، قد أوردنا ذلك فى غير هذا الكتاب .

قال غيره : أسماء الله وصفاته من ذاته . ولا يقال : هى غيره ، ولا هو غيرها . ولا يتبعض منها ، ولا تتبعض منه . ولا يوصف بغير ما وصف به نفسه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والسبعون والمائة

فى بيان الأسماء من الصفات

قلت:فالاسم والصفة بينهما فرق فى ذلك أم لا ؟

فالذى عرفنا أن الله الرحمٰن اسمان لله . ولا يقال : هما صفة . وما كان من أسماء الذاتية ، مثل قولك: الله عالم وسميع وبصير وقدير وغير ذلك . فما كان من صفات الذات ، فلا يجوز أن يقال : هى صفة لله ، واسم له . وما كان من صفات الذات ، التى فيها الألف واللام . فهى صفة لله، واسم لله . وما كان من الصفات الفعلية التى ليس فيها ألف، ولا لام، لم يجز أن يقال: إنها اسم لله. بل يقال : إنها صفة له. وهى مثل خالق وبارىء ورازق . والفعلية التى بألف ولام ، فهى الخالق البارىء الرازق المصور . وهى أسماء وصفات .

مسألة :

أسماء الله على ثلاثة أوجه :

فمنها : أسماء ليست بصفات .

ومنها : صفات ليست بأسماء .

ومنها : ما هى أسماء وصفات . فالآتى أسماء ليست بصفات، فاسم الله الرحمن فهذان الاسمان مخصوصان لله ، ليسا بصفات . واللاتى صفات ، ليست بأسماء .

فخالق وبارىء ومصور ، وما شاكل هذا ، واللاتى تجمع الأمرين جميعاً : الرحيم والقدير الغفور العليم القاهر الجبار المتكبر ، وما شاكل هذا ، مما يخرج عن الفصلين المتقدم ذكرها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثمانون والمائة

فى أسماء الله الذاتية والصفاتية

والفرق بين أسماء الذات وأسماء الصفات

وأسماء الله وصفاته ــ عز وجل ــ من ذاته

فصفات الذاتية قديمة . ولا يجوز أن يقال : هى هو ، ولا هى غيره ، ولا هو غيرها .

وصفات الفعلية، فهى غيره وهى محدَثة . والاسم عبارة عن صفة الله . وهو من المتكلم به محدَث .

وكذلك صفة الواصف محدَثة ؛ لأن اللفظ محدَث وهو غير الله . والموصوف قديم ، لم يزل . والمعنى بالصفة ، هى الموصوف . وهو لم يزل . وهو الله وصفاته ، على ماذكرنا ، من الذاتية والفعلية .

مسألة :

معرفة صفات الذات وأدلتها : أنه تعالى يوصف بها ، ولا يوصف بضدها .

وصفات الفعل ، يوصف بها وبضدها .

فصفات الذات ، نحو قولك : لم يزل عالما وقادراً وسميعاً وبصيرا وحيا وقاهراً .

وصفات الذات ، لايجوز أن يوصف بضدها . ألا ترى أنك تقول : لم يزل عالماً . ولا يجوز أن تقول : وقد كان غير عالم ، ثم علم . وتقول : لم يزل قادراً . ولا تقول : وقد كان غير قادر ، ثم قدر . فما كان من صفات ذاته ، فيوصف بها . ولايوصف بضدها .

وصفات الفعل ، يوصف بها ، ويوصف بضدها . ألا ترى أنك تقول : خلق ولم يخلق . وتقول : خالق ، وقد كان غير خالق . ثم خلق . وتقول : رازق ، وقد كان غير رازق . وأعطى ولم يعطَ ، وأطعم ولم يطعَم .

وإنما يجب له الوصف بهذا ، وما كان مثله من صفات الفعل ، بعد الفعل . ولا يوصف بشيء من هذا ، قبل أن يفعله . وكل صفة ذات فجائز أن يقال فيها : لم يزل ، كقولك : لم يزل عالما وقادرا وسميعا وبصيراً . وكل صفة فعل ، فغير جائز أن يقال فيها : لم يزل خالقاً وبارئاً ومصوراً ورازقا؛ لأن هذه الصفات فعلية. فإذا وصف بها فقلت : لم يزل ، أوجبت قدم الفعل . والله لم يزل واحداً ، ثم أحدث الأشياء ، فهى محدثة . فلذلك لم يجز أن يقال فيها : بلم يزل .

مسألة :

فإذا اشتبه عليك شيء من الأسماء والصفات . أهى ذاتية ؟ أم فعلية ؟ فأدخل فيها الألف واللام ، فإنك تصيب الصفة — إن شاء الله .

وذلك أنك تقول : لم يزل الإله . ولم يزل الرب . ولم يزل الله ، وهو العالم والخالق والرازق والبارىء والمصور ، وغير ذلك من الأسماء .

فإذا أدخلت الألف واللام ، فى هذه الأسماء والصفات الذاتيــة ، والصفات الفعلية . فأنت تصيب — إن شاء الله — العدل من صفات الفعل .

فإن قال : فيقال : عدل ، ولم يعدل .

قلنا : إنا نصفه بالقدرة على العدل . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثمانون والمائة

فى ذكر اسمه ـ عز وجل ـ

فأما الله، فالأصل الإله، فحذفت الهمزة،وأدغمت إحدى اللامين فى الأخرى فصار الله .

ومعناه : أنه تحق له العبادة، وتنبغى له. والعرب تسمى كل ما كانوا يعبدونه ، ويرون عبادته حقا إلها .

وقيل : إنه اسم ، سمى الله به نفسه ، على الاختصاص ، كما قال تعالى : «هل تعلم له سميا » .

قال المؤلف : أى هل تعلم أحداً ، فى البر والبحر ، اسمه الله ، غير الله ؟

قال : وأظن هذا الذى يذهب إليه أصحابنا .

قال المؤلف : ويوجـــد فى كتاب الثعلبى ، فى معنى اسم الله : أنه الخالق لـكل شىء .

وكذلك ذكر الشيخ أحمد بن النضر فى شعره . وإنما غاب عن ابن وصاف تفسيره ، ففسر غير ما عنى به الشيخ أحمد بن النضر . والشعر هو هـذا البيت . قال رحمه الله :

قلت : معناه تعالى جده : أنه الخالق أصناف العـبر

والبيت الذى يقول فيه أيضا :

فعلمنـــا أن تفسير اسمه خالق أجناس ما دبّ وذر

قال المؤلف : يقول : فعلمنا أن تفسير اسم الله : أنه الخالق لـكل شيء . تعالى الله لم يزل إلهاً .

فإن قيل : هو إله لمن لم يخلق ؟

قيل له : ليس الإله بمعدى إلى مفعول . وإنما الإله كان إلهاً ، لأنه تحق له العبادة .

فإذا خلق من تجب عليه عبادته . قيل له : إنه إله لهم . وهو إله ، قبل أن يخلق أحداً ؛ لأن هذا الوصف ، لا يحق إلا له . وأن العبادة لا تحق إلا له . ولو كان إلهاً ، لأنه معبود ، لـكان كل معبود ، يجب أن يسمى إلهاً ولـكانت الأصنام يجب أن تسمى آلهة على الحقيقة . فلما بطل ذلك ، صح أن الإله لم يكن إلهاً ؛ لأنه معبود . وإنما كان إلهاً ، لأن العبادة تحق له . فوجب أن يكون لم يزل إلهاً من قبل أن يعبده أحد ، وأنه إله ، وإن لم يعبده أحد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثمانون والمائة

فى الرحمٰن الرحيم

قيل : معنى الرحمٰن : رحمٰن بجميع الخلق ، فى الدنيا والآخرة . والرحيم : بالمؤمنين خاصة .

وقيل : هما اسمان لطيفان ، من أسمائه ـ عز وجل .

وقيل : هما اسمان رقيقان ، أحدهما أرق من الآخر .

ولا يجوز لمخلوق أن يتسمى بالرحمن .

وقدم الرحمن على الرحيم ؛ لأنه اسم خاص .

والرحيم : اسم مشترك يقال : رجل رحيم . ولا يقال : رحمن .

مسألة :

الدليل على أنه تعالى رحيم ، قصده للتخفيف فى أوامر التكليف .

وقيل : الرحمن : ذو الرحمة . وهو الذى وسعت رحمته كل شىء .

والرحيم : ذو الرحمة التى خص بها المؤمنين ، خصهم بالهداية ، والتوفيق فى الدنيا ، والثواب والدرجات فى العقبى .

مسألة :

ويوصف الله تعالى ، بأنه راحم لعباده .

ومعنى راحم : أنه منعم ، وأنه ناظر لعباده ، وأنه محسن إليهم . قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وإرساله للنبى ﷺ ، هو نعمة منه على

عباده . وهو رحمة لهم ، كقوله تعالى، فى وصف القرآن إنه : « هدى ورحمة لقوم يؤمنون » والقرآن نعمة من الله .

مسألة :

فإن قيل : أليست الرحمة إنما هى رقة القلب؟

قيل له : لا. لأن رقة القلب ليست هى من فعل الراحم. والرحمة: فعل الراحم. وذلك أن الرقيق القلب ربما حمل نفسه ، على قتل من يرق له قلبه . وإنما توهم قوم ، أن الرحمة هى رقة القلب . وسموا من كان رقيق القلب رحيما ، لكثرة ما توجد الرحمة ، من رقيق القلب ، كما سمى قوم الشهوة محبة ، لكثرة ما توجد المحبة ، مع الشهوة . والشهوة فى الحقيقة ، خلاف المحبة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والثمانون

فى ذكر اسمه عز وجل : الرب

الرب : ينقسم على ثلاثة أقسام :

يكون الرب : المالك ، رب العباد .

ويكون الرب : السيد ، كقوله تعالى : « يسقى ربه خمرا » أى سيده .

والرب : للمصلَح .

والمربوب : المصلح . قال الفرزدق :

كانوا كسائلة حمقاء إذ حقبت سلاءها فى أديم غير مربوب

أى مصلَح .

والعرب تسمى السيد : ربا . قال الحارث بن حلزة :

وهو الرب والشهيد على يوم الحوازين والبــلاء بلاء

والرب : المالك .

قال الشاعر :

وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتى وقبلك ربتنى فضعت ربوب

يعنى ملــكنى مملوك .

مسألة :

ولايقال للمخلوق : هذا الرب ، معرفا بالألف واللام ، كما يقال لله عز وجل .

إنما يقال بالإضافة : رب الدار ، ورب البيت ، لأنه لا يملك غير ذلك .

فإن قيل : الرب معرفا بالألف واللام ، دل ذلك على العموم . واستغنوا به عن الإضافة ؛ لأنه عز وجل ، رب كل شيء ومالكه .فلا يضاف إلى شيء خاص لا به ، فيخص به دون غيره .

وأما المخلوق ، فيضاف إلى شيء خاص به ؛ لأنه لا يملك غيره . فيقال : رب الدار . ورب القوم، أى سيدهم. والإنسان لا يكون ربا على الحقيقة كما يكون مالكا على الحقيقة . وجائز أن يقال لله : رب الأرباب ؛ لأن الرب هو المالك . وهاهنا أرباب مالكون على الحقيقة : والله مالك لهذه الأرباب . ويقال : لم يزل الله ربا للأشياء ، على أنه مالك الأشياء .

قال الشيخ أبو الحسن البصيانى : يقال : لم يزل ربا ؛ لأنه لم يزل قادرًا ، ومالكا لما يقدر عليه . والبارىء ـ عز وجل ـ رب على الحقيقة ، كما كان مالكا على الحقيقة . وبالله التوفيق .

• • •

الباب الرابع والثمانون والمائة

فى المالك والملك والمليك

مالك وملك ومليك ، قد جاء بهذا كله القرآن . وهى كلها مشتقة ، من الملك. يوصف به المخلوق . يقال للرجل : مالك وملك ومليك . ويقال : ملك أيضا بسكون اللام .

مسألة :

يقال لله تعالى : لم يزل مالكا للأشياء ، كما أنه لم يزل قادرا عليها .

فإن قال : مامعنى ملكه ، لما لم يوجد ؟

قيل : هو قدرته عليه . فلما كان قادراً ، على ما لم يوجد ، كان مالكا له . وقد قال الله تعالى : « مالك يوم الدين » ويوم الدين ، لم يوجد . وقد أخبر أنه مالك له ، إذ كان قادرا عليه .

ومعنى المَلك والمالك : هو الذى له الملك .

وحقيقة الملك : القدرة على الخلق والاختراع . والبارىء لم يزل مليكا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والثمانون والمائة

فى السلام

معنى قوله السلام ، فهو قريب من القدوس

وقيل : السلامة به ومنه .

فالسلام : اسم من أسماء الله . ومنه سمى الرجل عبد السلام . فسمى نفسه السلام، بالسلامة، مما يلحق المخلوقين من العيب والنقصان والفناء والموت ، والزوال والتغيير .

أبو الحسن : السلام ذكره سلامة على من كره . وهو الذى يسلم الناس من جوره .

مسألة :

قيل : وصف الله نفسه ، بأنه السلام المؤمن المهيمن . والسلام : هو المصدر المقول . فوصف بذلك نفسه ، على جهة التوسع ، وإرادته هو المسلِّم الذى السلامة تنال من قبله . فلما كان يعقل عند وصفه نفسه ، بأنه السلام ، ما أراد من كون السلامة من قبله ، جاز أن يصف نفسه بذلك ، على جهة التوسع . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والثمانون والمائة

فى المؤمن

أبو الحسن ـ المؤمن : الذى يؤمن منه الجور . ومنه الأمن .

قال غيره : وقيل : وصف نفسه بذلك : أنه آمن العبادَ ، من أن يضيع لأحد منهم عنده حق ، أو يعاقب أحدا منهم ، بغير الحق .

وقيل : المؤمن : هو المصدق لعباده . والعبد مؤمن ، أى يصدق الله بوعده ووعيده. ويكون المؤمن الذى أمن أولياءه أن يظلمهم، أى أعطى الأمان على ذلك.

* * *

الباب السابع والثمانون والمائة

فى المهيمن

المهيمن : هو الشاهد الذى لا يصح عليه الزوال .

قال بعض المفسرين: المهيمن: الشاهد ، من قوله: «ومهيمنا عليه » أى شاهدا عليه. وروى ذلك عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ وعنه أيضا أن قوله : ومهيمناً عليه ، أى مؤتمنا عليه .

ومن كتاب الزاهر :

المهيمن : القائم على خلقه .

ابن عباس ـ المهيمن : المؤمن .

أبو محمد ـ المهيمن : من صفات الفعل . والأسماء الحقيقية : هى الحكمة . وجائز الدعاء بها . والأسماء الفعلية ، إنما هى على سبيل المجاز .

فإن قيل : فما معنى وصفكم له ، بأنه مهيمن ؟

قيل له : معناه هو الأمين على الأشياء . وإنما هذه الهاء التى فى المهيمن هى بدل من الهمزة التى فى الأمين ، عند أهل اللغة .

وكذلك معنى قوله فى القرآن : « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » يعنى به أنه أمين على هذه الكتب التى أنزلت قبله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والثمانون والمائة

فى العزيز

العزيز على وجوه :

يقال : عز : أى امتنع . فلم يقدر على شىء منه ، فيلزمه هـذا الاسم على الحقيقة ، إذ لم يُقدَر على كيفيته . ولم تخلص هذه الصفة إلا لله ـ عز وجل ـ إذ كان كل عزيز من الأشياء ، يوجد على حال ما هو متغير ، من انقلاب الحالات ، وتصرف الأوقات من العز إلى الذل . والله ـ عز وجل ـ ممتنـع من أن تدركه الأوهام والصفات والخطرات .

والوجه الآخر : الغلبة والقهر . يقال : عز : إذا غلب ، وقهر . قال الله تعالى : « وعزَّنى فى الخطاب » أى غلبنى .

والوجه الثالث : العز والمنعة ممن يناوئه ويكيده ، والاحتراز منـه . يقال : فلان فى عز ، أى فى منعة .

ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فى قوله تعالى : « عزيز حـكيم » قال : عزيز فى نقمه ، حكيم فى ملـكه .

مسألة :

معنى الوصف لله تعالى ، بأنه عزيز : هو أن لا تلحقه ذلة ، ولا يقهره أحـد ، ولا يغلبه شىء .

فإن قال : أتزعمون أنه لم يزل عزيزا وأن هذا الوصف ، وجب له ؟

قيل له : نعم وذلك لقوله تعالى : « وكان الله عزيزا حكيما » يعنى ممتنعا.

قال أبو الحسن : العزيز نَفَى المذلة عن نفسه فى الأزل .

والدليل على أنه عزيز : اقتداره على مايريده ، وإظهاره لكل خلق جديد، وإعزازه لكل مؤمن رشيد ،وقمعه لكل شيطان مريد،وقصمه لكل جبار عنيد .

فإن قال قائل : فقد قال الله تعالى : « رب العزة » فالعزة مربوبة ، فكيف تكون أزلية ؟

قيل له: إن قوله: « رب العزة » فى هذا الموضع أن العزة ـ هاهنا ـ: الملائكة. وأما العزيز الحكيم ، فهو الله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

قال المؤلف : قوله فى أول الباب : إن الله عز أى امتنع ، فلم يُقدر على شىء منه ، فإنما يوصف بذلك لمن كان ذا أبعاض . فيقال: فلم يُقدر على شىء من أبعاضه. وأما البارىء فيوصف فيقال فى هذا الموضع : فلم يقدر عليه .

* * *

الباب التاسع والثمانون والمائة

فى الجبار

أبو الحسن البسياني : الجبار : هو الذى لا يقاوَم فى الحقيقة .

غيره ـ الجبار : الممتنع ، على معنى العزيز . والجبـــار : الذى لا يقدر عليه ، ولا يتوصل إليه .

قال الشيخ أبو الحسن البسياني: أيضا الجبار: الممتنع الذى لا يرام، ولا يضام.

* * *

الباب التسعون والمائة

فى المتكبر

أبو محمد عن قول الله تعالى : « المتكبر » ما معناه ؟

قال : معناه المتكبر ، والعزيز الذى لا يرام ، ولا يضام . والحكيم : صفة ذات وصفة فعل .

فالذاتى هو العليم . والفعلى : الذى توجد أفعاله محكمة .

أبو الحسن البسيانى ـ المتكبر : هو الكبير الشأن والمقدار والعظمة .

غيره ـ التكبر: التعظم . ومعنى المتكبر: أنه يستحق، أنه من صفات المدح، التى هى أعلى رتبة من سائر المدائح . وكان متكبرا على الحقيقة ، لأجل ذلك .

وقيل : المتكبر : القاهر للأشياء .

فإن قال قائل : أفتزعمون أنه متكبر ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : هذه الصفة ، وجبت له لذاته ؟

قيل له : نعم ، بأن وصْفنا له ، بأنه متكبر ، ووصفنا له ، بأنه كبير واحد .

وكذلك الوصف له : بأنه متوحد ، وأنه واحد ، هو معنى واحد .

وكذلك وصفنا له بأنه متجبر ، وأنه جبار واحد ، كما أن الوصف له ، بأنه متقدم ، وأنه قديم ، هو معنى واحد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والتسعون والمائة

فى ذكر الخالق والخلّاق

الله تعالى : الخالق والخلاق . فالخالق : معناه : أنه ابتدأ الخلق أول مرة . والخلاق : لأن من شأنه أن يخلق كل يوم خلقا ، من بعد خلق . فالخالق ، على وزن فاعل ، كقولك : قاتل . وخلّاق ، على وزن قتّال . فالخلق : المصدر . قال تعالى : « هذا خلق الله » معنى الخلق.فاشتقاقه التقدير. فسم نفسه خالقا؛ لأنه قدر الأشياء كلها ، ثم أمضاها . فهو الخالق فى ابتدائه الخلق . والخلاق،فى تتميمه إياه إلى آخر الأبد ، بعلم وحكمة . وخلقه تام مصلح ، لا فساد فيه .

فالخالق : هو المقدر بعلم وحكمة . يقال : خلق : إذا قدّر بعلم وحكمة ، وتدبير ومعرفة. وخرق : إذا قدّر بغير علم ،ولا تدبير. ومنه قيل ـ لمن لا يحسن العمل ـ : أخرق . والمرأة : خرقاء . قال الله تعالى : « وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » . أى كان تقديره لهم ، حين خلقهم بعلم وحكمة وقدر .

وأما ما نسبوا إليه ، من البنين والبنات ، كذبا بغير علم وحكمة . فسمى فعلهم وخلقهم خرقا ، إذا كان جهلا وفساداً . قال الله تعالى : « وتخلقون إفكا » .

قال أبو عبيدة : يقدّرون كذبا . يقال : قد يخلق ـ كذبا . فقيل لله تعالى : خالق ، لأنه يفعل أفعاله مقدرة ، على مادبرها عليه. وهذا هو معنى الخالق فى اللغة.

وقوله تبارك وتعالى : « تبارك الله أحسن الخالقين » يقول: أحسن الفاعلين. وذلك أن خلق وفعل ودبّر وصنع وأنشأ وأحدث واخترع وقضى وقدّر وصور ، أسماء مختلفة ، معناها واحد فى اللغة ، غير أن المعنى فى الفعل يختلف . والله يفعل بأن يخرج الأشياء من العدم إلى الوجود ، ويحدثها لامن شىء .ويجعلها على ما هى عليه ، من مخالفتها ما خالفت ، وموافقتها ما وافقت . والخلق يفعلون بخلاف ذلك المعنى .

وذلك أنهم يفعلون بأن يكتسبوا ويتحركوا ، ويطيعوا ويعصوا ، لا يمكنهم غير ذلك .

مسألة :

إن قالت الصابئة : ما الدليل على أن الله خالق موجود ؟

قيل لهم : الدليل على ذلك تواتر الأفعال منه على الإدرار ؛ لأنه سبحانه ، لو خلق الأشياء ، ثم عدم بعد خلقه إياها، لم يخل من أحد أمرين: إما أن تكون حكمته متقنة ، أو غير متقنة ، أو غير حكمة .

فإن تكن حكمته متقنة ، فواجب أن لاتدخلها الزيادة والنقصان؛لأن الزيادة والنقصان ، لا تكون إلا على غير فاعل موجود . ألا ترون أن الحكيم ـ فيما نشاهده ـ إذا كان باقيا يكون متقنا فى أحكام صنعته . وإتقانها لا يزيد فيها ، ولا ينقص منها ، علم أنه حكيم . فلما دل الدليل على أن أفعال الله محكمة ، دل أنه حكيم ، خالق موجود . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والتسعون والمائة

فى ذكر البارىء

قال أهل اللغة : يقال : برأ الله الخلق . والبارىء : الخالق . قال الله تعالى : « الخالق البارىء المصور » ففرق العلماء بين الصفتين .

فقيل البارىء : الخالق .

وقيل : خلق الخلق فقدره ، ثم برأه ، فسواه وعدله .

والبَرْى : التسوية . يقال : برأ القلم ، إذا سواه .

وقال أهل اللغة : برأ الله الخلق . فالبرية : الخلق . والبارئ : الخالق . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والتسعون والمائة

فى المصور

قال الله تعالى: « الخالق البارىء المصور » ابتدأ بالخالق ثم البارىء، ثم المصور؛ لأنه خلق الخلق، ثم برأ لهم النسمات، ثم أظهر صورها . وقامت تامة بتدبيره . فالحال الأول: الخلق، والثانى: بَرْء . والثالث: تصوير . فقيل: إنه تعالى سمى نفسه مصوراً؛ لأنه ابتدأ تدبير الخلق فى الدنيا، وهو يتمها حتى تصير إلى غايتها التى خلقت فى الآخرة، فتظهر صورة الخلائق التى خلقت، وصارت إليه. فهو المصور جل وتعالى، لا صورة له، ولا مثال . بل هو منشىء الصور والأمثلة، على غايتها . تبارك الله المصور .

والصورة اشتقاقها، من صار يصير . ومعناه: والتمام والغاية . ومنه قولهم: إلَامَ صار أمرك؟ أى منتهاه وغايته . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والتسعون والمائة

فى الرءوف

ابن الأنبارى ـ قال أهل اللغة: الرءوف فى كلامهم ـ معناه : الشديد الرحمة ، غيره : فالله هو الرءوف؛ لأنه الراحم بعباده ، ولا راحم أرحم منه . ولا غاية وراء رحمته ـ تبارك وتعالى ، الرءوف الرحيم .

* * *

الباب الخامس والتسعون والمائة

فى الأول والآخر

قيل له عز وجل : الأول ؛ لأنه لم يزل قبل كل شىء . وكانت الأشياء بعده محدثة .

ودل بأوليته ، على أنه لا يزال ؛ لأن الذى لا أول له ، لا آخر له . فلما ثبت أن الأشياء محدثة ، وأن المبتدع لها ، لم يزل قبلها . ولا يزال بعدها ، دل أن الذى ابتدعها ، ولم يزل قبلها ، ولا يزال بعدها، هو الأول الذى لا يزال قبلها ، والآخِر الذى يكون بعدها أبديا . فقيل له : الأول والآخر .

وقيل : قوله تعالى : هو الأول ، أنه لم يزل ولا شىء . والآخِر : أنه يبقى ولا شىء . يُفنى الأشياءَ كلها .

وإنما اختلفت اللفظتان ، فى أول وآخر ، لوجود العالم وعدمه ؛ لأنه قيل له : أول ، يراد به لم يزل ولاشىء . فلما أحدث العالم ثم أفناه . قيل له : آخِر، يراد به، أن العالم فُنِيَ . والأول : هو الآخِر . والآخِر : هو الأول .

فإن قال قائل : لم يزل أولا آخِرا ؟

قيل له : الأول والآخر ، لم يزل .

وأما قوله : لم يزل أولا، فهو كلام صحيح؛ لأنه لم يزل ولا شىء . وأما قوله: لم يزل آخرا ، يريد أن الأشياء لم تزل ، وفنيت. وهو آخر، أنه باق . وهذا كلام خطأ ، لأن الأشياء لا يقال لها: لم تزل.ولا يقال: لم تزل فانية ؛ لأن هذا متناقض؛ لأن قولك : لم تزل إثبات لها أنها لم تزل موجودة .

وقولك لم تزل فانية . كأنك قلت : لم تزل موجودة معدومة . وهذا نقض . ولـكن يقال: لم يزل أولا ، يراد أنه لم يزل أولا ولا شيء . فلما أحدث الأشياء ، صارت موجودة أوجدها . فقيل لها : موجودة إذا أوجـدها . والأشياء صارت موجودة ، إذا حدثت .

وليس قولهم : يكون آخرا ، كما كان أولا . ولا أنه تعالى يحدث منه تغيير . ولـكن المراد فى ذلك أن الأشياء تفنى ، بعد أن كانت موجودة ، ووجدت بعد أن لم تـكن شيئا . فاختلف التغيير ؛ لاختلاف وجود الأشياء وعدمها .

والأول : هو الآخر . والآخر : هو الأول . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والتسعون والمائة

فى الظاهر والباطن

قيل لله تعالى: ظاهر؛ لظهور صنعته . كما يدل البناء على البانى .

وقال آخرون : معنى الظاهر : أن ما يظهر من الأشيـاء ، ليس بأقرب إليه مما بطن والباطن: العالم بما بطن .

وقيل : الباطن الذى ليس ما بطن من الأشياء ، بأبعد إليه مما ظهر .

والظاهر : بمعنى الغالب . قال الله تعالى : « وإن تظاهرا عليه » أى تعاونا . وقال : « والملائـكة بعد ذلك ظهير » أى معين بقوة مقوٍّ .

وقيل: قيل له: الباطن؛ لأنه تعالى خفىَ عن أن يكون تدركه أبصار الخلائق بكيفية ، أو تحيط به أوهامهم ، أو تبلغه صفاتهم ، أو تدركه عقولهم .

وقيل : الظاهر : القادر القاهر، والباطن بكل شىء علما .

وقيل: الظاهر : العالم بما ظهر ، والباطن : العالم بما بطن . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والتسعون والمائة

فى الفتاح

ابن الأنبارى : الفتاح ـ فى كلامهم ـ : الحاكم . قال الله تعالى : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » معناه : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

قال غيره ـ معناه : إن تستنصروا فقد جاءكم النصر .

وقال المفضل فى قوله تعالى : « قل يجمع بيننا ربُّنا ثم يفتح بيننا بالحق » أى يحكم بيننا .

وقال الفراء : أهل عمان يسمون القاضى الفتاح . وبالله التوفيق .

• • •

الباب الثامن والتسعون والمائة

فى الحكيم

الحكيم : صفة ذات ، وصفة فعل . فالذاتية : هو العليم الذى توجد أفعاله محكمة .

والحكم : هو معنى العلم . والحكمة هى العلم . فيقال : لم يزل حكيما ، على معنى لم يزل عالما .

ولا يجوز أن يقال : لم يزل حكيما ، على أنه فعل أفعالا محكمة متقنة ؛ لأن هذا هو من صفاته الفعلية .

مسألة :

والدليل على أنه حكيم : هو وضعه الأشياء مواضعها ، وإحكامه لها ، على حسب مصلحتها ، إذ لا يضع الشىء فى موضعه ، ويحكم له بمصلحته إلا عالم حكيم ؛ لأنه لو لم يكن حكيما ، كان عابثا . والعابث لا يكون عالماً .

والحكمة : حكمتان: حكمة فى الذات، إذ لو لم يكن حكيما، لم تتأت منه أحكام المحكمات .

وحكمة : هى الفعل والتقدير ، إذ ليس فى حُكمه تفاوت ، ولا تغيير . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والتسعون والمائة

فى العليم والعالم والعلّام

يقال لله تعالى: عليم وعالم وعلّام، كله بمعنى . وقد جاء به القرآن كلّه وجائز أن يقال: هو فوق عباده فى العلم والقدرة ، كما قال الله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليمٌ » يعنى نفسه ـ عز وجل . وهو أيضا على التوسع والمجاز .

مسألة :

الدليل على أنه تعالى عالم : أن كل صنعة محكمة لاتقع إلا من عالم بها ؛ لأنا لا نثبت فى الفعل ، ولا فى الحسن صانعا ، صنع صنعة محكمة ، لاتقع إلا وهو عالم بها ؛ لأن فى الشاهد أن الفاعل متى فعل فعلا حكيما ، كنسج الديباج ، وصناعة الإكليل ، وما أشبه ذلك ، لا يصح وقوع هذه الأفاعيل منه ، إلا أن يكون عالما بها ؛ لتعذر ما ذكرناه ، ممن ليس بعالم . وغير الله تعالى يوصف فى الحقيقة ، بأنه عالم . ولا يكون ذلك تشبيها به تعالى بخلقه ؛ لأن الله تعالى عالم بنفسه . فلا يثبت معه شىء غيره ، يسمى علما ، صار به عالما .

وقيل لغير الله : عالم . إنما هو عالم بعلم . وهو غيره ، صار به عالماً .

مسألة :

فإن قيل : أفتزعمون أن العلم من صفات الذات ؟

قيل له : ليس كذلك نقول . ولن نثبت مع الله معنى يسمى علما . فيجوز أن يقال : إنه من صفات الذات . ولكن قولنا لله : عالم ، هو صفة، وجبت له لذاته.

وقال أبو الحسن البسيانى : العلم صفة ذات ، لم يزل الله عالما بما يكون ، وما لايكون . وبالله التوفيق .

* * *

الباب المائتان

فى الحلـيم

الحليم : صفة ذات ، وصفة فعل . فالذاتى بمعنى العليم . قال الله تعالى : «فبشرناه بغلام حليم» يعنى عليما . والحليم الفعلى : من تأخير العقوبة صفة للفعل . والله أعلم .
فلا يقال بمعنى الحليم الذى بمعنى الفعلى ، لم يزل حليما . حتى يقال : لم يزل حليما عن العباد ، مذ عصوه . فيرد ذلك إلى غاية وأول .

مسألة :

فإن قال : أفليس لا تثبتون ترك الله الانتقام فعلا منه ، إذ كان له الترك من الله ليس بمعنى عندكم . وإذا كان الله عندكم ، لا يترك على الحقيقة . فما الحكم الذى تسمونه فعلا لله على الحقيقة ، إن لم يكن ذلك منه ترك الانتقام ؟

قيل له : حلم الله عن العصاة ، هو ما يفعله بهم ، من النعيم والعافية ، التى يضاد كونها كون الانتقام ، لأنه تعالى لو انتقم ، لم يجز أن ينعم عليهم ، مع الانتقام بهذه النعم . فلما كانت هذه النعم منافية الانتقام ، كما كان ترك الانتقام منافيا للانتقام ، كانت هذه النعم حلما من الله ، إذ حدثت منه ، بدلا من الانتقام . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والمائتان

فى القديم

من صفاته — عز وجل — : أنه قديم بنفسه، وجب له هذا الوصف لتقدمه. وكل متقدم من الأشياء، فواجب له هذا الاسم، إذا بولغ له بالوصف بالتقديم، غير أن سائر الأشياء إذا سميت بهذا الاسم فإنما يعنى به أنه قديم إلى نهاية وغاية وأول والله تعالى قديم، لا إلى أول، ولا إلى غاية.

فمن ذلك قوله تعالى: «حتى عاد كالعرجون القديم» ،معنى أنه المتقدم والعرجون له أول، وغاية ونهاية، ينتهى إليها وقال تعالى: «فسيقولون هذا إفك قديم» ومنه قول أهل اللغة: هذا بناء قديم وملك فلان لهذه الدار، ملك قديم، يريدون قدم البناء، وقدم الملك. وكل ذلك له بداية ونهاية. وقولنا لله: قديم، هو صفة لذاته. وليس نثبت معه معنى يسمى قديما. ولسنا نقول: إن القديم صفة؛ لأن القديم هو الموصوف.

وإنما قولنا: هو قديم صفة، وجبت له لذاته. وهو كقولنا: الله قديم. والله عالم. والله قادر.

ومعنى قولنا: صفات الفعل. إنما أردنا به الصفات التى وجبت لله لأفعاله، نحو قولنا: خالق وخلاق ومنعم. والصفة والوصف شىء واحد. وهو قول الواصف لما يصفه. وليس بين أهل اللغة فى ذلك اختلاف، لأنهم جميعا يجيزون أن الوعد والعدة شىء واحد عندهم، وأن الوصف والصفة شىء واحد.

وكذلك الوزن والزنة، والوجه والجهة. فجائز أن يقال لله تعالى: قديم أزلى؛ لأن القديم المتقدم للأشياء. والأزلى الذى لم يزل قبل الأشياء وبالله التوفيق.

* * *

الباب الثانى والمائتان

فى السميع

السميع البصير : من صفات الذات . يقال : لم يزل سميعا ، ولم يزل بصيرًا .

والدليل على أنه سميع: أنه لو لم يكن سميعا، لكان مأووفا والآفة : هى التى تنفى الألوهية عن البارىء ـ عز وجل .

وقيل له تعالى: سميع؛ لأنه عليم . وسمعه: علمه وعلمه:ذاته. ولو لم يكن يوصف بأنه سميع بصير ، وصف بضد ذلك . ولا يجوز أن يقال : لم يزل سامعاً ، ولا لم يزل مُبصرًا

فالبارئ سميع ، لا يخفى عليه شىء من الأصوات . وليس سميع يتعدى إلى مفعول. وإنما يتعدى إلى مفعول سامع . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والمائتان

فى البصير

قيل له تعالى: سميع بصير، بمعنى العليم؛ لأن السميع والبصير، الذى وصف به البارئ: هو العلم، لا أنه سميع بأصمخة، ولا بصير بحدقة - تعالى الله عن ذلك. إنما ذلك كله العلم. فلذلك قيل له: لم يزل سميعا، ولم يزل بصيرًا.

وقيل: البصير: صفة ذات، لم يزل الله بصيرا، كما وصف نفسه: « إنه هو السميع البصير ».

فمعنى البصير: لا تخفى عليه المبصرات والمرئيات. ولا تغيب عنه المقدورات، ولا تفوته. ولا يجوز أن يقال: لم يزل مبصرًا، لأنه لابد أن يكون معدّى إلى المبصَر. فلما لم يجز أن يكون المبصر إلا وهو موجود، لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنه مبصر له، لأنه لا يكون مبصَرا إلا وهو موجود.

مسألة:

والوصف لله تعالى، بأنه لم يزل رائيا، ينصرف على وجهين:

أحدهما أن يوصف الله بذلك. ويعنى أنه عالم. فجائز أن يقال: لم يزل رائياً، على أنه لم يزل عالما، إذا كانت الرؤية فى اللغة علماً.

ووجه آخر: أن يوصف بأنه راء. ويعنى مبصرًا للمبصرات، ومدركا للمدرَكات. فلا يجوز من هذا الوجه أن يقال: إن الله لم يزل رائيًا، كما لم يجز أن يقال: لم يزل الله مبصرًا، لأن المرئىّ المُدرَك، لا يكون مرئيًا مدركا، إلا وهو موجود كما لا يكون مبصَرا إلا وهو موجود. وبالله التوفيق.

* * *

الباب الرابع والمائتان
فى ذكر سبوح

سُبُّوح : هو اسم مبنى على فُعُّول من قولك : سبحان الله . قال ثعلب: سُبوح قدوس، مضموم الأول. وقد يفتح آخره . وكل شىء على وزن فُعُّول فأوله مفتوح إلا هذين الاسمين: يعنى سبوح قدوس، فإنه مضموم أولهما .

مسألة :

فإن قال : أفتزعمون أن الله تعالى لم يزل قدوسًا .

قيل له : نعم .

فإن قيل : فما معنى وصفكم له ، بأنه قدوس ؟

قيل له : معنى ذلك أنه يجب أن ينزه عما جاز على عباده ، من ملامسة النساء ومن اتخاذ الصاحبة والولد . ومن كل ما جاز على عباده ، من أمثال ذلك .

مسألة :

فإن قال : أفتزعمون أنه سبوح ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : وما معنى الوصف له ، بأنه سُبوح وقدوس ؟

قيل له : معنى ذلك معنى واحد . وهو أنه يجب أن ينزه عما جاز على عباده ، من اتخاذ الصاحبة والأولاد ، ومن سائر الصفات، التى تجوز على المخلوقين. فيجب أن لاتجوز على رب العالمين .

قال أبو محمد : وقوله : سبحان الله ، هو على سبيل التنزيه .

مسألة :

وأما ما سألتَ عن قول الله ـ عز وجل ـ : « وإنْ مِّن شيء إلا يسبح بحمده » فتلك عندنا من الخلق كله، الإذعان لله بالطاعة . وأنه ليس يمتنع منه شيء يريده . وبالله التوفيق .

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٤٠٦
الرقم الخاص : ٢١٤/١

الباب الخامس والمائتان

فى ذكر قدوس

قدوس مبنى على فُعُّول ، مثل سبوح . والتقديس قريب من التسبيح فى المعنى. فمن قدس اللهَّ ، فقد نزهه ، وأخلص له الوحـــــدانية قال الله تعالى ـ حكاية عن الملائـكة ـ : « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » أى نطهر لك . والتقديس : التطهير .

وقيل فى قوله ـ عز وجـــل ـ : « الأرض المقدسة » أى المطهرة . وبيت المقدَّس : أى المطهَّر .

فمعنى القدس : الطاهر . فهو الله الطاهر عن الأشباه والأمثال ـ تعـالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

مسألة :

فإن قال : أفتزعموى أن الله لم يزل قدوسا .

قيل له : نعم .

فإن قال : فما معنى وصفـكم له ، بأنه قدس ؟

قيل له : معنى ذلك أنه يجب أن ينزه عما جاز على عباده ، من ملامسة النساء، ومن اتخاد الصاحبة والأولاد . وكل ما جاز على عباده ، من أمثال ذلك وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والمائتان

فى الجواد

الجواد فى لغة العرب : هـــو الذى يتفضل على من لا يستحق ، ويعطى من لايستوجب ، الذى لاتحصى عطاياه .

فإن قال : أفليس يقال : فرس جواد ، على غير معنى الإفضال ؟

قيل له : قد يقال : فرس جواد . وهم يريدون أنه سريع العدو . والبارئ تعالى ، لايجوز أن يوصف من هذا المعنى ، لأن العدْو والحركات ، لايجوزان على الله . ولايجوز أن يوصف بالسرعة ــ تعالى الله عن ذلك . وإنما يوصف بأنه جواد كما يوصف ذو البذل والسخاء منا ، بأنه جواد ، بأنه يراد به إنعامه وإفضاله ، وجوده وكرمه . فلما وصف الله تعالى نفسه ؛ بأنه جواد كريم ، وصفناه به .

مسألة :

فإن قال : أفتزعمون أن الله لم يزل جواداً ؟

قيل له : لا ؛ لأن الجود منه إنعامه وإفضاله ، على عباده . وذلك فعل منه . ولايجوز أن يكون لم يزل موصوفا بذلك .

فإن قال : أفتزعمون أنه سخى ؟

قيل له : لا .

فإن قال : فما الفرق بين ذلك ؟

قيل له : إن السخاء في اللغة : إنما هو اللين . ومنه يقال : أرض سخاوية ، إذا كانت لينة . ويقال : قرطاس سخاوى : إذا كان لينا وإنما قيل للجواد من المخلوقين : سخى ؛ للينه عند الحوائج ، إذا طلبت منه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والمائتان

فى الكريم

قال أبو محمد : الكريم : صفة ذات ، وصفة فعل الذاتى بمعنى العزيز الممتنع. والفعلى ، بمعنى المفضّل بالإعطاء فيجوز أن يقال: لم يزل كريماً ، على المعنى الأول. ولا يجوز أن يقال : لم يزل كريما ، على المعنى الثانى .

مسألة :

قال أهل اللغة : والكريم : المرتفع من كل شىء .يقال : فلان أكرمُ قومه : أى أرفعهم منزلة وقدراً .

وكذلك كل شىء ، ارتفع عن منزلة نظرائه . يقال : فرس كريم ، إذا كان أشهر الأفراس فراهة . وشجرة كريمة ، أى ناعمة حسنة نضرة . وقوله تعالى : « إنى أُلقِيَ إلىّ كتاب كريم » أى شريف .

وقيل : مختوم .

ويقال : فاضل . وقال الله تعالى : « لهم مغفرة ورزق كريم » أى فاضل .

مسألة :

فإن قال قائل : ما الدليل على أنه كريم ؟

قيل له : إعطاؤه خلقه ابتداء ولا يريد على ذلك مكافأة ، ولا أجراً .

والكريم على وجهين : ذات وفعل . وكرم ذات : هو المتنزه عن صفات المحدَثين ، والتقديس عن أفعال المربوبين .

وكرم الفعل : هو البذل والإعطاء . وجميع ما تفضل به عليهم في الآخرة والدنيا .

والحجة على كرم الذات : قوله تبارك وتعالى : « تبـــارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام » .

والحجة على كرم الفعل : قوله تعالى : « لهم مغفرة ورزق كريم » والكريم : الصفوح . وقوله تعالى : « إن ربي غني كريم » أي صفوح . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والمائتان

فى الودود

الودود : المحب لعباده الصالحين .

وقيل : قوله : ودود ، فيه معنيان يقال : فعول بمعنى مفعول ، أى مودود .

ويقال : فعول ، بمعنى فاعل ، أى هو الله عز وجل ، يود عبادَه الصالحين . ومنه : شكور لعبده على عمله والعبد شكور لنعمة ربه .

وقوله تعالى : « الغفور الودود » يعنى المتودد إلى عباده ، بما يوليهم ،ويجرى عليهم من نعمته ، فى دينهم ودنياهم .

قال المؤلف : وحب الله لعباده الصالحين: هو ثوابه الذى يثيبهم به فى الجنة. وجائز أن يقال : إنه ودود . ويُدعَى : يا ودود . كما وصف نفسه ، فى كتابه ، أنه ودود . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والمائتان

فى الحى

الحى من الحياة ، أى أنه الدائم الذى لا يفنى ، الحى الذى لا يموت . فهو عز وجل الحى الذى له الحياة الدائمة ، الذى لا يزال حيا ، لا بحياة هى غيره . بل حى بنفسه ، يحيى ويميت . وهو حى لا يموت .

وأثبتناه عز وجل حيا ، لا بحياة هى غيره ، بل حيا بنفسه ؛ لأنه عالم قادر . فلا يجوز أن يعلم إلا حى . ولا يجوز أن يقدر على الأشياء إلا حى .

فلما أن كانت أفعاله دالة ، على أنه عالم بها ، وقادر عليها ، كانت أيضا دالة على أنه حى ، ووصفنا غيره أيضا ، بأنه حى على الحقيقة ، إلا أنه حى بحياة هى غيره .

الدليل على أن الله حى : هو ما ظهر من أفعاله . وقد ثبت أنه لا تصح هـذه الأفعال ، إلا من قادر عالم ، والقادر العالم ، لا يكون إلا حيا وبالله التوفيق .

* * *

الباب العاشر والمائتان

فى العلى الجليل العظيم الرفيع الشريف

قد وصف الله تعالى نفسه: بأنه العلى العظيم. فقال: « وهو العلى العظيم ».

فالعلى الجليل العظيم: كل هذه الأسماء بمعنى واحد. وهو أنه سيد مالك الأشياء، قاهر لها، وأنه على جميع الأشياء كلها مقتدر؛ لأن سيد القوم: كبيرهم، وجليلهم وعظيمهم والعلى يكون بمعنى الغالب والقاهر، فى اللغة، نحو قوله تعالى: « ولَعَلَا بعضُهم على بعض » يعنى بذلك غلب بعضهم بعضا وقهره ومثله قوله تعالى: « إن فرعون علا فى الأرض » يعنى قهر أهلها، واستولى عليهم.

وقال أبو محمد — فيما أحسب — قال فى العلى الأعلى، يريد بذلك رفع المقدار، وارتفاع المنزلة. لا يجوز أن يريد رفيع المكان. وإنما يريد رفيع المنزلة والشأن.

مسألة:

فإن قال: أفتزعمون أن الله لم يزل عليا؟

قيل له: نعم؛ لأنه لما كان الله تعالى قاهرا مقتدراً على الأشياء كلها، كما قلنا، وجب أن يقال: علىٌّ ومتعالٍ.

وقد يوصف، بأنه متعال، على جهة، أنه متنزه جليل. نحو قوله تعالى عز وجل: « تعالى عما يشركون » ونحو قول المسلمين: تعالى الله عن وصف الجاهلين؛ لأن معنى ذلك: أن الله تعالى يجل عن ذلك، وأنه منزه عنه.

مسألة :

فإن قال : أفتزعمون أنه رفيع ، وأنه شريف ، كما زعمتم أنه عليٌّ ؟

قيل له : إن أصل الارتفاع فى اللغة والشرف : هـو ما يُعقل ، من ارتفاع مكان الشىء وإشرافه . فلما لم يجز على الله ، أن يوصف بارتفاع المكان ، ولا بالإشراف ، لم يجز أن يقال : إنه شريف رفيع .

فإن قال : أفليس يقال : رفيع شريف . وإنمـا يعنون به سؤدده ، وعظم قدره . وليس يعنون بذلك ارتفاع مكانه ؟

قيل له : بَلَى . ولـكن أصل ذلك هو من الارتفاع والإشراف المعقولين ، اللذين وصفناهما ووصفوا بذلك السيد ، من هـــذا المعنى ، توسعا . وأرادوا به أرفع من غيره وأشرف . فلما كان أصل هذا المعنى ، لايجوز على الله ، لم يجب أن يوصف به الله عز وجل . ولو وجدنا فى صفاته تعالى شيئا من هـــذا ، لحملناه على المجاز ، دون الحقيقة .

فإن قال : أفليس العلو فى اللغة ، قد يكون بمعنى الارتفاع ، وعلو المـكان ؟

قيل له : بَلَى . وليس هذا من المعنى الذى وصفنا الله تعالى ، بأنه عليّ . وإنما وصفناه بذلك ، على وجه ما ذكرنا .

فإن قال : أفليس قد قال الله تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش » ؟

قيل له : بَلى

وقوله : « رفيع الدرجات » إنما هو للدرجات . وليس بصفة الله تعالى . والدرجات هى غير الله . فدرجات الله رفيعة والله لا يوصف ، بأنه رفيع . ولو وجدنا ذلك فى صفاته ، لما كان معنى ذلك إلا مجازا ، دون الحقيقة .

مسألة :

قال أبو محمد : العلى : هو العالى المنزلة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى عشر والمائتان

فى ذكر العظيم

معنى قولنا : الله عظيم : أنه عظيم الشأن والمنزلة . وقد سمى الله تعالى نفسه ، بأنه عظيم . فقال : « وهو العلى العظيم » والعظيم على وجهين :

عظيم على الحقيقة . وهو عظيم القدر والشأن. وعظمته ذاته وهو الله تعالى .

وعظيم من خلقه، عظيم على مايجوز مثل قول الله تعالى : « فكان كل فِرْقٍ كالطودِ العظيم» وقوله لرسوله ﷺ : «وإنك لعلى خلق عظيم» وقال: «عذابَ يوم عظيم » .

مسألة :

فإن قال: فما الدليل على أنه تعالى عظيم ؟

قيل له : عُلُوُّه على الأشياء ، وقهره للأرض والسماء ، وما بينهما من جميع الأشياء ، دليل على عظمة الله تعالى العلى الأعلى .

مسألة :

قال الشيخ أبو محمد : العظيم : هو المستحق أن يُعَظَّم .

وكذلك الكبير والجليل. وهو العظيم الشأن . وكل شىء دونه صغير فقير . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى عشر والمائتان

فى القيوم

قال أبو عبيدة: القيوم: القائم على كل شىء رهو الدائم الذى لا يزول وهو فيعول.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ القيوم: القائم على العباد بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم .

وعنه أيضاً قال: القيوم : الأول الذى لم يكن قبله شىء .

مسألة :

فإن قيل: أفتزعمون أن الله قيوم ، وأنه لم يزل قيوماً .

قيل له : نعم ، على وصفنا له تعالى ؛ بأنه قيوم ، وأنه قائم ، مثل وصفنا له ، بأنه دائم .

وقد يجوز أن يقال: لم يزل دائماً ، لا أول له . كما يقال : ما زال دائم الوجود لا أول لوجوده . وليس يقصد بذلك، ما قصدنا بقولنا : دائم لا يفني .

ويقال : لم يزل كبيرا ، ولم يزل عليا ، بمعنى الغالب . ولم يزل فردا منفرداً . ولم يزل موجوداً كائناً . ولا يقال: لم يزل دائما ، لا يفنى كما يقال : لم يزل دائما ، لا أول له . وما زال دائم الوجود ، لا أول لوجوده . وليس يقصد بذلك ما قصدناه ، بقولنا : دائما لا يفنى ؛ لأن قولهم : لم يزل دائما لا يفنى ، ليس لهذا الوجه معني . ولكن يجب أن يوصف : لا يزال دائما لا يفنى. إن ما يصح على هذا الوجه ، إنما يستعمل على سبيل الفعل المستقبل ، وإن لم يكن دوامه فعلا .

وقيل: القيوم: القائم بالقسط فى خلقه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث عشر والمائتان

فى القادر والقدير والمقتدر

يقال لله تعالى : قادر وقدير بمعنى .

والقادر : هو الذى يصح أن يفعل ، وأن لا يفعل ، إن لم يكن ممنوعا . والله سبحانه فَعَلَ فِعْلَ العالِم . وكان يصح أن لا يفعل . فصح أنه قادر .

وقولنا: أن يفعل وأن لا يفعل، احترازا من النار ؛ لأن النار يقع منها احتراق فلا يجوز أن لا تحرق . فلذلك قلنا : إن النار ليست بقادرة .

مسألة :

الدليل على أن الله تعالى قادر : وجود أفعاله ، التى قد صح أنها باختيار ، قد ثبت فى العقل ، وقام فى النفس أن الفعل الذى هو كذلك ، لايقع إلا من قادر . كما ثبت أن الفعل المتقن المحكم لا يقع ، إلا من عالم . ثم إن الدليل على أن الله لم يزل قادراً ، وأنه قادر بنفسه، لا بقدرة هى غيره . هو ما قدمناه فى باب العلم .

مسألة :

ويوصف الله تعالى ، بأنه مقتدر ، كما وصف نفسه . فقال « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

والدليل على أنه قادر : إيجاده للأشياء من غير شىء ؛ وإماتته لكل حى ، دليل على أنه قادر على كل شىء .

مسألة :

فإن قال : أفتزعمون أن الله قادر ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : أفليس قادر من صفات الذات ؟

قيل له: إن القادر هو الموصوف. وليس هو الصفة. وإنما الصفة قولنا: الله تعالى قادر . ولكن وجب هذا الوصف له ، لذاته سبحانه ، لأن ذاته ذات قادرة . ولم تكن قادرة بقدرة ، هي غيره .

فإن قال : أفتزعمون أن غير الله قادر ، على الحقيقة ؟

قيل له : نعم؛ لأن غير الله لو لم يكن قادرا على الحقيقة لم يجز أن يصير فاعلا على الحقيقة ؛ لأن الأفعال لاتوجد إلا ممن قدر عليها .

والفرق بين وصفنا : الله قادر ، ووصفنا غيره ، بأنه قادر : أن الله تعالى قادر بنفسه ، لا بقدرة هي غيره ووصفنا غيره ، بأنه قادر بقدرة ، هي غيره ، لولاها لم يكن قادرا . وليسة قادرا بنفسه . هذا فرق ما بين القادرين . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع عشر والمائتان

فى ذكر القاهر والقهار

يقال لله تعالى : قاهر وقهار . ومعنى القاهر : أنه مالك للأشياء ، مقتدر عليها وأنها لاتطيق الامتناع ، مما يريد إنفاذه فيها .

فإن قال : أفتزعمون أن الله تعالى لم يزل قاهرا ، وأن هذا الوصف ، وجب لله لذاته ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : أفتزعمون أن الله تعالى لم يزل قاهرا للأشيا. قبل أن يخلقها ؟

قيل له : نعم ؛ لأنه لم يزل مقتدرا عليها . فاقتداره على ما لم يوجد ، هو قهره لذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس عشر والمائتان

فى الوتر

الوتر فيه لغتان : وتر ووتر ، بفتح الواو وكسرها .

والوتر بمعنى الفرد . والشفع ، بمعنى الزوج .

قال المفسرون ـ فى قوله تعالى : « والشفع والوتر » فالوتر : هو الله تعالى . والشفع : هو الخلق . فالله تعالى لاشفع له ، أى لازوج له ، من شكل أو ضد .

والأشكال والأضداد : هى شفع لبعضها البعض. والله تعالى فرد وتر ، لا بمعنى عدد . كما يقال للواحد : فرد وللاثنين:زوج وللثلاثة : فرد . وللأربعة : زوج.

فالله تعالى فرد،بمعنى الفردية وليس هو متوجها، كتوجه الواحد بالوحدانية. فاجتمعت فى الواحد ، بمعنى الوحدية والفردية ؛ لأن الواحد اسم ، لا يلزم إلا الواحد . وللفرد اسم ، يلزم الواحد والثلاثة والخمسة . فهذه أفراد كلها اشتركت ، فى اسم الفردية . وتفرد الواحد بالوحدانية ، واختص بهما ، ولم يشركه فى هذه الأسماء شيء من الأعداد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس عشر والمائتان

في البـــار

ويوصف الله تعالى : بأنه بار بعباده ؛ لأن بره وفضله ، قد عمهم .

مسألة :

ولا يقال : ما أبره بخلقه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع عشر والمائتان

فى اللطيف

اللطيف : هو القائم الذى لا تخفى عليه خافية . وهو الرحيم بعباده .

واللطيف من العباد : الرقيق النظر ، العالم بغوامض الأمور . تقول العرب : لطف به، أى رفق به. فسُمى الله تعالى لطيفا؛ لأنه لطيف فى صنعه، برأفته ورحمته. فلم يدع شيئا من لطيف صنع إلا خلقه بلطفه وحكمته .

واللطيف : فى معنى الرفيق ، العالم بالشىء . فالله عز وجل ، لَطُفَ بالخلائق كلهم ، حتى وصلوا إلى بغيتهم ، بعلم ورحمة وحكمة .

قال المفضل : اللطيف : الواسع العليم . واللطف : التوصل إلى علم الشىء .

والوصف لله تعالى ، بأنه لطيف ، بمعنى أنه منعم . وبمعني أنه لطيف التدبير والصنع ؛ لأن تدبيره لطيف ، لا يعرفه العباد للطفه .

وقد وصف الله تعالى نفسه ، بأنه لطيف خبير . والنعمة تسمى فى اللغة : لطفاً. ويقال : فلان هو ببعض ولده ، ألطف منه بغير . يريدون أن نعمته عليه أكثر . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن عشر والمائتان

فى ذكر القوى

وجائز أن يوصف الله تعالى ، بأنه قوى على الحقيقة . كما يقال : إنه قادر على الحقيقة .

* * *

الباب التاسع عشر والمائتان

فى المُقيت

قال ابن الأنبارى : المقيت فيه قولان :

قال بعض : الحفيظ .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : المقيت : المقتدر .

وقال أبو عبيدة: المقيت أيضا عند العرب ـ: الموقوف على الشىء. قال الشاعر:

ليت شعرى وأشعرنْ إذا ما   أخرجوها مطوية ودعيت
ألى الفضل أم علىّ إذا حو   سبت إنى على الحساب مُقيت

أى على حساب موقوف . والمقيت : الخالق للأقوات .

وجائز أن يقال : يا مقيت ؛ لأن الله قد وصف نفسه بذلك . فقال تعالى : « وكان الله على كل شىء مُقيتا ـ وكفى بالله حسيبا ـ لكل أوّاب حفيظٌ » . وبالله التوفيق

* * *

الباب العشرون والمائتان

في العفـو[1]

* * *

(١) بياض في الأصل .

الباب الحادى والعشرون والمائتان

فى الغفور والغفار

يقال لله : غفور وغفار وغافر ، ثلاث لغات وهو من المغفـرة . والمغفرة : الستر . كأنه تعالى ستر ذنوب العباد .

وأما الغافر فإنه يقال بالإضافة : غافر الذنوب . ولا يجوز أن يقال : لم يزل الله غفوراً . ولـكن يقال : لم يزل الله ، وهو الغفور . ولم يزل الغفور ؛ لأنها من صفات فعله ، لا يجوز أن يقال فيها لم يزل . وإذا وصف فيها بلم يزل ، فقد أوجب قدم الفعل والله تعالى ، لم يزل واحداً ، ثم أحدث الأشياء . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والعشرون والمائتين

فى المجيب

المجيب : الذى يجيب من دعاه . وقوله تعالى : « ادعونى أستجب لكم » يقول : ادعونى موحدين **لأستجيب** لكم ، بما وعدتكم من الجنة .
وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والعشرون والمائتان

فى ذكر الشكور

الشكور : بمعنى الشاكر ومعنى المشكور .

والشكر لله : هو الثناء عليه بنعمته . وشكرته إذا أثنيت عليه بمعروف أولاكه . ومن شكر فقد حمد ؛ لأن الشكر يجمع الحمد والشكر جميعا .

ومن كتاب الزينة :

قال : وكان الله سمى نفسه شكوراً ؛ لأنه يرضى من عباده بالقليل من العبادة .

مسألة :

والله تعالى وصف نفسه ، بأنه الشكور ، على جهة التوسع والمجاز ، دون الحقيقة . فنحن نصفه بذلك، كما وصف نفسه .

فإن قيل : لم زعمتم أن ذلك مجاز ؟

قيل له : لأن الشكر إنما هو شكر النعمة التى كانت للمشكور على الشاكر فلما لم يكن للعباد على الله نعمة، لم يجز أن يكون شاكراً لهم على الحقيقة ولكن لما كان مجازيا للمطيعين على طاعتهم ، جعل مجازاته على هذه الطاعات ، شكرا منه لهم ، على المجاز .

والشكور من الناس: الذى يرضى بالقليل من العطاء .

كذلك ويقال لمن قُدر عليه الرزق : شكر الله ، أى قنع بالقليل . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والعشرون والمائتان
فى الحميد

أبو عبيدة : الحميد : معنـاه المحمود وحمد الله : هو الثناء عليه . وحميـد : معناه محمود على نعمته ، وحسن تدبيره .

قال أبو محمد : الحميد : معناه أن كل من استحق الحمد ، وكثر منه فعلٌ ، يستحق عليه الحمد ، سمى حميدا ، أو محموداً .

مسألة :

فإن قال : أفتزعمون أن الله تعالى حمدَ نفسه، بقوله : الحمد لله

قيل له : نعم . وإنما قوله : الحمد لله بيان لعباده ، كيف يحمدونه .

وكذلك إن قال : أفتزعمون أن الحمد هو الشـكر ؟

قيل له : لا ؛ لأن الحمد هو ضد الذم. والشـكر: هو الاعتراف بالنعم وضده الـكفر . وهما مختلفان .

وكذلك مدح الله نفسه ، بصفات ذاته، بحسن نظره لعباده . وأراد أن يبين ذلك للعباد صفاته ومدحه، ليمدحوه بمثل ما مدح نفسه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والعشرون والمائتان

فى الواسع

الواسع : المحيط بكل شىء .

وقيل : الواسع : الغنى يقال : أعطى من سعة ، أى من غنى .

قال الله تعالى : « لينفق ذو سعة من سعته » أى ذو غنى من غناه .

قال أبو عبيدة فى قوله تعالى: « إن الله واسع عليم » أى جواد يسع ما سُئل. يقال: وسَّع الله على فلان ، أى أغناه .

وقيل : يقال : الله الواسع ؛ لأنه وسَّع على عبـاده فى دينه ، فلا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه .

وقيل أيضا : إنه يسع علم كل شىء ، ولا يخفى عليه شىء ، من أفعال عباده ، بقوله تعالى : « وَسِـعَ كل شىء علماً » وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والعشرون والمائتان

فى الماجد والمجيد

وهو على وزن فاعل وفعيل. وهو مأخوذ من المجد. والمجد: الجلالة والعظمة. وقد يوصف الإنسان بالمجد. فيقال: ماجد. ولا يقال: مجيد.

فالماجد: هو الفاعل بالاكتساب والمجد. والمجيد: هو معدن المجد. ومثله حكيم وحاكم.

فالحاكم: هو الذى يفعل بالحكمة. والحكيم: معدن الحكمة.

قال أبو عبيدة: المجيد. معناه الماجد.

قال غيره ــ معنى المجيد: أى كريم عزيز وقوله تعالى: «بل هو قرآن مجيد» معناه كريم عزيز. وماجد ومجيد. من صفاته لذاته.

ومن كتاب المنطق تأليف العتابى:

قال: والمجد: الفعال الذى يستحق صاحبه به الثناء الجميل. تقول: مجد يمجد مجداً، فهو ماجد مجيد. ومن الجود تقول: جاد يجود جودا. وهو جواد.

مسألة:

الماجد: الواسع فى العطاء والرحمة. وبالله التوفيق.

* * *

الباب السابع والعشرون والمائتان

فى الوكيل

قيل : الوكيل : الكافى .

وقيل : الوكيل : الكفيل . من قول الله تعالى : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » أى الكفيل بأرزاقنا .

وقيل : الوكيل : الرب . ومنه قوله تعالى : «لاتتخذوا من دونى وكيلا» ، أى ربا .

وقيل : الوكيل : الكفيل بالأرزاق .

مسألة :

ويقال لله تعالى : بأنه وكيل علينا ، بمعنى أنه متول لأمورنا ، والقائم بحفظنا وتصريفنا ، فيما يريد .

ولايجوز أن يقال لله تعالى : وكيل لنا ، كما يقال : وكيل علينا ؛ لأن معنى وكيل علينا ، قد بيناه .

ومعنى وكيل لنا : أن من كان وكيلا على شىء ، فإنمـا كان وكيلا لنا ، لإقامتنا إياه فى ذلك ، ولأنه قام بأمرنا فلمـا لم يجز أن يكون الله تعالى وكيلا بأمر خلقه ، لم يجز أن يقال : إنه وكيل لهم .

وإنما يصح أن يقال : وكيل عليهم ، كما قال تعـالى : « وكان الله على كل شىء وكيلا » ولايقال : إن الخلق وكلاء على الله ، كما يكونون يتوكلون عليه ؛

لأن الوكيل ليس معناه التوكل ؛ لأن مصدر الوكيـل الوكالة ، بمنزلة الولاية . والوكيل خلاف ذلك المعنى . فنحن نتوكل على الله ، ونعتمد عليه . ومعنى ذلك واحد وليس ذلك من معنى الوكالة، فى شىء. فلهذا لايجوز أن يوصف الله تعالى، بأنه متوكل علينا . وصح له الوصف ، بأنه وكيل علينا .

والقول: بأنا نعتمد عليه ، ونركن إليه ، هو توسع ؛ لأن أصل الاعتماد، هو اعتماد الرجل ، على مايعتمد عليه ، من شىء إذا مشى أو قام . فجعلوا هذا المعنى ، فى معنى التوكل توسعا . ولهذا سموا بعض الخلفاء ، بالمعتمد على الله .

وكذلك الركون ، أصله من الاعتماد . ويستعملان فى الله مجازا،على ما بيناه. وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والعشرون والمائتان

فى الكفيل

يقال لله تعالى : الكفيل ؛ لأنه تكفل بأرزاق العباد ، ولمن وحده ، بالجنة فى الآخرة . فيقال لله تعالى : كفيل . معناه : أنه كفل لعباده ، بأنه يثيبهم على طاعتهم .

ومعنى أنه كفل بذلك ، أنه ضمنه . والكفالة: هى الضمان . وبالله التوفيق.

* * *

الباب التاسع والعشرون والمائتان

فى الباعث

الباعث فى كلام العرب : المثير المنهض . تقـول : بعثت البعير ، إذا أثرته وأنهضته من مكانه .

وكذلك بعثت الرجل وأثرته من مكانه الذى تمـكن فيه واضطجع . فقيل لله تعالى : الباعث ؛ لأنه يبعث الخلائق ، بعـد الموت ، أى يثيرهم من القبور ، وينهضهم من مضاجعهم . قال الله تعالى : « قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون » .

ويكون أيضا الباعث مأخـــوذا من بعث الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى الناس . أثارهم الله تعالى ، من بين القبائل والشعوب . والمعنيان صحيحان جائزان ، فى صفة الله تعالى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثلاثون والمائتان

فى الديان

الديان من الدين : وهو الطاعة ؛ لأن الخلق كلهم دانو له وتذللوا ، ولم يفته شيء من خلقه .

ويقال : دان له : أى أطاعه .

وقيل فى صفة الله تعالى : ديان يوم الدين ، أى إليه حساب الخلائق يوم الحساب .

والديان : الذى يلى المجازاة ، وهو قادر عليها . فيجازى كلا على استحقاقه . فهو عز وجل ديان . يوم الدين ؛ لأنه يجازيهم بأعمالهم .

والديان : المجازى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثلاثون والمائتان

فى المنان

المنان : المعطى قال الله تعالى: « ولـكن الله يمنّ على من يشاء من عباده » أى يعطيهم من فضله .

والمنان: على وزن فعال. وكل ماجاء على هذا الوزن . فمعناه من شأنه أن يفعل ذلك .

فالمنان من شأنه الإعطاء . تبارك الله المنان .

وقيل : إن المنان : هو المنعم على عباده ؛ لأن المنة من الله : هى النعمة . والمنة من الخلق : هى الامتنان .

وقيل : المنان : كثير الإحسان . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثلاثون والمائتان

فى الحنّان

الحنان: لا يجوز فى صفة الله تعالى؛ لأن معنى الحنان مأخوذ من حنين القلب على الشيء. والله تعالى لا يجوز أن يوصف بأن له قلبا ولو سمعنا ذلك فى بعض صفاته، لكان يجب أن يحمل على المجاز. وكان لا يجوز معناه، على جهة الحقيقة.

وقول الله تعالى: « وحنانا من لدنا » يعنى أن يحيى — عليه السلام — كان حنانا، وأراد به: أنه كان رحمة من الله على عباده.

قال المؤلف: وقومنا يقولون: الحنان: المتعطف بالرحمة.

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — والله ما أدرى ما الحنان؟ وهو بحر العلم، لا يدرى ما الحنان. وبالله التوفيق.

* * *

الباب الثالث والثلاثون والمائتان

فى السند

السند فى جوازه اختلاف . فالذى يجيز ذلك يقول : السند : ظهر الخلق وملجؤهم ، لأن الخلق يسندون إليه ، ويعتمدون عليه .

* * *

الباب الرابع والثلاثون والمائتان

فى فالق الحب

فالق الحب : هو مشققه ؛ ليخرج نباته يقال : انفلق الصبح : إذا أسفر عن سواد الليل .

قال المؤلف : ولايقال لله تعالى : يافالق ، حتى يقال : يافالق الحب والنوى . هكذا عرفت . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والثلاثون والمائتان

فى ذى الطَّول

ذو الطول : الفضل والعطية . الطول : الفضل والإحسان والعظامة ، من قوله تعالى : « فمن لم يستطع منكم طَولا » أى مايعطى من المال .

قال المؤلف : ولا يقال لله تعالى : ذو الطول ، بضم الطاء ، لأنه ضد العرض . فلا يجوز ذلك . بل يقال بفتح الطاء . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والثلاثون والمائتان

فى الوهاب

قال الله تعالى : « وهو العزيز الوهاب » .

ومن كتاب الزينة لقومنا :

قال : ومن صفاته تعالى : الوهاب . والواهب . فالواهب : الذى لايبخل على خلقه ، فيهب لكلٍّ ما يحتاج إليه . فهو الوهاب ؛ لأن من شأنه الهبة. فخلق الخلق كله ، فوهب بعضَهم لبعض ، ولم يبخل بشىء منه ، فيحبسه لنفسه ؛ لأنه غنى عنه، غير محتاج إليه . فيجود به على من لا يسأله ، ويعطيه من لا يستوجبه . فهو يهب بلا مقدار لغَنائه عنها . فهو الواهب الذى لايبخل على خلقه ، الوهاب الذى يهب الكثير ، الجواد الذى لاتخفى عطاياه ، الغنى عن الأشياء كلها . تبارك الله وتعالى. وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والثلاثون والمائتان

فى الرازق والرزاق

ويوصف الله تعالى بأنه الرازق والرزاق ولا يجوز أن يقال : لم يزل رازقا، ولا رزاقا .

والدليل على أن الله رازق : تركيبه لخلقه معتدلين ، وجعله لهم إلى ذلك محتاجين ، كما قال عز وجل : « وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين » وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والثلاثون والمائتان

فى الجليل

قال : الجليل : العلى العظيم . كل هذه الأسماء بمعنى واحد . وهـو أنه سيد مالك الأشياء قاهر ، وأنه على جميع الأشياء مقتدر ؛ لأن سيد القوم هو كبيرهم وجليلهم .

قال أبو محمد : الكبير الجليل : هو العظيم الشأن. وكل شىء دونه صغير حقير. وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والثلاثون والمائتان

فى الحق المبين

ويوصف الله تعالى ، بأنه الحق المبين . قال الله تعالى : « ويعلمون أن الله هو الحق المبين . وأن مايدعون من دونه هو الباطل » فوصف نفسه بأنه الحق ، على المجاز ـ ولأن الحق مصدر فى أصل اللغة. فأراد ـ عز وجل ـ بذلك أن عبادة الله هى الحق ، وأن عبادة غير الله ، هى الباطل، وقد يجوز أيضا أن يعنى بقوله : «أن الله هو الحق» أى أن الله هو الباقى الحيي المميت ،والمثيب والمعاقب.« وأن مايدعون من دونه هو الباطل » أراد أنه يبطل ويذهب . وأنه لايملك أحد ثوابا ولا عقابا غير الله .

مسألة :

فإن قال : فالحق هو العدل ؟

قيل له : نعم. الحق : هو العدل . والعدل : هو الحق . والعدل هو نفى الجور عنه فى الأزل .

فإن قال : فيقال : إنه عدل ؟

قيل له : نعم . ولا يقال : إنه عادل بشىء ، لأن العادل بالله : هو الجائر ، كما قال تعالى : « والذين كفروا بربهم يعدلون » ولكن يقال : إنه الحق العدل؛ لأنه ليس بجائر ، ولا يجور . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الأربعون والمائتان

فى الصادق

ويوصف الله تعالى : بأنه الصادق الوعد . والصدق : من صفات الذات .

ومعنى الصدق: أن يكون مخبره على ما أخبر . وضده : أن يكون مخبره على خلاف ما أخبر .

مسألة :

والدليل على أنه صادق : هو علمه بقبح الكذب واستغناؤه عنه . والكذب من صفات المحدَثين ـ تعالى الله عنه .

والحجة على أنه صادق : قوله تعالى : « ومن أصدق من الله قيلا » .

مسألة :

فإن قال : هل لله تعالى أن يقول الكذب ؟

قيل له : يستحيل ذلك عليه ؛ لأن الصدق ، قد دلت الدلالة على أنه من صفات ذاته . ومن كان الصدق من صفات ذاته ، لم يجز أن يوصف بالكذب ، ولا بالقدرة عليه ، كما أن من كان العلم من صفات ذاته ،لم يجز أن يوصف بالجهل، ولا بالقدرة عليه . وبالله التوفيق.

• • •

الباب الحادى والأربعون والمائتان

فى الغنىّ

معنى الغنى : أنه تعالى غني عن الأشياء كلها، فلا يصير إليه منها نفع ولاضرر. فهو الغنى عنها . وقد قال الله تعالى : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد » فهو الغنى كما وصف نفسه . وجميع خلقه فقراء إليه ـ عز وجل .

مسألة :

فإن قال قائل: فإذا كان من الخلق مايوصف، بأنه غنى . والله تعالى يوصف ، بأنه غنى فما الفرق ؟

قيل له : إن غِنى الغنىّ منا : هو غنى مستفاد . وليس يطلق عليه الوصف بالغنى ، كما يوصف الله تعالى ، بأنه الغنى الحميد ، لأن غنى الخلق غنى حادث ، بعد أن لم يكن . وقد يزول ، بعد أن كان . فلا يشبّه الله بخلقه ، وإن اشتبه اللفظ ـ تعالى الله عن ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والأربعون والمائتان

فى الوارث

ومن صفاته ـ عز وجل ـ : الوارث . قال الله تعالى: «وكنا نحن الوارثين» .

والوارث مشتق من أرث . وإرث كل شيء : أصله وبقيته .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: اثبتوا على مشاعركم ، فإنكم على إرث أبيكم إبراهيم ﷺ . يعنى على أصله وبقيته .

والميراث أخذ من ذلك فقيل له : إرث؛ لأنه بقية من سلف على خلف . وقيل لله تعالى : وارث ؛ لأنه تعالى يبقى بعد فناء الخلق، وإن كانوا وما يملكون فى هذه الدنيا ، فى ملكه ؛ لأنه تعالى وهب لهم ممالك الدنيا ؛ لغنائه عنها . فإذا بادوا وهلكوا ، وبقيت ممالكهم ، فلا مالك غيره . وصارت ممالكهم إرثا ، أى بقايا بعدهم . ولا يكون لها من يحوزها .

قيل لله : وارث، لا وارث غيره . قال الله تعالى : « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والأربعون والمائتان

فى الشهيد[1]

* * *

(١) بياض فى الأصل .

الباب الرابع والأربعون والمائتان

فى الخبير

الخبير : العالم بالشىء . يقال : فلان يُخَــبِر عن هذا الأمر ، أى يعلمه . وهو خبير به . قال الله تعالى: « فاسأل به خبيراً » أى عليما قال الله تعالى:« وهو العليم الخبير » . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والأربعون والمائتان

فى آمين

فإن قال : أفتزعمون أن آمين من أسماء الله تعالى ؟

قيل له: إن قصد بقوله: آمين، يؤمن منه الجور. فعسى أن يكون. والله أعلم. وإن كان قد قال به قوم، فلسنا نقدم عليه، إذا لم يصح معناه عندنا .

وفى كتب قومنا : أن آمين من أسماء الله تعالى .

وفى تفسير قوله تعالى:«ولا آمِّينَ البيتَ الحرام» يعنى قاصدين البيت الحرام،

قال : ومعنى آمِين : أى افعل .

وقيل : اللهم استجب .

وقيل : آمين : راجون منك إجابة الدعوة .

وقيل : آمين : راضون بما قضيت لنا وعلينا .

مسألة :

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ آمين : معناها كذلك تقدر .

قال أبو علىّ : أى افعل بنا كما سألناك .

وفى آمين لغتان : آمين بالمد، وأمين بالقصر . والنون ، فى آمين مفتوحة ، لسكونها وسكون الياء قبلها .

* * *

الباب السادس والأربعون والمائتان

فى الكبير

يوصف الله تعالى، بأنه كبير وعظيم وجليل، كله بمعنى واحد. وهو أنه سيد مالك للأشياء كلها، لأن سيد القوم هو كبيرهم، وعظيمهم وجليلهم. وقد تعظّم لهذا الوصف، بقدرته أيضا على الأشياء، ولعلمه بها، ولأنه لا مثل له، ولا نظير. ولهذا كان الواصف له معظماً، ومكبرا له.

ويجوز الوصف له، بأنه لم يزل كبيراً، لا كبر جثة، ولا شخص ـ تعالى الله عن ذلك. وبالله التوفيق.

* * *

الباب السابع والأربعون والمائتان

فى الدائم

يقال : إن الحكيم إنما يقال له : دائم ؛ لأنه لم يزل . ولم يختلف أحد أنه تعالى مبدع ، إذ كان كل من أقر به ، أقر أنه لم يزل . ومن أنكره ، يقر أن العالم لم يزل . فأثبت الصفة للعالم بالأزلية . ولم ينكر الأزلية .

فلما كانت الأزلية ثابتة ، لا مخالف يقدر على إنكارها ، ولا دفعها . كانت عندنا لله ـ عز وجل .

فثبت أنه عز وجل الدائم الخالق والوصف له تعالى: بأنه دائم ، من صفات الذات .

ويوصف ، بأنه لايزال دائما لايفنى ولا يوصف ، بأنه لم يزل دائما لايفنى، لأن هذا القول ، على هذا الوجه ، لامعنى له . والوصف له على الوجه الآخر يصح ؛ لأنه مستعمل على الفعل المستقبل ، وإن لم يكن دوامه فعلا .

ويجوز أن يقال : لم يزل دائما لا أول له ، كما يقال : لازال دائم الوجود ، لا أول لوجوده . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والأربعون والمائتان

فى الباقى

فإن قال : أفتزعمون أنه تعالى ، لم يزل باقيا ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : فما معنى وصفكم له ، بأنه باق ؟

قيل له : إن معنى ذلك أنه كائن بلاحدوث . فواجب أن يوصف بأنه باق. فلما كان الله لم يزل موجودا ، بغير حدوث ، وجب أن يكون لم يزل باقيا .

وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والأربعون والمائتان

فى السيد

السيد : المالك . وسيد العبد : مالكه . والله سيد كل سيد .

والإنسان لا يسمى سيدا على الحقيقة. وإنما سمى سيدا بالإضافة. فيقال : سيد كذا ، ومجازا لا يطلق . فيقال لكل من سُمى ربُّ شىء : سيده .

فأما سيد الحقيقة ، فهو الله . فيجوز أن يقال لكل سيد : رب ، إذا أريد به الإضافة . ولا يسمى بها مطلقا إلا الله .

وجائز أن يقال لله تعالى : لم يزل ربا للأشياء ، وسيدا لها وإلها . وجائز لم يزل مالكا للأشياء ، كما لم يزل قادراً عليها .

وجائز أن يقال : لم يزل الله سيدا .

ومعنى ذلك : أنه رب مالك ، لأن المالك للعبد سيده . ولهذا قيل لأكبر القبائل : سادة . أرادوا بذلك ، أنهم مالكون لهم ، ينفذ فيهم أمرهم .

وعن أبى محمد ـ والسيد : الصمد . قال : هو الشريف ، لأنه غاية السؤدد وهما معناهما واحد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخمسون والمائتان

فى القريب

يوصف الله تعالى، بأنه قريب من الخلق، على جهة التوسع . والمراد بذلك أنه عالم بهم وبأعمالهم ، وأنه سامع لقول الخلق، ورائ لأعمالهم ، لا سِتر بينه وبينهم ، ولا حجاب ولا مسافة . فلما كان على ما وصفنا قيل ـ فى سعة اللغة ـ : إنه قريب منا ، إذا كان لا يشاهد أعمالنا من المخلوقين إلا من كان منا قريباً .

وكذلك قرب العباد إلى الله بالطاعات ، هو توسع ومجاز . ومعناه : طلب المحبة والكرامة منه . فقيل : لذلك تقرب ، لأنا فى الشاهد إذا أحببنا شيئا قربناه منا . وإذا أبغضناه أبعدناه منا . فلهذا قيل لذلك : تقرب إلى الله ، على المجاز . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والخمسون والمائتان

فى المقسط

من كتاب الزاهر :

المقسط : معناه فى كلامهم: العادل . يقال : أقسط الرجل يقسط ، فهو مقسط ، إذا عدل . قال الله تعالى : « إن الله يحب المقسطين » أى العادلين .

ويقال: قد قسط الرجل، فهو قاسط، إذا جار. قال الله تعالى:«وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » . أى الجائرون . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والخمسون والمائتان

فى الطالب المدرك

وجائز أن يوصف الله تعالى ، بأنه طالب ومدرك .

ومعنى الطالب : أن يطلب من الظالم حق المظلوم ؛ لأنه لا يضيع للمظلوم عنده حق .

ومعنى المدرك: أنه لا يفوته شيء طلبه. ولا يعجزه أحد ، ولا يمتنع عليه شيء.

وليس الوصف له ، بأنه مدرك ، مثل الوصف له ، بأنه غالب ؛ لأن هذا الإدراك إنما هو فعل منه . هو إنصافه للمظلوم من الظالم . وصفته تعالى ، بأنه غالب ، إنما هو من صفات الذات ؛ لأن معناه : أنه قاهر للأشياء ، مقتدر عليها .

مسألة :

فإن قال : أفليست الأشياء كلها ، فى قبضته وسلطانه ؟

وأليس هو بها جميعاً عالما ؟

قيل له : بلا .

فإن قال : فكيف يجوز منه الطلب،لما هو عارف بمكانه ، ومقتدر عليه ؟

قيل له : هو وإن كان عالما بكل شيء ، ومقتدرا على كل شيء ، فقد سمى أخذه للظالم بحق المظلوم ، طلبا بحق المظلوم؛ لأن هذا يسمى فى اللغة — منا — طلبا وإن كنا مقتدرين على من نطالبه بذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والخمسون والمائتان

فى المفضّل

ويوصف الله تعالى ، بأنه مفضّل بما فضّل به غيره ومن فعل الفضل ، سمى مفضّلا . ولا يوصف بأنه فاضل ، بما تفضل من الفعل على غيره . ولا يجـوز أن يفضل هو بذلك ؛ لأنه مستغن عن الأفعال ، أن يفضل بها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والخمسون والمائتان

فى المَولى والولىّ

فالمولى : المعتق . والمولى : ابن العم . قال الله تعالى : « يوم لا يغني مولًى عن مولى شيئا » .

والمولى : الأولى . قال الله تعالى : « مأويٰكم النار هى مولٰيكم » يعنى أولى بكم .

والمولى : الحليف .

والمولى : الولى . قال الله تعالى : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الـكافرين لا مولى لهم » معناه : لا ولى لهم .

والمولى : المالك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والخمسون والمائتان

فى النصير

النصير والناصر : واحد . ويقال : إن الله ناصر المؤمنين . ومعنى ذلك : دفع المكاره والشدائد والهوان عنهم ، ليعزهم بذلك ، ويكرمهم . وهذا هو النصرة المعقولة بيننا فى الشاهد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والخمسون والمائتان

فى المتين

لا يجوز أن يقال لله تعالى : متين ؛ لأن المتين فى حقيقة اللغة : الثخين . والله تعالى لا يوصف بالثخن . وإنما قال الله تعالى : « ذو القوة المتين » توسعاً ومبالغة ، فى وصف نفسه بالقوة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والخمسون والمائتان

فى الهادى

الهادى : هو المبيِّن لطرائق الخير . وقوله عز وجل فى القرآن : « هُـدًى للمتقين » أى بيان لهم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والخمسون والمائتان

فى شديد العقاب

ولا يوصف الله تعالى ، بأنه شديد على الحقيقة ؛ لأن الشـدة بمعنى الصلابة . والله تعالى لا يوصف بالصلابة . وإن وجدنا فى صفاته فى القرآن ، أو غيره ، أنه تعالى شديد ، فهو مجاز ، لـكثرة استعمالهم فى القوة مدا ، هذا القول ، على التوسع. ولـكن يجوز أن يوصف ، بأنه شديد العقاب وما أشبه ذلك، من صفات الأفعال؛ لأن الشديد فى صفات الأفعال ، إنما هى للأفعال والشدة فى هذه الصفة : هى لها، لا لله عز وجل .

وقوله تعالى: « أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة» على التوسع والمجاز ، ولم يكن مجازا ، لأدى معناه إلى الإحالة . فصح بهذا أنما إذا ذكر هذا القول ، توسعاً فى اللغة ، وأراد أنه أقوى منهم وأقدر وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والخمسون والمائتان

فى الناصر المؤمنين

ويقال : إن الله ناصر للمؤمنين. ومعنى ذلك: دفعه المكاره والشدائد والهوان عنهم ، ليعزيهم بذلك، ويكرمهم. وهذا هو النصر المعقول ، فيما بيننا ، فى الشاهد . بالله التوفيق .

* * *

الباب الستون والمائتان

فى العدل والعادل

يقال لله تعالى : عدل وعادل . ولايقال : إنه عادل بشيء ، لأن العادل بالله ، هو الجائر . كما قال الله تعالى: «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون »ولعله أراد فى هذه الآية، نوهم فيها، قوله تعالى :« والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون» .

مسألة :

وقال : والعدل غير العادل . ولا يجوز أن يقال لله : عادل .

مسألة ـ من كتاب لقومنا :

قال : العدل على وجهين : الله عدل . وعدله على وجهين : عدل فى ذاته ، وعدل فى فعله . وهو مساويته بين خلقه ، فيما تجب فيه المخالفة ، وعدل من خلقه . وعدله : فعله .

والدليل على أنه عدل : العلم والغنى دليل على العدل ، فى كل معنى . ودليل ثان علمه بقبح الجور ، واستغناؤه عنه فى جميع الأمور ؛ لأنه لا يدخل فى الجور إلا من احتاج إليه ، أو جهل قبحه ، فأقدم عليه . فلما كان الله عالما غنيا ، كان عن الجور والظلم متعاليا .

مسألة :

يقال لله تعالى : عدل كريم . فالوصف له ، بأنه عدل ، هو توسع ومجاز ؛لأن العدل فى الحقيقة : هو المصدر . والله تعالى لايشبه العدل ولا شيئا من المصادر .

ولـكن قالوا : هو عدل ، وأرادوا العادل ، توسعا فى هذا القول ، إذ كان يعقل عنده ما أراد ، وأنه من وصفه ، بأنه عادل .

مسألة :

فإن قال : مامعنى العدل ؟

قيل له : أما فى اللغة ، فهو الحـكم بالعدل والحق . تقول : هو يعدل فى حكمه .

وأما قول الفقهاء ، فهو فعل ما له أن يفعـــله فى الحـكمة ، وإعطاء المستحق مايجب له . والجور : ضد العدل ، ومنع المستحق مايجب له فلما نفينا عنه الأضداد ، وصفناه ، بأنه عادل . قال الله تعالى : « إن الله لايظلم مثقال ذرة ـ ولا يظلم الناس شيئا ـ وما الله يريد ظلما للعباد » ومثل هذا فى القرآن كثير . فـلا يجوز على الله تعالى العادل الـكريم الرءوف الرحيم ، إلا ماوصف به نفســه . ولو لم نصفه بالعدل ، لـكان موصوفا بضده . فلما نفينا عنه الجور ، وصفناه بالعدل .

قال المؤلف : فأجاز الشيخ أبو الحسن البسيانى، أن يوصف الله ، بأنه عادل. وبالله التوفيق.

* * *

الباب الحادى والستون والمائتان

فى الواحد الأحد

الواحد فى الحقيقة : هو الذى لاينقسم فى وجـــود ، ولا وهم . وهو الفرد لا ثانى له . والواحد أيضا ، لا ثانى له فى لفظه . ولا يقال : واحدان .

وقيل له عز وجل : واحد ؛ لأنه لم يزل قبل الخلق متوحدا بالأزل ، لا ثانى معه . ثم خلق الخلق ، فـكان الخلق له ثانيا، محتاجا بعضهم ، إلى بعض .

قال المؤلف: وليس يعنى أن الخلق صار ثانيا لله، إلٰها كمثله ـ عز وجل.

وتوحد هو تعالى بالغنى عن جميع خلقه ؛ لأنه لم يزل قبل كل شىء . فالأولية دلت على الوحدانية ، إذ لم يكن قبله شىء ، فيتوحد بالأولية، كما يتوحد هو بها . فيكون ثانيا لذلك الشىء الذى تقدمه . بل لم يزل هو الأول السابق بالوحدانية . فـكان الخلق ثانيا بالابتداع .

والواحد : اسم يدل على نظام واحد ، يُعلم باسمه ، أنه واحد ليس قبله شىء من العدد . وهو خارج من العدد. والواحد كيف ما أدرته وأجريته، لم يزد فيه شىء، ولم ينقص منه شىء . تقول: واحد فى واحد ، لم يزد على الواحد شىء .

وتقول: نصف الواحد ، لم يغيِّر النصفُ الواحدَ. فدل على أنه محدِث الشىء وإذا دل أنه محدِث الشىء ، دل أنه مفنى الشىء . وإذا دل أنه مفنى الشىء ، دل أنه لا شىء بعده فإذا لم يكن قبله شىء ، ولا بعده شىء ، فهو المتوحد بالأزل . فلذلك قيل له : واحد .

فأما الواحد والأحد ، فصفتان معروفتان ، قد نطق بهما القرآن ، فى صفات الله تعالى .

والأحد : هو اسم أكثر من الواحد . ألا ترى أنك لو قلت: فلان لايقوم له واحد ، لجاز فى المعنى ، أن يقوم له اثنان وثلاثة ، فما فوقهما .

وإذا قلت: لايقوم له أحد، فقد حرمت أنه لايقوم له واحد ، ولا اثنان .

وتقول : ليس فى الدار واحد ، يجوز أن يكون من الدواب أو الطيور ، أو الوحوش أو الإنس ، فكان الواحد ، لغير الدواب والناس .

وإذا قلت : ليس فى الدار أحد ، فهو مخصوص بالآدميين ، دون غيرهم من سائرهم . والأحد ممتنع فى الحساب ؛ لأنك تقول : واحد واثنان وثلاثة. فهذا العدد وإن لم يكن فى العدد ، فعليه المدد . وهو داخل فى العدد . والأحد ممتنع من هذا. فلا يقال : أحد واثنان وثلاثة ولا يقال أحد فى أحد، كما يقال: واحد فى واحد. والواحد وإن لم يتجزأ من الواحد، فهو يتجزأ من الاثنين، فما فوق ذلك والأحد قد يجىء فى الكلام ، بمعنى الواحد ، ومعنى الأول .

فالواحد والأحد ، وغيرهما من الألفاظ التى مضت، كلها مشتقة من الواحد . تبارك الله الواحد الأحد .

مسألة :

فإن قال قائل : من أين علمت أنه تعالى واحد ؟

فقل له : من قِبل، أنه لا يكون قادرًا إلا واحد ؛ لأنه لا يكون الغالب إلا واحدا ؛ لأن الاثنين لابد من أن يكون أحدهما يغلب صاحبه . والمغلوب عاجز ، والعاجز ليس بإله قدير .

ومعنى القول : بأنه واحد : أنه لا نظير له ، ولا شبيه . فهو واحد ، لم يزل واحدا ــ تعالى الله الواحد القهار وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والستون والمائتان

فى الفرد

ويوصف الله تعالى : بأنه فرد . والفرد الواحد .

وأفردته : جعلته واحدا . فالله تعالى ، هو الفرد .وقد تفرد بالأمر دون خلقه.

وسمى فردا ، لأنه لايختلط بالأشياء ، ولا يمازجها . بل هو مستغن عنها ؛ لغنائه عنها . والأشياء مختلط بعضها ببعض . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والستون والمائتان

فى الصمد

الصمد : هو السيد الذى ليس فوقه سيد .

قال الأسدى :

ألّا بكّر الناعى بخير بنى أسد   بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال عمرو بن الأسلع فى قتله حذيفة بن بدر :

علوته بحسامى ثم قلت له   خذها حذيف فأنت السيد الصمد

قال الحسن : الصمد : السيد الذى لايموت .

ويجوز أن يقال : لم يزل صمدا ، على أنه لم يزل سيدا مالكا للأشياء .

ولا يجوز أن يقال : لم يزل صمدا ، على معنى أن الصمد : هو أن الخلائق يصمدون إليه فى حوائجهم .

فالصمد على هذين الوجهين . فأحدهما ما هو من صفاته لذاته ، والآخر ، من صفاته ، لحدوث القصد إليه من العباد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والستون والمائتان

فى ذكر لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

لم يلد ، فيكون موروثا . ولم يولد ، فيكون محدَثا مربوبا . ولم يكن له كفوا أحد ، فهو الله الذى لا كفو له ، ولا شبيه له . ولا نظير ، ولا عِدل . ولم يكن له كفوا أحد . ولم يكن له أحد كفوا ـ على التقديم والتأخير . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والستون والمائتان

فى الإشارة

كنقوله تعالى : « قل هو الله أحد » وفى قوله : « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة » .

قال : والإشارة على ضربين : إشارة إلى صفة ، وإشارة إلى الحقيقة .

فالإشارة إلى الصفة هذا . وهو يعرف نظر العين . وإشارة إلى الحقيقة . وهو إشارة حقيقة المعرفة . وذات الشىء : حقيقته . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والستون والمائتان

فى ذكر الأسماء الحسنى

وتفضيل الأسماء بعضها على بعض

قوله تعالى : « له الأسماء الحسنى » : الرحمٰن الرحيم العزيز الحكيم . قال الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » . فكل أسمائه حسنة . وليس لله تعالى اسم قبيح ، نهى أن يدعَى به . وذلك مثل تفضيل القرآن ، بعضه على بعض .

وتأويل ذلك : أن يسأل بالأسماء التى سمى بهـا نفسه ، فإنه الرحمن الرحيم الخالق البارىء المصور .

مسألة :

قوله تعالى : « له الأسماء الحسنى » .

قيل : الصفات العُلا .

ويقال : « له الأسماء » تسعة وتسعون اسماً . من أحصاها دخل الجنة .

مسألة :

بعض الأسماء أعظم من بعض . وبعض الصفات أرجح من بعض .

ولا يقال : بعض الكلام أحسن من بعض ، ولا أقبح .

وكذلك الأمر فى الأسماء والصفات . ومن حد صفات الله ، كمن حد الله .

ويقال : اسم الله الأعظم ، لا من قِبل أن له اسما صغيراً .

وذلك أن لله تعالى أسمـــاء ، فبعضها محظورة على البعض . وبعضها ليست بمحظورة .

فما ليست بمحظورة : فمؤمن وجبار وحى وواحد .

والمحظور : الله والرحمن والرحيم . ولا تصغر الأسماء التى حظرت ؛ لأنه ليس لله تعالى اسم صغير ، لأن كل من كان صغيرا ، ففيه تضعيف . ولا يكـــون اسمه الأعظم إلا وهو محظور . ولا يجوز لخلق أن يتسمى به . وإنما ذكرنا ما ذكرناه لأنه قد أنـــكر قوم اسم الله الأعظم .

قال المؤلف :

واسم الله الأعظم : هو الله ؛ لأنه قُدم على جميع الأسماء كلها .

وقيل غير ذلك . تركت الاختلاف . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والستون والمائتان

فى الدعاء وفضله ومدحه

وما يجوز فيه وما لا يجوز

والدعاء : مخ العبادة . وقد أمر الله تعالى عباده : أن يدعوه . فقال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعا »مستكينين «وخيفة» فى خفض وسكون، فى حاجاتكم، من أمر الآخرة. ولا تدعوا على مؤمن ولا مؤمنة بالشر. أن تقولوا: اللهم : العنه واخزه . ونحو ذلك ، فإنه عدوان : « إن الله لا يحب المعتدين » . وقال تعالى : « ادعونى أستجب لكم » . وقال الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » وقد قدمنا ذكر الأسماء الحسنى ، والقول فيها .

فالدعاء فرض ، إذا خرج ذلك الدعاء ، فيما أمر به العبد ، ولم يدخل فيه ما لا يجوز .

فصل

والناس مختلفون فى الدعاء .

فمنهم : من أجاز على الشريطة والتمهيد .

ومنهم : من لم يجز .

فالذى وجدت فى الأثر : أن يدعوه ويسأله الخير . فذلك حسن .

والذى يقول به : أن يسأل الله فى الدعاء ، على وجه التضرع إليه . ويسأله أن يقضى له ما هو خير .

فإذا سألت ربك فى الصلاة . فلا تقل : إن شئت يارب ، فعلت لى كذا وكذا . ولكنك اعزم فى المسألة ، وألح على ربك ، وجدّ فى الطلب . وقل : اللهم يسر لى كذا وكذا ، وأعطنى كذا وكذا ، واجعل لى فيه خيرا فى دينى ومعاشى . ولا تقل : إن كان خيرا . ولكن تسأله ـ ماشاء الله ـ ثم تقول: اجعل لى فيه خيرا . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والستون والمائتان

فيما يستحب أو يكره فى الدعاء
من الحركات والأصوات

وقيل : رفع الصوت فى الدعاء اعتداء .

أبو سعيد : رفع اليدين فى الدعاء ، لغير معنى التحديد لله تعالى . فإن فعل ذلك فاعل، على صدق النية والمذهب ، فلا مانع له . وليس ذلك ما يوجب التحديد إلا على الإرادة ، بسوء المذهب .

وقال : استحب بعض أصحابنا : أن لا يحدث الداعى فى دعائه حالا ، من رفع يدين ولا خفضهما . فإن رفعهما فعلى هيئتهما — على ما قيل .

قال غيره : إن رفع يديه بحذاء وجهه ، مبالغة منه فى الطلب ، فى الدعاء إلى الله ، جاز له ذلك . ولا أعلم عليه شيئا .

وإن كان فى رفعه يديه ، على معنى التحديد لله ، فلا يجوز . وبالله التوفيق .

• • •

الباب التاسع والستون والمائتان

فيما يجوز أن يدعى الله به
وما لا يجوز

أبو الحسن البسياني – قلت : اللهم لا تدَع لى عيباً إلا سترته، ولا كربا إلا كشفته ، ولا ذنبا إلا غفرته ، وأمثال هذا من المطلوب من الدعاء ، يجوز ذلك أم لا ؟

قال : أرجو أن هذا يجوز . وهذا من المطلوب من الله أن يفعله .

مسألة :

وعنه : وفيمن قال : ياغيائى ولجائى ، ويا همى ومنائى ، ويانورى وضيائى .

قال : لم أعلم هذا من دعاء المسلمين .

فأما غيائى ولجائى، فعسى أن يجوز. يقول: أستغيث بك وألتجىء بك . وأما همى ومنائى ونورى وضيائى ، فالله أعلم إلاأنى أقول : إن كان يعنى النور نورا ، يهتدى به من الضلالة . فإن قصد إلى ذلك ، فأرجو أنه يجوز – انقضى .

مسألة :

ولايجوز على الإطلاق : اللهم لاتعرض عني . ويجوز : اللهم ياعظيم الرجاء ، أى عظيم المرجو .

محمد بن الحسن – قلت : هل يجوز فى الدعاء : يارب ارض عنا برضاك وتب علينا بتوبتك أم لا ؟

قال : إنى أكره أن يتكلم المتكلم بذلك لوعوثة لفظه .

وأما إذا أراد : أثبنا بثوابك ، وارحمنا برحمتك ، فقد أصاب ؛ لأن الرضى والتوبة من الله ، رحمة وثواب .

مسألة :

من قال : اللهم اكفنا ظَلَمة خلقك ، يجوز . ومن قال : اعتمادنا بعد الله على فلان ، فإنها كلمة أكره المقال بها ، إلا أن يقول : اعتمادنا على فلان ، بعد توكلنا على الله .

ومن قال : ذهب الله بأصل كذا . فإن كان شيئا قد أهلكه الله . فقال بذلك على وجه الإخبار ، فلا بأس .

وكذلك إذا دعا بذلك ، على أحد من أعداء الله . فقال : ذهب الله بنفسه أو بسمعه أو ببصره ، فلا بأس بذلك .

ومن قال : كسح الله بأثر فلان ، إذا كان ممن يظلم الناس ويؤذيهم .

قال: لا أرى ظاهر اللفظ يصلح . إذا أراد بذلك الهلكة،فلا أراه مأثوما .

ومن قال: طير الله ، ولا طيرك ، أى فعل الله وحكمه ، لافعلك وحكمك .

قال الفراء : الطائر عندهم : العمل. ومنه قول تعالى : « وكلَّ إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » أى عمله .

مسألة :

سألت أبا معاوية : هل يجوز أن يقول الرجل : اللهم صل على محمد ، كما صلت عليه ملائكتك ؟

قال : نعم. ويقال: إنه يقال: اللهم صل على محمد، كما صليت وسلمت وباركت على إبراهيم ، وعلى آل ابراهيم ، فى العالمين ، إنك حميد مجيد . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السبعون والمائتان

فى الحاجات والمآرب والأمور التى يجوز أن يسألها الله تعالى ولا يجـــوز

ومن قال : اللهم اخترنى ، أو اللهم ردنى . أو قال : اللهم عالني على فلان حتى أنتصر منه . أو قال : اللهم ارزقنى مال فلان ، أو زوجة فـلان ، أو خادم فلان ، أو دابة فلان . فلا أرى عليه شيئا من ذلك ، إذا كان معناه ارزقنى مال فلان بالثمن ، من وجه الحلال والشراء ، أو زوجة فلان ، إن طلقها ، أو دابته ، إن باعها .

وأما إذا تمنى على غير هذه الوجه ، من وجه الحسد ، فلا يجوز الحسد لمسلم . وجائز فى الـكافر .

ومن لم يكن له ولد ، فلا يجوز أن يدعو الله : أن يرزقه ولدا ، يحمى ماله عن ورثته . وذلك من كبائر الذنوب وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والسبعون والمائتان

فى سؤال المحال عن حقيقته

من قال : اللهم ارحم النار منى ، فهذ محال ؛ لأن النـار لا عقوبة له عليها . وهى عقوبة للظالمين .

ومن قال : اللهم إن حلمك أضر بنا . فهذا محال ؛ لأن حلم الله عن أساء ، إذا عفا عنه ، ولم يعاقبه ، ويعجل له العقوبة ، فلا يكون هذا الحلم ضرراً .

* * *

الباب الثانى والسبعون والمائتان

فيما يجوز فى الدعاء

وما لا يجوز من أسماء الله الذاتية والفعلية وصفاته الذاتية والفعلية

ولا يجوز أن يقال : يا من ارتدى بالفخر والكبرياء .

ويجوز : اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا .

ومعنى الربيع : الغيث الدائم ، بأنه دعا : أن يديم الذكر فى قلبه . والقرآن كذلك .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : يا مقلبَ القلوب، ثبِّت قلبى على طاعتك .

ولا يجوز أن يقال : يا رب، لا تجرْ علىّ .

مسألة :

أبو سعيد ـ قلت : هل يجوز أن يقال لله أو يدعى : يا حنان، أو يا برهان ، أو يا سلطان ، أو يا عاقل .

قال : أما حنان، فقد عرفنا فى ذلك اختلافا . فكره ذلك من كره .

وقال بعض المسلمين : لا بأس بذلك، لأن ذلك يخرج على وجه الرحمة .

وكذلك الحنان هو الرحمن ، على هذا .

وأما البرهان ، فالبرهان : هو الحجة . والله ذو الحجة . ولا يقال : الحجة برهان الله . ولا يقال : هو الحجة، ولا البرهان .

وأما السلطان ، فهو القدرة . والله ذو القدرة . وهو القادر .

ولا أحب أن يقال لله : سلطان ، ولا برهان .

ويقال : يا ذا السلطان، ويا ذا البرهان .

وأما يا عاقل ، فلا يجوز ، لأنه من أسماء المخلوقين .

ويجوز أن يقال : يا عظيم الرجاء . ولا يجوز أن يقال : إن الله يحتجب عن خلقه ، لأن المحتجب مستتر .

مسألة :

فى قولهم : الله المعين والمسهل .

قال الشيخ أبو أحمد المنذر بن أحمد السرى : المسهل جائز . ورفع عن الشيخ أبى الحسن على بن محمد : أن المعين صفة من صفات الله . وجائز القول بذلك .

مسألة :

فيما يوجد عن أبى عبدالله ـ فى بعض دعائه ـ : يامن هو بكل مكان . ثم قال: ليس للمعنى فى هذا بصورة ، ولا بجنس . ولكن بعلمه، فى كل مكان.

ولا يجوز أن يقال : يا من احتجب بقدرته عن أعين الناظرين ، لأن القدرة ليست هى . وليس هو ممن يتوارى بالحجب .

فإن قال: أفليس قد قال الله تعالى: « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حِجاب» فإن معنى الحجاب: المنع لهم عن رؤيته . وليس من دون الله حجاب يستره .

ولا يجوز أن يقال: يا حنان . ويجوز : اللهم لا تُنسِنا ذكرك .

وجائز : يا ديان ، إن عنَى به متعبدُ عبادَه بدين يعبدونه .

وجائز : يا جبار الجبابرة ؛ لأن الجبار : هو الممتنع . وهو فوق كل جبار وممتنع . وعلى كل جبار ممتنع قاهرٌ .

وقيل : إنه على الإطلاق ، لا يجوز .

وقلت : هل يجوز فى الدعاء : يا حنان يا منان . يا آمين .

فأما يا حنان، فلا يجوز ؛ لأن ذلك مأخوذ من حنين الناقة ، على ولدها .

وأما ديان وأمين فعسى أن يجوز ، إذا قصد بذلك أن يدان له .وآمين : أن يؤمن منه الجور . ولا يقال : ديان لأحد . ولا آمين لأحد .

ولا يجوز : يا من ارتدى بالفخر والكبر .

مسألة :

ومن قال : يارب باسمك الأعظم افعل لى كذا وكذا ، فلا يجوز .

قال المؤلف: ويسأل الله بأسمائه الحسنى . وتأويل ذلك: أن يسأل الله بالأسماء التى سمى بها نفسه . ولا يعنى بذلك : نسألك بحق أسمائك عليك . ولكن يعنى بأسمائه نفسه ، بأنه الرحمن الرحيم الخالق البارىء .

مسألة :

وجائز أن يسأل الخالق : نسألك بك .

قال المؤلف : وسل عن ذلك ، فإن فيها غير هذا . ولا يجوز أن يسأل الله . فيقول : بحقك على نفسك افعل لى كذا .

ولا يجوز بحقك، ولا بسمٰواتك،ولا بوجهك، ولا بقدرتك،ولا بملائكتك وأنبيائك والكعبة والقرآن وعرشك وكرسيك وبجميع خلقك ، ولا بشىء من الحقوق .

ولا يجوز أن يقال : أسألك بأسمائك ، ولـكن أدعوك بأسمائك . ولا يجوز بحق أسمائك .

واختلفوا فيمن يسأله بأفعاله .

وجائز أن يدعى بأسمائه .

ولا يجوز أن يقال : اللهم بقدرتك ، أو بعزتك ، أو بحلمك ، أو بعلمك ، افعل لى كذا وكذا وكذلك بحق قدرتك ، وبحق عزتك ووجهك وأسمائك . فهذا لايجوز ، لأنك تجعل قدرته وعزته غيره ، لأن أسماءه الذاتية وصفاته الذاتية ، لا هى هو ، ولا هى غيره .

فإذا قلت : بحق قدرتك وعزتك ، فـكأنك سألته ببعضه . وتجعل القدرة حقا عليه ـ تعالى الله عن ذلك .

ومن قال : بأسمائك وملائـكتك ، ففيه اختلاف .

واختلفوا فيمن يسأله بأفعاله .

وجائز أن يسأله بأسمائه .

ومن سأل الله بصفات فعله ، ففيه اختلاف

ولايجوز أن يقال : أسألك بلا إله إلا أنت ، ولا بحـق لا إله إلا أنت . ولاأسألك بحق شهادة أن لا إله إلا الله . ولـكن يقال : يا ألله يارحمن يارحيم يارب ياخالق يابارىء يا مصور يامؤمن يا مهيمن . وأمثـال ذلك من أسمائه التى يجوز أن يسمى بها . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والسبعون والمائتان

فى نفس البارىء وذاته يذكره الداعى فى دعائه

وما يجوز من ذلك وما لا يجوز

البسيانى :

قلت : هل يجوز أن يقال فى الدعاء : يا ساكن السماء ، يعنى الله تعالى . فلا يجوز أن يوصف الله بالسكون والنزول فى السماء .

وجائز أن يقال : هو الله فى السماء إله وفى الأرض إله ، من غير أن يعتقد أنه حالٌ فيها . ولكن هو فيها بتدبيره واقتداره والله أعلم .

وكذلك هل يجوز أن يقال : يا من كل مكان منه ملآن ؟

قال: جائز على وجه الإحاطة والتدبير والعلم،لا أنه فيه ملآن شخص ولاجثة.

قلت : فالرجل يقول فى دعائه : الحمد لله حمدا يهنئه ، ويحجرنى عن معاصيه . هل يجوز فى صفة الله التهنئة أم لا يجوز ؟

فذلك عندنا غير جائز على الله أن يهنأ بشىء ، لأنه تعالى غنى . والحمد ممن حمده ، لا يحجر عن معاصيه . إنما الحجر عن المعاصى ، بتوفيق الله .

قلت : فإن كان لا يجوز . فما يكون القائل مشركا ، أو كافراً ؟

فما أقول : إنه يبلغ به إلى الشرك والله أعلم وإن لم يتب ، كان ما أقر به إلى الخطأ والإثم .

قلت : فإن قال : يا طاهر . يعنى بذلك الله هل يجوز هـذا فى صفة الله ؟ وما معنى الطاهر ، من طريق الطهارة ؟

فأما إن كان القائل قصد إلى معنى أن الله طاهر عن الأشيـاء . فعسى ؛ لأن القدوس: هو الطاهر . والتقديس : هو التطهير . والأرض المقدسة : هى المطهرة . فعلى هذا يجوز .

ولايجوز أن يوصف الله ، بغـير ماوصف به نفسه ، فى كتابه ، أو يعرف معنى تأويله . ومعنى مايقول .

قلت : وكذلك يوجد فى بعض الآثار : أنه يستحب أن يقول فى الصلاة : أشهد أن لله ما ادعى ، وأنه برىء ممن تبرأ . هل يحسن هذا ؟ وهـل يجوز أن يوصف الله بالادعاء ، أو يضاف إليه الدعوى، وهو الصادق المصدق، وقوله الحق؟ وإن كان ذلك لايجوز ، ولايحسن . فمـا يخرج عندك تفسير ماذكرت ؛ لأنه يوجد فى الأثر ؟

قال : الذى يجيز ذلك ، وقال به . فلعل معناه فى ذلك، لا يذهب إلى الادعاء والدعوى وإنما يذهب أن لله الخلق والأمر. وله الحـكم ، كما ذكر فى كتابه:أن « له الخلق والأمر » . وأنا شاهد بذلك على ما قال وهذا عندى تفسيره والله أعلم.

وأما من لايجيزه وكرهه ، ولايقول به . ولـكن يقول : أشهد أن له الخلق والأمر والحـكم ، كما ذكر فى كتابه .

قلت : وكذلك إن قال : ياخير الأصحاب ؟

قال : إن عنى بذلك حافظا ومدبراً ، جاز . ولا يجوز على غـير هذا المعنى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والسبعون والمائتان

فيما يجوز فى الدعاء وما لا يجوز

أبو الحسن البسيانى ـ قلت : هل يجوز أن يقول الإنسان فى دعائه : الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ؟

قال : بهذا نطق كتاب الله . وجائز القول به .

والموجود فى الأثر : انظر إلى من فضلت عليه ، واحمد الله . ولا تنظر إلى من فوقك ، فيما أوتى من الدنيا ، فقد أخبر الله نبيه ﷺ ، بقول داود وسليمان ، إذ قال: « ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » فحمدا الله ، على ما فضلهما فى الملك والنبوة ، وآتاهما ما لم يؤت غيرهما من المؤمنين . فذلك يجوز على هذا ، إذا رأى فضل الله عليه ، حمد الله .

قلت : وكذلك يقول فى دعائه ، فى آخر صلاته : أشهد أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، أم إنما هو خاص للأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ولمن صحت سعادته ؛ لأنه مما يدخل فى تزكية النفس ، أم ما عندك فى ذلك ؟

قال : عندى فى ذلك أن ذلك جائز ، إذا دعا به الداعى ، على وجه التذلل لله . وأنه قد أسلم ذلك لله فى طاعته ، لا يعتقد ذلك تزكية لنفسه . ولا يقول إلا كما جاء به القرآن فلا يقول : أشهد على وجه العلم بالتزكية . ولكن على وجه : إنى أجمل ذلك لله فى طاعته ، لاشريك له . ولا أحب أن يقول: أشهد. ولكن يقول : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ـ كما جاء به القرآن .

قلت : والداعى يقول فى دعائه : اللهم لا تخزنى بالبلاء . هـل يجوز هذا فى الدعاء ؟ وإن كان لا يجوز ، فما يكون حال قائله ؟ وما تـكون منزلته ؟

فالذى أنا عليه : أن الله تعالى لا تضاف إليه التخزية بالبلاء ، ولا غـيره . وإنما يفعل بعباده ، ما قد علم وشاء ، لا من وجه التخزية . والقائل لذلك جافٍ فى دينه ، بقوله ذلك ؛ إن لم يتب .

قال : جائز أن يقال لله تعالى : يا رب الأرباب ـ انقضى .

ولا يجوز على الإطلاق : اللهم لا تعرض عنى .

ولا يجوز: اللهم لا تجرْ علىّ، ولا تظلمنى . وإن كان معلوماً : أن الله لا يفعل شيئا من ذلك .

بشير ـ قال : يجوز أن يقول : اللهم حل بينى وبين الشيطان .

ويقال : إن الله حال بين المؤمنين . وبين الـكفر .

ومعنى ذلك : أنه أمرهم بالإيمان ، ونهاهم عن الـكفر .

ومن قال: اللهم لا تُنسنا ذكرك ، ولا تولنا غيرك. فليقل ذلك، على معنى : لا تحل بيننا وبين طاعتك ، كقوله تعالى : « ربنـا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » يقول : إن الله لم يحملهم ما لا طاقة لهم به . ولـكن يقـول : اللهم لا تفعل بنا ما يحول بيننا وبين طاعتك . وقوله تعالى : « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » إنما هو يأمرهم بالدعاء .

وقال فى موضع آخر : لا تولنا غيرك . لا يجوز والله أعلم .

ويجوز أن يقول : اللهم لا تجعلنا خلقا خلقته للنار .

وجائز : اللهم اعزم لى على الخير .

ويقال : أنت عفو فاعف عني . فيسأل بالأفضل .

ولا يقال : أنت عدل فتفضل عليّ . وأنت تعذب ، فارحمنى .

ولا يجوز : أعرض الله عنك ، ولا أقبل الله إليك .

ولا يجوز : اللهم حمِّل عليّ . ويجوز : أعوذ بالله من نقمه وابتلائه .

وقول من قال : اللهم أجرنى من عذاب النار ، أو أغننى من الظلَمة ، وأجرنى منهم . فكل ذلك ما عرفت به بأسا . والله أعلم .

ويجوز : اللهم يسر لنا . وكره من كره . ولا تعسر علينا .

ويجوز فى صفة الله : أن يقال : ياذا المدعو . وأن يقال : ياذا الخلق . وذلك مثل قوله : ياذا العرش .

ويجوز أن يدعى : اللهم تحمل عنى ذنوبى ، واحمل عنى ذنوبى ، على معنى العفو عنه . ليس أن يشبه بالخلق ، من الحمل — تعالى الله عن ذلك . وهذا يخرج على المجاز .

وكذلك يجوز أن يقال : اللهم زدنى خيرا ، على معنى المجاز ؛ لأن هذا المعقول من القول . وإرادة الله ، قد تقدمت ، فيما أراد — تبارك وتعالى .

مسألة :

هذا مما عرض على أبى سعيد ، فرآه صوابا :

يامن هو تحت كل شىء ؛ وليس له تحت . ويامن هو فوق كل شىء ، وليس له فوق . ويامن هو أول كل شىء ، وليس له أول . ويا من هو آخر كل شىء ، وليس له آخر .

قال المؤلف : سل عن الصفة لله ، بأنه تحت ، فإنها كلمة جافية ، لأني وجدت النهى عن القول : يامن هو تحت كل شيء ، فلا يحسن أن يقال : إن الله تحت كل شيء ، كما يحسن أن يقال : فوق كل شيء .

مسألة :

ومن جوابات لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن غسان ـ قلت : هل يجوز فى الدعاء : يا رب ارض عنا برضاك ، وتب علينا بتوبتك ؟ أم لا يجوز ذلك ؟

قال : إنى لأكره أن يتكلم المتكلم بذلك ، لمشوثة لفظه . فأما إذا أراد أثبنا ثوابك ، وارحمنا برحمتك ، فقد أصاب، لأن الرضى والتوبة من الله، رحمة وثواب.

ويجوز أن يقال : يارب لا ترزقنى الحرام ، ولا تطعمنى إياه أم لا ؟

بل جايز له ذلك أن يسأل الله : أن لا يجعله من أهل الكفر والمعاصى . لأن الحرام هو رزق الله . فما أكله رزق الغذاء ، لارزق التمليك، ولا رازق غير الله ، ولامطعم غيره .

مسألة :

فيمن يقول : اللهم اعزم لنا بالخير :

قال : أرجو أنه يجوز ، لسعة اللغة ، فى معني الإرادة . ومكروه أن يقال : فال الله ولا فالك : وقوله : ماعندى قليل الله ، ولا كثيره ، من الجنس الذى طلب إليه . فإذا صدق فى إخباره ، فلا أرى عليه بأسا .

مسألة :

وهل يجوز أن يقال لله : أرحم الرحماء ، وأعلم العلماء أم لا ؟

لا أرى جواز الوصف له ، إلا بما وصف نفسه : أنه أرحم الراحمين . وأما قوله : أعلم العلماء ، فقد أصاب . وإن أراد به يعلم ، ولا يعلمون . فجائز . ولا يجوز التشبيه له بخلقه .

ولا يجوز : ياغياث المستغيثين . ولكن يقول : يامن هو غياث المستغيثين. ويا من يستغاث به . والله أعلم .

ولا يجوز أن يقال : اللهم اكفنا ظَلَمة خلقك .

وقيل : يجوز .

وعن أبي سعيد ـ في قول الداعي ـ : اللهم لاتطعمنا الحرام ، إنها كلمة جافية ، لاتجوز . وأحب أن يدعى بغيرها وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والسبعون والمائتان

فى الاستخارة والاستشارة

أبو الحسن البسيانى ـ وعن الداعى . هل يجوز أن يقول فى دعائه : اللهم إن كان هذا الأمر خيرا ، فاقضه لى . وإن كان شرا ، فاصرفه عنى ، فى أمر قد خشى منه الضرر ، ورجا منه النفع ؟ وهل يجوز أن يدعو على سبيل الشريطة ؟ فإنى قد وجدت فى بعض الآثار : ينهى عن ذلك ، ويؤمر أن يدعَى بالقطع ويسأله أن يجعل له فى ذلك الخيرة . ويقول : اللهم افعل لى كذا وكذا . واجعل لى فيه الخيرة . فما كان معك فى ذلك ، أو سمعت فيه ؟

قال : أرى أنه جائز أن يدعو على وجه السؤال . وقد قيل : بإجازته على ما وصفت . إن كان خيرا ، فاقضه . وإن كان شرا فاصرفه .

والناس مختلفون فى أمر الدعاء .

فمنهم : من أجاز على الشريطة والتقييد .

ومنهم : من لم يجز ذلك .

والذى وجدت فى الآثار : أن يدعو ويسأله الخيرة . فذلك جائز حسن

والذى أقول به : أن يسأل الله ، ويدعوه ، على وجه التضرع ، والرغبة إليه . ويسأله أن يقضى له ، بما هو خير .

وقوله : اللهم إنى أستخيرك فجائز .

ولايجوز : اللهم إنى أستشيرك والاستشارة على الله لايجوز ؛ لأنهـا من صفات المخلوقين .

قال غيره : إذا أردت أن تستخير الله تعالى ، تقول : أستخير الله . ثم أستشير الناس .

قال المؤلف : أستخير ـ بالخاء المعجمة لا بالجيم ـ وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والسبعون والمائتان

في السؤال بأسمائه التي دعاه بها أنبياؤه ـ عليهم السلام

ومن قال في دعائه : اللهم إني أسألك بالاسم الذي دعاك به موسى، وبالاسم الذي دعاك به عيسى ، فلا يجوز .

ومن قال : أسألك بما سألك به محمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم ، فإن هذا لا يجوز . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والسبعون والمائتان

فيما يدعَى الله به على الحقيقة والمجاز وأحكام ذلك

ومن قال : إنه تعالى ذخر ، وسند له ـ بالنون ، فمجاز وحقيقة .

ومن قال : ياخير الأصحاب ، يعنى بذلك ، حافظا ومدبرا ، جاز. ولا يجوز على غير هذا المعنى .

ولا يجوز ياصاحب المؤمنين ، على الحقيقة . وإنما يقـال للإنسان : صحبك الله ـ توسعاً ـ يراد : سلمك الله .

ويقال : يا سيد كل سيد ، ومولى كل مولى ـ على المجاز . ورب الأرباب ـ على المجاز ؛ لأن من ملك شيئا ، سمى ربهم ـ فى اللغة . والله تعـالى هو المالك فى الحقيقة . ويوصف ، بأنه تعالى حافظ وراع وحارس ، وإن كان استعماله قليلا . والحراسة والرعاية حقيقتان . فلهذا وصفناه بهما . وكفيل وضامن صحيح يقال: تكفل الله بأرزاق العباد ، وضمن المؤمن بالجنة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والسبعون والمائتان

فيمن يسأل الله برحمته وفضله وكرمه

من قال : اللهم ارحمنى برحمتك ، ففيه اختلاف .

وكتب بعض المسلمين إلى بعض :

عاملنا الله وإياك برحمته .

مسألة :

وما عندك . هل يجوز أن يسأل العبد خالقَه بفضله ومنّه ، وكرمه ورحمته . فيقول : وقنا برحمتك عذاب النار ؟ ويقال : أنعم علينا بهدايتك ، وتفضل علينا بعفوك ؟

الجواب : قد عرفت جواز ذلك ؛ لقول الله تعالى : « وقنا عذاب النار » . وقد قال : « واسألوا الله من فضله » وقال : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » .

وإذا سأل الله : أن يمن بعفوه ورحمته وهدايته ، على عبده ، فذلك جائز ؛ لأن مسألته إنما يريد بذلك ، أن يمن عليه بذلك، لا أنه يسأله برحمته وعفوه وهدايته ، متوسلا إلى الله تعالى . فذلك لا يجوز والله أعلم .

وفيمن يقول : اللهم ارحمنى برحمتك ، وتب علىّ بتوبتك .

قال بعض : لا أرى بذلك بأساً ، على استنباط المعنى ، لأن المراد بذلك: اللهم أصبنى برحمتك ، وأمسسنى نعمتك .

قال الشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى: وجدت فى جواز ذلك اختلافا .

ولا يجوز أن يقال : اللهم ارحمنى برحمتك .

قال المؤلف : قد تقدم الاختلاف فى ذلك . ولعل ذلك إذا سأله مستشفعا إليه برحمته ، ومتوسلا .

وأما إذا قال : أصبنى برحمتك ، يسأله أن يرحمه . فذلك جائز . والله أعلم .

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة : وكل شىء يسأله السائل ربه أن يفعله ، فهو على ضربين: أحدهما : شىء من حكم الله ، أن يفعله ، دعا به الداعى ، أو لم يدع به . وشىء من حكم الله أن لا يفعله إلا بعد دعائه .

فأما الذى هو من حكمه ، أن يفعله ، دعا به الداعى ، أو لم يدع . فـكالذى حكاه الله ، من دعاء الملائـكة ـ عليهم السلام ـ فقال : « ربنـا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » الآية . وقد علمنا أن الله يدخل المؤمنين الجنة ، وأنه يغفر للذين تابوا ، دعا بذلك داع ، أو لم يدع .

وأما الضرب الذى ليس من حكم الله ، أن يفعله إلا بعد الدعاء ، كدعاء الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ للأشياء التى لولا دعاؤهم بها ، لم يتفق كونها ، على سبيل ما اتفقت عليه من الـكثرة ومقادير الأوقات ، لعلم الله تعالى ، بأن ذلك لا يكون موجبا للحجة . ولا واقعا المصلحة ، إلا بأن يكون بعد ذلك الدعاء .

وقد علمنا أن المسلمين يوجهون دعاءهم إلى الله ، فى النصرة على المشركين ، وفى استسقاء الغيث ، وفى كشف ما كان من المـكاره ، وفيما أشبه ذلك . وجرى

مجراه ، رغبة إلى الله تعالى، وطمعا أن يكون اجتهادهم ، سببا لاجتلاب ما سألوا.

فقد دل ذلك على أن من الدعاء ، ما لو لم يكن الشيء المسئول فيه. وإن كنا لانعرف كل شيء من ذلك بعينه ، مما سواه .

ولكنا نعلم فى الجملة : أن مما ندعو به: أن الله يفعله، دعونا به، أو لم ندع به.

ومنه : ما نعلم أن الله تعالى، لايفعله إلا بعد أن ندعوَ به .

ومنه : ما لا ندرى ، من أى الصنفين هو ؟ فنحن ندعو به ، لحسن الدعاء فى ذلك ، من الوجهين جميعا .

قال المؤلف : ولعل ها هنا وجها ثالثا ، أغفله أبو محمد ، حتى قال : إن الدعاء على وجهين وهما اللذان ذكرهما .

والوجه الثالث الذى عندى . وهو الذى غفل الشيخ أبو محمد أن يذكره : هو شيء من حكم الله، فى علمه أنه لايفعله. دعابه الداعى، أو لم يدع به ، لأنه لو أن أحدا دعا ربه : أن يزيل له البحور من أماكنها ، لم يشأ الله ذلك ، وأن يأتى بالقيامة قبل وقتها، ويميت له من لم يشأ الله يميته بعد ، أو يحيى له ، من قد مات ، ممن سبق فى علم الله : أنه لايحييه إلا يوم القيامة ، أو يسأله أن يسقط السماء على الأرض ، أو يجعل عمره مائة ألف سنة ، أو نحو هذا ، مما لم يكن سابقا ذلك فى علم الله تعالى ، لم يجب السائل فى ذلك . دعا به الداعى ، أو لم يدع ؛ لأنه ليس الدعاء إلا على الوجهين اللذين ذكرهما الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة فقط ؛ لأن هذا الوجه الثالث الذى ذكرناه ، شاهر ظاهر ، لايرده راد ، لصحته وثبوته . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والسبعون والمائتان

فيمن يسأل الله تعالى بحق أنبيائه عليه أو بحرمتهم أو أحد من خلقه

من جوابات أبي الحواري :

وعمن دعا الله فقال : بحق محمد عليك ، أو بحق الأنبياء والملائكة عليك هل يجوز أن يدعو بهذا الدعاء ؟

فالذي بلغنا عن محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ : أنه كان يقول: يقال: بحرمة الأنبياء والملائكة ، بحرمتهم عليك .

ومن قال : بحق لم نقل: إنه أخطأ .

وأولى ما اتبع : قول العلماء : وبحرمة . هو أحب إلينا .

قال المؤلف : بحق محمد ، لايجوز في قول بعض .

وكذلك من دعا الله فقال: بحق أنبيائك عليك، وبحق رسلك وملائكتك عليك . فهذا لا يجوز .

قال الشيخ أبو بكر : إلا أن يريد بذلك الاستشفاع بهم إلى الله . فعلى هذا الوجه يجوز .

مسألة :

قال أبو محمد : واختلفوا فيمن يسأله بفعله .

فأما أفعاله ، فمثل بحق أنبيائك افعل لي كذا وكذا .

فعلى قول من أجاز ذلك قال : من فضل الشفيع على من يشفع إليه .

وأما قول من لا يرى ذلك . فيقول : لا حق لأحد عليه . وحقه على عباده .

قال أبو سعيد : معى أنه يخرج نحو هذا ، على بعض ما قيل : ولأنبيائه تبارك وتعالى الحق فى دينه ، بما جعل لهم من الحق . وقد قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وليس لأحد من خلقه عليه حق ، إلا ما جعل بفضله لهم . والحق له تبارك وتعالى ، على عباده وخلقه : أن يوجبوا حق ما جعلهم لعباده ، من الحق فى دينه ، من نبى أو إمام ، أو غيرهم ، من ذوى الحقوق فى دين الله . وهذا جائز فى مجاز الكلام . وغير معلق ، على معنى : أن على الله حقا لعباده ، على اللزوم به لهم ـ جل الله عن ذلك وعز .

مسألة :

جائز أن يُسأل الخالق . فيقال : نسألك بك ، ونسألك بحق السائلين عليك . وذلك أن حق الله أن يطيعوه . وحق الخلق على الله : أن يثيبهم ، إذا أطاعوه . فيسأل الخالق بذلك الحق ، ويسأل الخلق بحق الله .

قال المؤلف : نسألك بك .

قيل : لا يجوز .

مسألة :

ومن قال : بحق يوم الجمعة ، وبحق حرمة رمضان .

فبعض أجاز ذلك .

وكرهه آخرون . ولم يروه .

ولا يقال : نسألك بحق محمد . ولكن بحرمة محمد ولا يجوز أن يسأل الله

بملائكته وأنبيائه والكعبة والقرآن وعرشه وكرسيه ، وبجميع خلقه ، ولا بشيء من الحقوق .

وأما بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق محمد عليك ، وبرحمتك وبلطفك . ففيه اختلاف .

فنهم : من أجاز ذلك ، على نحو ما يستشفع إلى الله ، بصفات أفعاله برسله وأنبيائه ، من فضل الشفيع ، على من يشفع له ؛ لأنهم أجل شأنا عنده ، وأعظم مقدارا . والله أعلم .

وقال قوم : لايجوز أن يسأل الله تعالى بشيء ، من هذا؛ لأن الله ليس لمخلوق وعليه حق ، من النبيين والمرسلين ، ولا الملائكة المقربين . فيسأل بحقهم . وإنما الحق له على خلقه. والفضل منه عليهم ــ عز وجل ــ من أن يكون لمخلوق عليه حق. فيكون مانًا عليه بذلك . والله أعلم . وبه التوفيق .

* * *

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٤٠٦
الرقم الخاص : ٢١٤/١

الباب الثمانون والمائتان

فى إجابة الدعاء ورده وسرعته وتأخيره

قال الله تعالى : «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» . وقال : « ادعونى أستجب لكم » .

ومن كتاب الثعلبى :

قال بعضهم - فى معنى الآيتين : الدعاء - هاهنا - : الطاعة . ومعنى الإجابة: الثواب . كأنه قال : أجيب دعوة الداعى ، بالثواب ، إذا أطاعنى .

وقال بعضهم : معنى الآيتين خاص . وإن كان لفظهما عاما ، تقديرهما: أجيب دعوة الداعى - إن شئتُ . وأجيب دعوة الداعى - إذا وافق القضاء . وأجيب دعوة الداعى - إذا لم يسأل محالا . وأجيب دعوة الداعى - إذا كانت الإجابة له .

قال المؤلف: هذا القول حسن أن يكون شيء ، أو لا يكون، إلا بمشيئة الله، وقضائه وقدره .

رجع : - يدل عليه : ما أخبرنا بإسناد ، عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم دعا بدعوة ، ليس فيها قطيعة رحم ، ولا إثم ، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل دعوته ، وإما أن يدخر له فى الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها .

قالوا : يارسول الله إذاً نكثر .

قال : الله أكثر .

وقال بعضهم : هو عام . وليس فى الآية أكثر من إجابة الدعوة .

فأما إعطاؤه المُنْية ، وقضاء الحاجة ، فليس بمذكور فى الآية . وقد يجيب السيد عبده ، والوالد ولده ، ثم لا يعطيه . فالإجابة كانت لا محالة ، عند حصول الدعوة ؛ لأن قوله : أجيب وأستجيب خبر . والخبر لا يعترض عليه النسخ ؛ لأنه إذا نسخ صار الخبر كذابا . وتعالى الله عن ذلك . وأن الله تعالى يقول لداود عليه الصلاة والسلام : قل للظالمين أن لايدعونى ، فإنى أوجبت على نفسى أن أجيب من دعانى ، وأنى إذا أجبت الظالمين لعنتهم .

وقيل : إن الله يجيب دعوة المؤمن فى الوقت ، إلا أنه يؤخر عنه إعطاء مراده ، ليدعوه ، فيسمع صوته . يدل عليه ، ماروى بإسنادعن جابر بن عبد الله. قال : قال رسول الله ﷺ : إن العبد ليدعو الله وهو يحبه . فيقول لجبريل — عليه السلام : اقض لعبدى هذا حاجته وأخرها ؛ فإنى أحب أن أسمع صوته . وإن العبد ليدعو الله ، وهو يبغضه . فيقول لجبريل عليه السلام : اقض لعبدى هذا حاجته ، وعجلها ؛ فإنى أكره أن أسمع صوته .

وقال بعضهم : إن للإجابة أساسا وشرائط . هى أساس الإجابة ، ونيل المنية . فمن راعاها واستكملها ، كان من أهل الإجابة . ومن أغفلها وأخل بها ، فهو من أهل الاعتداء فى الدعاء ، وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثمانون والمائتان

فيمن يذكر الله بلا معنى
ويدعوه بلا معنى
ويذكره فى غير موضع الذكر

عن أبى المنذر سلمة بن مسلم ـ هل يجوز أن يذكر الله بلا معنى ، ولا اعتقاد، أو يتكلم بكلام بلا معنى ، ولا اعتقاد ، أو يفعل فعلا بلا اعتقاد ؟ وإن فعل فعلا أو تـكلم بلا نية ، يأثم أم لا ؟

قال : لا يجوز أن يلفظ بشىء بلا معنى له . فإن ما لا معنى له ، يكون لغوا ، لا طاعة . وما لم يكن طاعة ، فقد قيل : يكون معصية .

قال المؤلف : حفظت فى هذه المسألة نفسها من آثار المسلمين : أنه لا يجوز أن يذكر الله بلا معنى ، ولا يدعو بلا معنى ، ويذكر بلا معنى . وأن لا يتخذ البارىء ـ عز وجل ، ولا آياته هزوا ، وأن لا يدعو بكلام ، لا يعرف معناه ، ولا جوازه . والله أعلم . وبه التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثمانون والمائتان

فى الصفات ومعانيها وأقسامها وأحكام الصفات

الصفة هى: الشيء الذى يوجد بالموصوف فيكتسبه الوصف، الذى هو النعت، الصادر عن الصفة .

وقيل : الصفة : ما تخلّص الموصوف من غيره ، وتمييزه مما يلتبس به .

قال : والصحيح : ما أوجبتْ حكما للموصوف.

وقيل : الصفة : ما له كان الموصوف موصوفاً .

وحد الموصوف : ماله صفة ؛ لأن ما ليس له صفة ، فليس بموصوف.

مسألة :

فى الصفة والوصف :

الوصف : قول الواصف لله تعالى ، أو لغير الله : بأنه عالم قادر . وهو كلام مسموع . وقد يكون عبارة عنه .

وقوله : زيد حى عالم ، وصف له ، وخبر عنه ، عن كونه على ما اقتضاه. وهو قول يدخله الصدق والكذب . والعلم والقدرة : صفتان موجودتان ، بذات زيد . والوصف : قول الواصف .

فإذا كان الواصف لنفسه ، هو الله تعالى : بأنه حى عالم ، كان وصفه لنفسه معنى ، ليس هو علمه وحياته . ولا هو غيرهما ، لاستحالة وصف صفاته بالمغايرة .

وإذا كان وصفه لنفسه ، وصفا لصفات أفعاله ، نحو قوله : إنى خالق رازق محسن . فهذه الصفات ، التى هى الخلق والرزق والعدل ، غير الموصـوف ؛ لأنها أفعال . وهى محدثات . والوصف الذى هو : قول : خالق رازق محسن مفضل ، من صفات الذات ، موجودة مع عدم الأفعال .

وإن كان الوصف لنفسه محدثاً ، فإن وصفه لنفسه ، بأنه عالم ، غـير صفاته التى هى أفعاله ؛ لأن جميع صفات الإنسان محدثة . وكلامه الذى هو وصف لنفسه محدث . وهما غيره .

مسألة :

كل وصف صفة ، من حيث كان قولا وكلاما ، ومكتسبا، المتـكلم المخبر عنه حكما وإن لم يجب أن يكون كل صفة وصفا ؛ لأن العلم والقدرة والسواد والبياض ليست بوصف لشىء ، ولا خبر عن معنى من المعانى .

وزعمت المعتزلة : أن الصفة والوصف ، بمعنى واحد. هذا حق ؛ لاجتماع أهل اللغة : أن الصفة هى النعت ،

وذلك على أضرب: صفة خلقة لازمة ، نحو أسود وأبيض ، وطويل وقصير .

وصفة حرفة ، نحو كاتب وحداد وبزاز .

وصفة دين، نحو مؤمن وكافر .

وصفة لنسب، نحو عربى وعجمى وفى هذا دليل، على أن الصفات هى المعانى.

ولأن قول القائل إذا قال : فلان له علم بالـكتابة والفقه . وفلان له عقل حسن . وفلان له خلق قبيح. تعالى وصفه بمعان موجودة ، أولاها ما صح وصفه بها .

وقول الواصف ، ليس بصفة على الحقيقة إذ لا يصح أن يعلم بمعنى يوجد بغيره ولأن ما قالوه ، يؤدى إلى أن يكون البارىء – تعالى فيما لم يزل بلا صفة، ولا اسم حتى أحدث الخلق ، وأحدثوا له أسماء وصفات . فإذا أفنى الخلقَ ، يبقى سبحانه بلا صفة ولا اسم – تعالى الله عن ذلك .

مسألة :

فى دليل قول من قال : إن الصفة والوصف واحد . استدلوا على أن الصفة هى نفس الوصف الذى هو القول : بأن أهل العربية قالوا : إن الوصف والصفة ، بمعنى واحد ، وأنهما بمنزلة الوجه والجهة ، والوزن والزنة ، والوعد والعدة .

قالوا : وأيضا دليل آخر : أن المعانى الموجودة بالذوات ، من العلوم والقدر والحركات ، ليست بصفات فى الحقيقة . وأن الصفة : هى قول الواصف ، إجماع الأمة على أن الله ، إذا قال: إن الجسم عالم أسود متحرك ، فقد وصفه بهذا القول. وإذا خلق فيه العلم والقدرة والسواد والحركة ، لم يكن واصفا له ، عند أحد من الأمة . فيجب أن تكون الصفة هى . فما يكون الواصف لها واصفا ، دون ما لا يكون كذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والثمانون والمائتان

في الدليل على أن الله تعالى لا يوصف بصفة إلا بعد أن يعرف ما معنى ما يتكلم به ويوصف به البارىء تعالى أو غيره وأحكام ذلك

لا يجوز أن يوصف الموصوف بصفة ، إلا بعد أن يعرف معناها ، وما يريد أن يصفه بها . ألا ترى أنه لايجوز أن يوصف زيد بأنه طويل ، إلا بعد أن يعرف معنى الطول . ما هو ، ويعرف زيداً .

مسألة :

عن أبي محمد ـ إن قال قائل : هل له صفة تعرف ؟

فقال : نعم . من صفته عز وجل ـ التي يعرف بها : أنه واحد قادر عالم سميع بصير فاعل، لم يزل موجوداً ، ليس كمثله شيء . فهذه صفته ـ تبارك وتعالى .

وأما إن قال : هل له هيئة ، أو حد أو صورة ؟ فهذا فاسد . ولا يجوز أن يوصف الله بذلك .

مسألة :

قال الشيخ أبو الحسن البسياني : جائز أن يوصف الله تعالى ، بما وصف به نفسه ، وإن لم يعرف معنى ذلك . ولا تفسيره وأجاز الوصف لله تعالى: بأنه حسيب وحفيظ ، وعلى كل شيء وكيل ، بما ذكره الله تعالى وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والثمانون والمائتان

فيما يجوز من الصفات حقيقة ومجازا
وما يجوز أن يوصف الله تعالى به
وما لا يجوز

قال المؤلف : وإنما كتبنا فى هذا الباب ، ما لم نعلقه ، فى متقدم الكتاب . وما كتبناه أولا ، إلا وقد كفى عن إعادته ، فى هذا الباب .

الضياء :

وجائز أن يوصف الله تعالى : بأنه عارف بالأشياء ، كما يقال : إنه عالم بها ، لأن العلم هو المعرفة . والعالم بالشىء ، فى الشاهد : هو العارف به .

قال المؤلف : ورد هذا القول ـ أبو سعيد ، فى جامع ابن جعفر .

مسألة :

وجائز أن يقال لله تعالى : يدرى الأشياء ، كما يقال : إنه يعلمها .

وقيل: لا يجوز ذلك. ويوصف الله تعالى، بأنه مطلع على العباد ، وعلى أعمالهم ـ توسعا . ويراد أنه عالم بهم ، وبأعمالهم .

وقيل له : مطلع ، على المجاز ؛ لأن المطلع منا على الشىء ، من فوقه ، يكون أعلم به ، وأولى بأن لا يخفى عليه منه شىء . فلما أن كان الله بالأشياء كلها عالما ، بما لا يخفى عليه شىء منها . قيل له : إنه مطلع عليها ، مجازا .

مسألة :

وجائز أن يوصف الله تعالى : بأنه يحب ويبغض .

ومعنى الوصف له بالمحبة : هو معنى الوصف له بالإرادة .

ومعنى الوصف له بالبغض : هو معنى الوصف له بالكراهية .

وذلك أن كل ما كره الله ، كونه من العباد، فهو مبغض كونه منهم. وكل ما أراد الله كونه من العباد ، فقد أحب كونه منهم. وكل من أراد إكرامه من عباده، فهو له محب .

وإرادته لإكرامه ولتعظيمه، : هي محبته لإكرامه واتعظيمه . وهي محبته له .

وكراهيته لإكرامه واتعظيمه : هي بغضه لإكرامه واتعظيمه . وهي بغضه له ؛ لأنه ليس معنى حب الله العباد ، إلا حبه لإكرامهم ولتعظيمهم . وليس بغضه لهم إلا ضد ذلك .

ويوصف الله : بأنه مصلح ؛ لأن فاعل الصلاح ، يسمى مصلحاً . ويوصف بأنه مفضِّل، بما فضل به غيره، من العباد . ومن فعل الفضل ، سمى مفضِّلا . ويوصف بأنه خير ، لأن فاعل الخير إذا كثر منه ، استحق أن يقال له : خير . فلما كان فعل الخير من الله موجودا ، وجب أن يسمى خيراً.

ويقال: إن الله أصلح لنا من غيره ، وخير لنا من غيره . وهذا القول أيضا ـ توسع . والمراد به : نعمه وخيره وفضله . ويقال: إن الله تعالى خير أفعال منك .

ويقال : إن الله قد فعل الشدائد والآلام . وليست بشر على الحقيقة .

وقوله تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » وقوله : « هل أنبئكم بشر من

ذلك» فهو شدائد ومصائب. وليس بشر على الحقيقة وقوله: شر ـ مجاز وتوسع. وإرادته أنه ضرر وشدائد؛ لأن الشر هو عبث وفساد. وفاعله شرير، إذا كثر ذلك منه. وجمع فاعل الشر، هم الأشرار. والله تعالى يجل عن أن يكون شريرا، ويكون مع الأشرار. فصح بهذا أن الله لايفعل الشر، على الحقيقة. وسؤالهم عن عذاب جهنم خير، أو شر. فهو عدل وحكمة.

مسألة:

ويوصف الله تعالى: بأنه مختار. ومعناه: أنه مريد له، إذ لم يكن مُلجأ إلى ما أراده، ولا مضطرا إليه.

والإرادة: هى الاختيار فى اللغة، فى وصفنا له تعالى بذلك، وفى وصفنا لغيره إذا كانت على ماوصفنا، من زوال الإلجاء والاضطرار إليها.

ويقال: إن اختيار الله الذى اختاره، غير المختار، كما أن الإرادة غير المراد، من الله تعالى، ومن العباد.

وقيل: إن الله لايوصف، بأنه يختار، من وجه الجهل، لجهله وقلة علمه بالأجود وفى القرآن، ما يؤيد القول الأول: قوله تعالى: « وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » ما كان لهم أن يختاروا هم. واختيار الله للأنبياء عليهم السلام ـ هو اختياره لإرسالهم إلى العباد، اختيارا لهم ـ فى سعة اللغة.

فإن قال: أفاصطفاء الله الأنبياء، هو اختياره لهم؟

قيل له: اصطفاؤه إياهم: هو اختصاصه إياهم بها. فليس معنى الاصطفاء، معنى الاختيار.

مسألة :

ويقال : إن الإنسان يكون خليلا لله .

ومعنى الخلة : الاختصاص .

فمن اختصه الله برسالته ووحيه ، وأفضى إليــه من ذلك ، ما لم يفض به إلى غيره من الناس ، كان لله خليلا ؛ لأن الله تعالى قد اختصه ، بما وصفنا .

ولهذا كان إبراهيم خليلا لله ، إذ كان قد اختصه، بما لم يؤته غيره من الناس . ولهذا كان الرجلان ، إذا اختص بعضهما ببعض ، وأفضى كل واحــد منهما إلى صاحبه ، بما لم يفض به إلى غيره ، سمى خليلا له ـ فى اللغة .

ولا يجوز أن يقال: إن الله خليل لأحد من أنبيائه ورسله وخلقه ـ على الحقيقة لأن الخليل فى اللغة : إنما هو خاصته الذى يفضى إليه بأسراره وأمره، دون غيره ، لأنهم لم يختصوا الله تعالى بشىء ، فيكون لذلك خليلا لهم ، كما كانوا أخلاءه ، لما اختصهم به ، من الوحى والرسالة . وجميع الأنبياء أخلاء لله ، لهذا المعنى .

ويقال للإنسان : خليل ، على معنى حبيب ـ فى سعة اللغــة . وهذا هو مجاز لا حقيقة ؛ لأنه لو كان الحبيب خليلا ، على الحقيقة، لـكان المؤمنون جميعاً أخلاء لله ، كما أنهم أحباؤه . وهذا غير صحيح ، ولا شائع فى حقيقة اللغة .

ولا يجوز أن يتخذ الله صديقا من خلقه ، فيكون صديقا للمؤمنين . والمؤمنون له أصدقاء . والفرق بينهما ، يعني بين الصديق والخليل : أن الصديق فى اللغة : أن يصدق صاحبه، بالود والمحبة، وأن يكون ضمير كل واحد منهما لصاحبه ، كعلانيته

فلما لم يجز أن يوصف الله تعالى، بأن سريرته للأنبياء كعلانيته . وإنما يظهر

لهم كما يظهر، إذا كان الضمير والطوية ، لايجوزان عليه، لم يجز أن يكون صديقا لهم ، بتخفيف الدال .

ويقال : إن الله ناصر المؤمنين .

ومعنى ذلك: دفعه المكاره والشدائد والهوان عنهم، ليعزهم بذلك، ويكرمهم. وهذا هو النصرة المعقولة بيننا فى الشاهد .

ويقال : إن الله يخذل الكافرين والفساق .

ومعنى ذلك : هو ضد النصرة . وهو أن لاينجيهم من الهوان والشدائد ، وأن يفعل بهم ، ما يقعون معه ، فى الشدائد والهوان .

ويقال: إنه يوفق المؤمنين .

ومعنى ذلك: أنه فعل بهم فعلا ، اتفق به لهم فعل الإيمان .

والتوفيق فى اللغة : أن الشىء الذى هو توفيق ، هو متفق لصاحبه لا محالة .

وذلك أنهم إذا قالوا : وفق الله لنا لقاء فلان، فلا يجوز فى كلامهم أن يقول القائل: وفق الله لى لقاء فلان . وهو لم يلقه ، ولا أنه لم يوفق لقاءه. وهو قد لقيه . فصح بهذا أن صفة التوفيق ـ على ما وصفنا ـ أن للفعل الذى هو توفيق له ، هو متفق لصاحبه .

ويقال : إنه تعالى مسدد المؤمنين ، ومرشد لهم، ومصلح لهم .

ومعنى ذلك واحد ، إذا عنينا الصلاح الذى هو الإيمان ، لأن الرشد هو الإيمان . والصلاح : هو الإيمان .

فلما وصفنا الله تعالى بأنه أصلح المؤمن ، بأن أضفنا صلاحه وسداده وإيمانه إلى الله، إذ كان إنما نال ذلك بالله ـ عز وجل .

وكذلك إنما وصفناه ، بأنه أرشد المؤمنين ، بأن أضفنا إرشادهم وإيمانهم إلى الله .

كذلك وصفناه بأنه سدد للمؤمنين، على هذا المعنى ونصفه بأنه أرشد للمؤمنين فى هذا المعنى . ونصفه بأنه أرشد المؤمنين، فى وقت وجود هذا السداد ، وهذا الرشاد وهذا الصلاح من الإنسان ، كما إذا وصفناه من الهدى الذى هو الإيمان . بأن هدى المؤمنين ، فإنما نصفه بذلك ، فى حال وجود الإيمان .

ويجوز أن يرشد المؤمن من غير هذا المعنى ، بأن يثيبه ، كان الثواب رشاداً .

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ :

حتى يقولوا وقد مروا على جدثى   يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فقوله : يا أرشد الله من غاز ، يدل على أنه يدعو له بالثواب ، لأنه ميت فى القبر . والميت لا يدعى له ، بأن يرزقه الله الإيمان .

مسألة :

ويقال : إن الله تعالى يأبى الأشياء كما أنه يريدها .

والإباء فى اللغة : هو المنع والامتناع ؛ لأن معنى قولنا : أَبى أن يفعل : أنه امتنع أن يفعل .

ومعنى قولنا : أبَى فلان أن يظلم : معناه : منع فلانا من ظلمه. وليس أبَى أن يظلمه ، أى كره أن يظلمه ، وإنما أريد به المنع .

قال عنترة :

أبينا أبينا أن تصيب لماتكم على مرشفات كالظباء عواطبا

أى منعناكم أن تسبوا نساءنا ، فتبتذلوهن بالنظر ، حتى تشتهوهن .

والمرشفات: التى تديم النظرة. واللمة ـ مخففة ـ : الجماعة من الرجال والنساء .

مسألة :

ويقال : إن الله تعالى ثابت كما يقال : إن المقر به متثبت ، إلا أن هذا فى صفاته ـ عز وجل ـ غير مستعمل .

ومعنى ثابت أنه تعالى لم يزل موجودا .

ويقال لله تعالى : الملكوت ، والكبرياء .

ومعنى الملكوت : أنه المالك . والكبرياء : أنه عز وجل كبير .

مسألة :

اختلف فى تسمية الله تعالى ، بأنه غيور .

والغيرة من الله تعالى : الزجر . فغيور . بمعنى زجور ، ويزجر عن الحرام ، ويحظره ، ويتوعد عليه أشد الوعيد . ولم يجزه آخرون .

وقال آخرون : إن الصفة له تعالى بذلك ـ مجازا وتوسعا . والمراد بذلك : كراهيته للفجور ولأسبابه ؛ لأن الغيرة : هى جزع الرجل والمرأة ، من أن يشارك أحدَهما أحد . وهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى . يقال : غار الرجل على أهله يغار غيرة .

مسألة :

ويقال : إن الله أعرب كلامه. ويقال : أعقل وطبع .

ويقال : أعوذ بالله ثم بك . ولولا الله ، ثم فلان .

واختلفوا فى صفة الله بالفراغ .

فقال به هلال بن عطية فى سيرته . ولم يجزه أبو الحسن .

ويقال : رفع الله بيده عن كذا وكذا . وسلط الله قوما على قوم .

ويقال : بصرُه فى الخلق نافذ ، وعلمه بهم محيط .

ويقال : يسمع ويرى .

ويقال : عرف ويعرف .

ويقال : يا إله كل مألوه والمألوه : هو العبد .

ويقال لله تعالى : يسبب الأرزاق لعباده .

ويقال : إن الله تعالى يعزم ثم يستثنى .

ويقال: العزم لله . والله المعزم لى على الخير. ولا يجوز على الله العزم ، الذىهو المطلع على الشىء ، بعد الرؤية فيه ، وفى غيره ، كما لا تجوز عليه الروّية والفكر .

وأما العزم الذى هو إيجاب فعل الشىء على غيرنا ، فهذا يوصف الله تعالى به، ويستعمل فى صفاته ، لأنه تعالى يقال : إن الله يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه .

ويقال: أتته عزيمة من ربه ، يعنى ما أوجب الله عليه ، ولم يرخص له فى تركه والعزم غير الإرادة .

قال أبو الحسن ـ فيمن قال ـ : عزم الله لنا بخير . فقال : لا أراه جائزاً .

مسألة :

ويجوز أن يقال : كلٌّ بالله لاحق . كما يقال : كلٌّ إلى الله صائر .

ويقال : ما أحسن هذا عند الله ! وما أقبح هذا عند الله ! والعند تأويله : العلم .

وقيل : إن العند غير العلم قال الله تعالى : « ماعندكم ينفَد وما عندالله باق» أى ما لديكم ينفد ، وما لديه ، مما أعد الله لأوليائه باق .

ويقال : قاسمت الله مالى .

ويقال : جعلت هذا لله. وأعطيت هذا لله ، أى التماس الرضى .

ومعنى ذلك : لولا الله ما أعطيت ومعنى أعطيت الله ، وأعطيت لله ، يتقاربان .

مسألة :

ويقال لله تعالى : يبغض ويمقت ، وينتظر ويمهل ، ويستدرج ويترقب . قال الله : « انتظروا إنا منتظرون ـ وارتقبوا إنا معكم مرتقبون » وذلك غير استبعاد.

ولا يقال : شيء يبعد عليه .

ويقال: علّم وأدّب والله معلمنا ومؤدبنا ونقه . ولا أعلمهم يقولون : الله المفقّه.
وهذه أقرب من معلم ومؤدب .

ولا يجوز : الله القائم لى .

ويقال : الله عاصمى ، والعاصم لى ، وناصرى . والناصر لى .

ويقال : الله تعالى جاء بى ، وذهب بى ، كما جاء الله بالمطر . وجاء بالفرج وجاء بالسعة . وجاء بالخصب .

ويقال : لا جاء الله به .

ويقال : اللهم جئ به . وكذلك جاء الله بك ، وذهب بك .

ويقال : رفع الله نفسه عن الظلم . والله تعالى يجل عن هذا الأمر ، على ما قال الله تعالى : « وما ينبغى للرحمٰن أن يتخذ ولداً » .

ويقال : لايتعذر على الله تدبيره . ولا أعلمهم يقولون : لا يعييه شىء . ولا يبعد عليه شىء . قال الله تعالى : « أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن » . وقال : « أفعيينا بالخلق الأول » .

وقال المفضّل : كل ما لم يقدر عليه ، ولم يتوجه له ، فقد عيى به .

ويقال : لا يفدحه ، على معنى ما قال : « ولا يَئوده حفظهما » يعنى لا يثقل عليه .

الضياء :

عن نجاد بن موسى ـ جائز أن يقال : بالله توفيقنا . وعليه اعتمادنا . وبه عصمتنا . وهو حسبنا ونعم الوكيل . وأقوى معين ، وأهدى دليل .

وعنه : أن الله خبأ أربعا فى أربع: خبأ وليه فى عباده ، وخبأ رضاه فى طاعته ، وخبأ غضبه فى معصيته ، وخبأ إجابته فى دعائه .

مسألة :

ويجوز أن يقال : منفرد ومتوحد .

ولا يجوز أن يقال : المنفرد .

قيل : لا يجوز أن يقال : المنفرد والمتوحد وليس هذان من أسماء الله .

مسألة :

من سيرة أبى على موسى بن على ، عن الإمام المهنأ بن جيفر ـ : ذو القدرة القاهرة ، والعظمة الظاهرة التى غلب بها كل غالب ، وأدرك بها كل هارب .

مسألة :

محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ أعاذنا الله وإياكم ، من سخطه وعقوبته .

وعنه أيضا : الحمد لله المستولى على حقائق الحمد ، وفضائل المجد ، والمستغنى عن غَناء أهل الأرض وأهل السماء .

قال أبو بكر أحمد بن النضر العمانى ـ رحمه الله ـ :

وقال وجوه ناظرات لعطفه ورحمته يوم التغابن والندم

قال بعض المسلمين : إن التوبة يبسطها الله لعباده ، رحمة منه لهم ، وعاطفة منه عليهم .

مسألة :

محمد بن الحسن ـ وسألته عمن يقول : باسم الله ، خير الأسماء .

قال : إن كان معنى قوله : إن لله اسما هو غيره . فذلك لا يجوز .

ويجوز أن يقال لله : بصره فى الخلق نافذ ، وعلمه بهم محيط .

ويقال : إن الله بيننا وبينكم بروحه .

ويجوز أن يقال : القاهر فوق العباد بعزته .

ويقال : أنشأ الله الخلق بحكمته ، وأمضى الأمور بمشيئته .

ويقال : المتفرد بالقدرة والملكوت ، المتوحد بالعزة والجبروت .

ويقال : جعلك الله فى حرزه وستره ، وعاد عليك بفضله ومنّه .

ويقال لله : عدل فى قضائه ، متفضل فى عدله . له أحسن الأسماء ، وأشرف المدح .

ويقال : الأمر لله ، ثم لك .

مسألة :

ومن خطبة الإمام إبراهيم بن عبدالله الحضرمى - رحمه الله - : فإنا لله الواحد المستعان . ومنها : الظاهر والباطن ، والنائى المتدانى . ومنها : يا ألله يا غياث المستغيثين ، ويامدرك المستدركين . وياغياث من لاغياث له

مسألة :

ولا يجوز أن يقال : إن الله خلق أرزاق العباد ، قبل أن يخلقهم .

وجائز أن يقال : علمها قبل أن يخلقهم .

ويوصف الله تعالى ، بأنه لم يزل متكلما .

وقيل : لا يجوز . ولكن يقال : لم يزل الله ، وهو المتكلم .

ولا يجوز أن يقال : الله فوق كل شىء - على الحقيقة ؛ لأن ما وصف أنه فوق ، إنما وصف ، أنه فى مكان مرتفع . وهذه حقيقة هذه الصفة ، فى اللغة .

فإن وجدنا ذلك، فى صفة الله، فإنما هو مجاز . وقوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده » أراد أنه القادر المستولى على العباد، والمستعلى عليهم . فجعل قوله : « فوق » بدل قوله : مستعلى — فى مجاز الكلام والتوسع .

ويجوز أن يقال : فوق عباده، بالعلم والقدرة . ويراد به، أنه أعلم منهم، وأقدر، كما قال: « وفوق كل ذى علم عليمٌ » وهو يعنى نفسه. وهو أيضا على جهة التوسع والمجاز .

مسألة :

قلت : وهل يجوز أن يقول الإنسان : إن الله حكيم فى علمه، أو حكيم فى حكمه، أو لطيف فى قدرته، أم لا ؟ فإن هذا شبيه صفة الشىء فى الشىء، فلا يجوز ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والثمانون والمائتان

فيما يجوز من الصفات وما لا يجوز

لا يوصف الله تعالى، بأنه موقن؛ لأن اليقين هو العلم، الذى يستدركه العالم، بعد الشك والارتياب، وبعد أن لم يعلم، فيكون قد أيقن، بعد أن كان فيه شاكا . فلما لم يجز أن يكون الله يعلم من بعد شك، لم يجز أن يقال: إنه موقن .

ولا يقال إنه مستبصر؛ لأن المستبصر فى الشىء، هو من استبصر فيه، بعد شك . فلما لم يجز الشك على الله، لم يجز أن يقال: مستبصر .

ولا يقال: إنه متحقق، لأنه فى معنى مستبصر وموقن . وهذا لا يوصف به أحد منا، فى الشاهد، إلا بعد أن كان شاكا فيما تحققه، واستبصر فيه .

وكذلك لا يوصف، بأنه يشعر بالأشياء، ويفطن، لأن من يشعر ويفطن بالأشياء، هو الذى لم يكن علمها، قبل ذلك . والله تعالى لم يزل عالما بالأشياء . فلا تجوز عليه هذه الصفة .

ولا يوصف بأنه يحس بالأشياء، لأن الإحساس بالأشياء، إنما هو أول ما يدرك من العلم بها . فلما لم يجز على الله، استدراك العلم شيئا بعد شىء، إذ كان لم يزل عالما، لم يجز عليه تعالى هذا الوصف .

وكذلك لا يوصف بأنه يعقل الأشياء، كما يوصف بأنه يعلمها؛ لأن علمنا أن ما يسمى عقلا — على التوسع — تشبيها بالعقل الذى هو الشد والمنع، لأن علمنا بحسن الحسن، وقبح القبيح، هو منع لنا من ركوب القبيح، وترك الحسن . فسمى

العلم عقلا ، من هذا الوجه ــ توسعا. وعلم الله، لايجوز أن يكون منعا له عن الشيء؛ لأنه لايجوز عليه المنع ، كما لايجوز أن يكون محلا ، لأن التحاية والمنع، إنما يجوز على من تتوق نفسه إلى الأشياء ، فيمتنع من ذلك ، ويكف عنه ، مثل ما وصفنا . وهذا غير كائن على الله تعالى فلم يجــز أن يقال : إنه تعالى عاقل . ولا يوصف ــ عز وجل ــ بأنه يفهم الأشياء ، كما يوصف بأنه يعلمها ، لأن الفهم هو العلم ، بمعنى الـكلام، الذى تسمعه، حتى يكون إذا سمعته، لم يخف عليك معناه .

وكذلك الفقه . إنمــا هو يفقه الـكلام . ولهذا لا يوصف بالفهم ، إلا للـكلام وحده .

وكذلك لايوصف بالفقه إلا للـكلام . كما قال سبحانه : « ووجد من دونهما قوماً لا يكَادون يفقهون قولا » . فلمــا كان البارىء تعالى ، لم يزل عالما بالأشياء كلها ومعانيها ، لم يجز أن يوصف ، بأنه يعرف معنى الـكلام ، إذا سمعه ، كما نوصف نحن بذلك . ولا أنه يفهمه ، ولا أنه يفقهــه ، ولا أنه فهِمٌ ، ولا أنه فقيه .

ولا يوصف بأنه يشم ، ولا يذوق ؛ لأن الشم هو استنشاق الجسم المشموم ، ودخوله فى الخياشيم ، ومماسة الخياشيم به . والذوق هو : مماسة الجسم المذوق باللسان واللهوات . فلما لم تجز على الله مماسة الأجسام ، ولا مداخلتها إياه ، لم يجز عليه الشم والذوق .

ولا يوصف بأنه يحرد ويقنط ؛ لأن القنط من الغيظ. والغيظ والحرد : عرضان يحلان فى الإنسان .

ولا يوصف بأنه يغتاظ ، كما يوصف بأنه يغضب ، لأنه ليس معنى الغيظ ، معنى الغضب ؛ لأنه قد يغتاظ فى الشاهد من أمثالنا . ولا يغضب فى الشاهد منها . والغيظ إنما هو بمنزلة الحسرة التى يلحقها ، عند كون ما يكرهه . وليس الغضب كذلك لأنا قد نغضب على العصاة لله تعالى ، وإن لم نكن عليهم مغتاظين ، فى وقت غضبنا .

فلما أن كان الله لا تجوز عليه الحسرة ، ولا تغمه معاصى العباد له : لم يجز أن يغتاظ على عباده . وإن كان قد يغضب عليهم لمعاصيهم .

وقوله تعالى : « يا حسرة على العباد » أراد أن كفر العباد ، وتكذيبهم بالرسل ، يكون عليهم حسرة يوم القيامة .

وقوله : « فلما آسفونا انتقمنا منهم » يعنى آسفوا رسلنا . ويجوز أن يكون أغضبونا . وذكر الأسف ، وهو يريد الغضب ـ توسعاً . وأما الأسف حقيقة ، فلا يجوز على الله .

ولا يوصف ، بأنه يشتهى الأشياء ، كما يوصف بأنه يحبها ، لأن الشهوة منا ليست من جنس المحبة ، لأن الشهوة توقان النفس إلى ما تتوق إليه ، كتوقان نفس العطشان إلى شرب الماء ، والجائع لأكل الطعام . ومحبة العطشان ، لشرب الماء غير توقان نفسه إلى الشرب ؛ لأنه قد تتوق نفسه إلى ذلك ، وهو صائم ، فلا يريد شربه . بل يكرهه لأجل صومه . فصح أن الشهوة ليست من جنس المحبة ، فلم تجز على الله الشهوة ، كما جازت عليه المحبة والإرادة ، إذا كانت الشهوة توقان النفس إلى ما تشتهيه . وتوقان النفس على الله ، لا يجوز .

ولا يوصف، بأنه عاشق ووامق، كما يوصف بالمحبة ؛ لأن المحبة هى الإرادة. والعشق ليسه كالإرادة للشيء . إنما هو كالعلق ، يصيب الإنسان ، ويتعلق القلب بما يعشقه . والوامق أيضا كالعاشق وهذان لا يجوزان على الله تعالى .

ولا تجوز على الله الرقة ؛ لأن الرقة إنما هى رقة الأجسام . وهى التى تكون فى القلب ، بدلا من الغلظة والفظاظة . وهــذان لا يجوزان على الله ؛ لأنه تعالى لا تحله الرقة ، ولا الكثافة ، ولا الفظاظة ، ولا القسوة .

ولا يوصف ، بأنه شفيق ، ولا أنه يشفق على عباده ، كما يوصف ، بأنه يرحم عباده ؛ لأن الإشفاق : الحذَر . والمشفق منا من الشيء : هو الحذِر منه ، والحذِر عليه . فلما كان الحذر على الله ، لا يجوز ، كما لا يجوز عليه الخوف ، لم يجز عليه الإشفاق .

ولا يوصف بأنه رفيق ؛ لأن الرفق فى الأمور : هو الإحسان ـ خ ـ : الاحتيال ، لإصلاحها وإتمامها . والبارىء لا يحتاج إلى احتيال ، يتم به أعماله ومراده . فلم يجز أن يوصف بالرفق ، ولا الترفق . ولا يوصف ، بأنه فاضل ولـكنه مفضِّل ، بما يفعل من الفضل على غيره .

ولا يجوز أن يفضَّل هو بذلك ، لأنه مستغن عن الأفعــال أن يفضل بها . ولا يوصف بأنه شجاع ؛ لأن الشجاعة إنما هى من الجراءة على المكاره ، والأمور المخوفة . والله تعالى ، لا يجوز أن يخاف شيئا ، ولا يحذره . فلم يوصف بالشجاعة ولا الجراءة .

ولا يوصف بأنه وزير ، ولا مساعد لأحد من خلقه ، ولا أنهم وزراء له ؛ لأن تأويل الوزير : هو أنه وازر صاحبه .

ومعنى الموازرة : هو أن كل واحد منهما ، قد شد إزاره مع صاحبه ، ليعينه على ما هو فيه ، من شد الإزار ، اشتق له اسم الموازر ؛ لأن العرب كانت إذا توازرت ، فعلت هذا الفعل ، وشدت على أنفسها الإزار . فلم يجز أن يكون الله تعالى وزيرا لأحد من خلقه . ولا يكون له وزير منهم .

وكذلك المساعدة . إنما تأويلها فى اللغة : أن يجعل ساعده ويده فى الأمر ، الذى جعل فيه صاحبه ساعده . فقالوا لمن تابع صاحبه ، على الأمر الذى ساعده ، فذلك لا يجوز على الله .

ولا يوصف بالسكوت ولا الترك على الحقيقة ؛ لأن الترك : هو كف النفس عن الفعل ، الذى يتركه ، وضبط النفس عن ذلك . فلما كان الله تعالى لا تحل أفعاله فيه ، لم يجز أن يكف نفسه عنها . ولم يجز أن يكون تاركا لها .

ولا يوصف بأنه نبيل ؛ لأن النبل عند أهل اللغة : إنما هو الحسن والجمال ، مع صيانة النفس ، وتكامل الخلال المحمودة . فلما كان الله سبحانه ، لا تجوز عليه الأحوال ، لم يجز أن يفضل ، وأن ينبل بأفعاله ، ولا يتكامل بالخلال ، كما ينبل النبيل منا .

ولا يوصف ، بأنه حاذق ؛ لأن الحذق فى اللغة : أصله القطع . يقال : سكين حاذق يراد به حاد . وخل حاذق : شديد الحموضة ، كأنه يقطع .

ولا يوصف، بأنه ذكى ، لأن الذكاء : هو حدة القلب ، وسرعة تلقنه . فلما لم تجز على الله حدة القلب ، إذ كان ليس بذى قلب ، ولا جارحة ، لم يجز أن أن يوصف بالذكاء. يقال : قلب ذكى ، إذا كان سريع الفطنة .

ولا يوصف بالذرابة ؛ لأن الذرابة هى خفة اللسان ، وسرعته فى التحريك للكلام. كما أن الذكاء هو حدة القلب ، وسرعة تقلبه. فلما لم يكن لله تعالى لسان لم يجز أن يوصف بالذرابة والذرب : الحاد من كل شيء . يقال : لسان ذرب ، وسم ذرب، وطعام مذروب .

ولا يوصف الله تعالى ، بأنه يحفظ الأشياء ، على معنى أنه يعلمها ، كوصفنا لأنفسنا ، بالحفظ لما عُلِّمناه من القرآن وغيره وإن وصفناه بذلك توسعا ومجازا . ومرادنا بذلك أنا إذا علمنا ، لم يذهب عنا .

فلما كان الوصف لنا بالحفظ ، من هذا المعنى مجازا ، لم يجز أن يوصف الله تعالى ، بأنه حافظ للأشياء ، على معنى أنه يعلمها .

وإنما يوصف بأنه يحفظ الأشياء ، على معنى الحفظ المعقول فى الشاهد ، بأن يصرف عنا الذهاب والضرر والفساد .

ولا يوصف الله تعالى بالفرح ، لأن الفرح إنما يجوز على من يجوز عليه الغم ، ومن تصل إليه المنافع والمضار . وهذا لايجوز على الله . وقول النبى ﷺ : إن الله أفرح بتوبة العبد من العبد ، إذا ضلت راحلته فى أرض فلاة . وعليها زاده وماؤه فلقيها — الخبر . إنما وصف بذلك توسعا ، وأرادوا به أنه مريد لتوبة عبده ، كاره لإصراره على ذنبه .

ولا يقال : إن الله تعالى عَجِب من كذا ، لأن العجب إنما يحدث ممن لم يعلم فعلم ، فعجب عند ذلك ، مما علم. والله تعالى، لم يزل عالما بالأشياء . فلا يجوز أن يعلم منها ما لم يكن علمه . فيعجب منه .

وقال الأشعرى : إنما عجبه، بأن عظم ذلك عنده . ومنه قوله تعالى : « بل عجبت و يسخرون » أى بل عظم أمرهم .

وقول : معنى عجب : رضى وأثاب. فسماه عجباً . وليس بعجب فى الحقيقة ، كقوله: « ويمكر الله » وإن المكر منفى عن الله .

وقيل فى قوله تعالى: « بل عجبت » أى جازيتهم على عجبهم ؛ لأنهم عجبوا من الحق ، فقيل : إنما هو عجَّب بتشديد الجيم . وعجّب الله ملائكته كما قالوا : أضحك ربُّك ، أى ضحّك ـ بالتشديد ـ أى ضحّك ملائكته .

قال المؤلف: وشرح جميع ذلك، فى كتاب الضياء، تركناه اختصارا. وكتبناه بكليته ، فى كتاب التاج .

ولا يقال : إن الله يهجر المعاصى ، كما يقال : إنه يكرهها ويسخطها ؛ لأن هجراننا الشىء : هو الانقطاع عنه ، وترك الاتصال به . وربما كان ذلك ترك الكلام ، لمن يهاجره .

وهذه المعانى لا تجوز على الله ، أن يفعلها بالعاصى .

وإنما قيل : أفضل الهجر : أن يهجر ما كره الله . فإذا كان أصله فى الناس توسعا ، لم يجز أن يوصف الله بذلك ، إلا بعد أن يجد الناس، قد توسعوا فى اللغة فى صفته تعالى .

وأما إذا لم يخرج بحد من ذلك ، فى صفاته ـ عز وجل ، فلا يجوز استعماله ، إذا كان لايجب من جهة الحقيقة .

ولا يوصف الله بأنه زكى ، لأن الزكى ـ معنا ـ : أنه بلغ حدا ، لم يكن بلغه قبل ذلك . وهذا لايجوز على الله تعالى . وإنما قيل للإنسان: إنه زكى لأنه بلغ مقدارا بعمله لم يكن يبلغه قبل ذلك . ولا يوصف بأنه نظيف؛ لأن النظيف هو المنظّف وهو المغسول . وهذا لايجوز على الله . ولا يقال: إنه تعالى يستطيع كذا وكذا ، لأن الطاقة معناها : الجهد ، فيما يطيقه الإنسان ، لم يجز أن يوصف الله بذلك . وجائز أن يوصف بغيره ، الذى معناه: أنه قادر. وقوله تعالى: «هل تستطيع ربّك» بالتاء ونصب الباء من ربك .

وقيل: هل تستطيع أنت ربك .

وقيل : هل تستطيع أن تسأل ربك ولا يقال : إنه تعالى يطمئن إلى أنبيائه وملائكته ، ويثق بهم ، ويركن إليهم ، لأن الاطمئنانة إلى الشىء والثقة به ، والركون إليه ، إنما هو بمنزلة السكون إليه . وهو ضد النفور عنه والتهمة له . والله تعالى لا يجوز عليه النفور ، عن الأشياء . ولا التهمة لها ؛ لأن هذا يجوز على من لم يعلم، ما يكون، ولا يحيط بالأشياء علما . فصح أن ذلك لايجوز على الله .

ولا يقال : إنه تعالى ذخر ولا سند ، لأن الذخر ماذخره الإنسان . والسند : ما يسند الإنسان ظهره إليه . والله يتعالى عن ذلك .

فإن قيل هذا فى صفاته . فإنما هو مجاز . ومعناه ، ليس بحقيقة . وهذا لايجب له ، من جهة الحقيقة ، إلا أن يكون قد استعمل الناس ذلك مجازا ، فنستعمله معهم.

مسألة :

ولايجوز أن يقال : إن الله خير من كذا وكذا . وهذه صفة ذات .

فإن قيل : إن الله تعالى خير أفعالٍ منك ، فجائز .

قال الحسن ـ فى قوله تعالى : « والله خير وأبقى » أى خير منك يافرعون ثوابا ، وأبقى عقابا .

ولا يقال : كذا وكذا ، دون الله ، بمعنى التفاضل والخيار ؛ لأن الخيار لايقع إلا بين الأجناس ألا ترى أنه يقال : فلان أحسن من فلان ، يراد أنه أصلح منه ، لأنهم جنس واحد . وهذا لا يجوز على الله ؛ لأنه ليس بذى جنس ، ولا هو من جنس غيره . فلا يقع الخيار بينه وبين غيره .

وقوله تعالى : « واتخذوا من دون الله آلهة » قال بعض : اتخذوا عبادة الأصنام ليعتبروا بذلك . وهى دون عبادة الله .

ولايقال : إن الله حيث كان ، لأن حيث فى مكان معلوم . ولكنه يقال : بكل مكان تدبيره .

ولا يقال : كان الله ولاشىء . ولكن يقال : لم يزل الله ، ولا شىء .

ولا يقال : لِمَ فعل ربنا كذا وكذا ؛ لأنه تعالى « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون » .

ولا يجوز فيه : كان ، ولا ما ، ولا أين ، ولا حيث ؛ لأن كل ما يجوز فيه الأين ، فهو بمكان . والمكان أقوى منه ، لأن المكان يحمله . والحامل أقوى من المحمول . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والثمانون والمائتان

فى التعجب

قال أبو محمد : لايجوز أن يقال: ما أبصر الله بعباده ، أو ما أعلم الله بعباده ، أو ما أقدر الله ، أو ما أحكم الله بعباده ، أو نحو هذا ، من الصفات الذاتية .

ولايجوز أن يقال : ما أكرم الله بعباده ، وما ألطفه ، وما أعلمه ، وما أشبه هذا ، لأنه تعجب . والتعجب عن الله منفى .

وقيل : إن التعجب جائز فى الأفعال . ولايجوز فى صفات الذات .

يجوز أن يقال : ما أحسن صنع الله وتدبيره .

ولا يجوز أن يقال : ما أحسن علم الله وقدرة الله وعزة الله . وإن الله لحسن العلم والقدرة والعزة . هـذا لا يجوز ؛ لأنها صفات الله . وما حَسُن فى الأفعال مدح وتعظيم ، وفى الذات تصغير وتهجين . والله أعلم بالصواب .

ولايقال فى صفة الله تعالى : المتعزز ، ولا المتجبر .

ولايقال : المفتخر ، ولا افتخر ، لأن الافتخار لا يكون إلا بين النظراء المتضادين .

ولا يقال : يستمع .

ولايقال : أعرض الله عنك .

ولا يجوز أن يقال : أقبل الله إليك .

ولا يقال : الله عندك . ولايجوز أن يقال : تعالى الله بالعز والـكبرياء .

ولايقال : احتجب بقدرته ، عن أعين الناظرين ؛ لأن القدرة ليست هى غيره . وليس هو ممن يتوارى ويحتجب . وقد منا ذلك فى موضعه .

ولا يجوز أن يوصف الله بالرأى ؛ لأن الرأى أن ترى الشىء بعد الشىء . وهو أيضا من البدا . وهو أن يبدو له الرأى، بعد أن لم يكن . والله تعالى لا يوصف بالبدا .

وفى الكتاب : يذكر أنه فصل من كتاب :

ولايقال : هذا حرام فى رأى الله ، ولا فى اعتقاد الله ، كما يقال: هذا حرام فى دين الله ، وفى علم الله .

ولا يجوز أن يقال : معتقد كذا وكذا ، ونوى كذا .

ولا يقال : له مذهب ، كما يقال : له علم .

ولا يقال : رأى الله له ، كما يقال : نظر الله له ، واختار له .

كذلك فى النفى ، لايقال : لم ير اللهُ ، كما يقال لم ينظر الله له .

مسألة :

لايجوز فى صفات الذات : لِمَ كان . لا يجوز أن يقال : لم علم الله وعلم الله .

وكذلك لِمَ قدر الله . ومتى قدر الله .

وكذلك لم أراد الله ؟ هذا غير جائز فى صفات الذات أجمع .

وأما فى الأفعال فجائز أن يقال : لم أمر الله ، ولم نهى ، ولم أثاب ، ولم عاقب ؟ فيقال : لمصالح العباد . ولم يجز ذلك محمد بن محبوب والله أعلم بالأصح.

قال المؤلف : لِمَ في الأفعال جائز، إذا طلب السائل بذلك، الهداية والبيان . وإن كان ذلك ، على وجه الإنكار ، لم يجز .

ومنه : ولا يجوز أن يقال : لو قدّر الله عليّ كذا وكذا . ولا : ولو أبصر الله ، كما قيل : لو علم الله ، ولو شاء الله .

ولا يقال : يتملك ، كما قيل : ملك وتملك .

ولا يقال : يتعزز ، ولا يتعظم ، ولا يتجبر ، ولا يتكرم ، ولا يتخلق. وما كان فيه يتفعل ، فلا يجوز .

ولا يقال : رغّب ، كما قيل : كلف وأمر ، فطلب منا الطاعة .

قال صاحب الكتاب: واختلف في سأل وطلب الطاعة . وأما إن أراد منهم ، فجائز ، لأن الرغبة إنما تكون على الحاجة . ألا ترى أنه أمر من غير رغب .

وكذلك طلب واستقرض ، لأنه من غير عدم استقرض . فلذلك لم يكن راغبا .

والاستقراض على وجهين : يكون مستقرضا لحاجة . فذلك عن الله منفى ، واستقراض لا لحاجة . فهو ما ندب الله إليه ، وأن يتقرب بذلك إليه .

ويقال : وهبت هذا لله تعالى ، وتركته له ، وأقرضت الله .

ولا يقال : تصدقت عليه ، كما قيل : أقرضته .

واختلف في القول : بأن الله متصدق علينا .

فقال بعض الفقهاء : لا يقال : متصدق علينا. إنما يتصدق من يطلب الثواب .

وجوز ذلك بعضهم .

ولا يقال : أقرضنا الله ، ولا أثابنا .

ولا يقال : جزانا الله ، ولا كافأنا الله .

ويقال فى ثوابه : كفانا لأعمالنا . ولا يقال : أخرج ما وهب من ملكه .

ومنه : ولا يقال : إن الله يحذر ، ولا يخاف ، ولا يخشى إلا على معنى العلم .
وقد قال تعالى : « فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » قالوا فى ذلك : علمنا .
فلا يجوز إلا على هذا التفسير .

ولا يقال : يظن . وإن كان الظن قد يجىء فى موضع العلم . قال عز وجل :
« الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم » قالوا : يعلمون . فالظن يكون شكا ،
ويكون علما . فالشك لا يجوز على الله تعالى .

ومنه : ولا يقال : يتقى ، ولا أنه يرجو ؛ لأن الرجاء إنما قد يكون على
الخوف والطمع . وذلك منفى عن الله .

ولا يقال : يتجبر على عباده ، ولا يتلطف ، ولا يتودد ، كما يقال : إنه لطيف بهم .
ولا يقال : شفق عليهم .

ولا يقال : إنه غليظ ، ولا عنيف على الكفار ، كما قيل : إنه غضب عليهم .

ولا يقال : شىء أشد عليه من شىء ، ولا شىء أهون عليه من شىء . ولا يوصف
بالعجلة .

ومنه : ولا يجوز أن يقال : رأيت الله ، حتى يصل ذلك بكلام . فيقول :
رأيت الله أهلك عادا وثمود .

وكـذلك : سمعت الله ، حتى يقول : سمعت الله يقول . ويقول : وجدت الله صنع كـذا .

ولا يقال : أدركت الله صنع كـذا .

ولا يوصف الله بالعناية ، ولا بالنصح .

ولا يقال : ألزم نفسه . ويقال : أوجب ، وكتب على نفسه .

ولا يجوز : يحرك بى ، ولا سكّن بى ، كما يقال : جاء بى .

ولا يقال : قام الله بك ، ولا قعد بك ، وسكن بك ، وحرك . وما كان مثله ، فعلى قياسه .

ولا يقال : ما دعا اللهَ إلى كذا ، ولا ما حمله على كـذا .

ولا يجوز فى شىء إن الله فيه شىء ، إلا أن يقول : مالله فى إنعامه على الخلق. فيقال : الثناء والشكر . فإذا خرج من هذا الوجه ، بطل القول : بأن الله فى شىء .

ولا يقال فى شىء : إنه تعالى احتاج إليه ، إذ فعله .

ولا يقال : ما صيَّره إلى هذا الفعل ، لأمر لا يفعله . ثم فعله .

ومنه : ولا يقال فيما نفى الله عن نفسه من الظلم : اعتذر ؛ لأن المعتذر : الذى ليس له على ما أضيف إليه شواهد نافية . وقد جوز بعضهم : اعتذر على غير ما يعقل ، من اعتذار الخلق، على التعظيم ، وإزالة التهمة. فقيل : كذب على الله. وأخبر عنه بغير الحق ، ما اعتذر .

ويقال : تبرأ .

ولا يقال : اعتذر .

ولا يقال فى موضع تبرأ : طهَّر نفسه، كما قيل : نزَّه نفسه .

ولا يقال : إنه مشغول ، لقول الله « كلَّ يوم هو فى شأن » لأن المشغول : المانع له من غيره . والله تعالى لا يمنعه كثير ما دبر من أضداده . وتفسير « كلَّ يوم هو فى شأن » إن من شأنه أن يجيب سائلا ، ويشفى مريضًا ، ويغنى فقــيرا . وما يُعرف منه، من طَوله وفضله .

ومنه : ولا يقال : إن الله فى صناعته . ولا هذا صناعة الله، يراد به صُنعه .

ولا يقال : يمس شيئا ، ولا يمسه شىء ، ولا يحل فيه شىء ، ولا يقــرب هو من شىء ، قرب المسافة . ولا يقرب منه شىء ، ذلك القرب .

وكذلك القول فى البعد، على هذا المعنى .

ومنه : إن الله تعالى خالق كل شىء .

ولا يجوز أن يقال لأحد : هذا ولد الله . وهذه زوجة الله ، ولا هؤلاء بنوه وبناته ؛ لأنه خالقهم ، كما يقال : سماؤه وأرضه وخلقه وكتبه ورسله .

ولا يقال : هذه قميص الله ، ولا رداؤه ، ولا نعله ولا خفه . وما أشبه هذا ، وإن كان الله تعالى، الخالق لذلك، والمالك له .

وكذلك هو خالق جميع الجوارح . فلا يقال : هذه عين الله ، ولا يده ، ولا رجله ، ولا ما أشبه هذا . فلا تجوز إضافته إليه .

ولا يجوز عليه ما استقبح، وإن كان محتمل المعنى؛ لأن القول فى هذا إنما هو تسليم، وأمور موضوعة ، لا على قياس وتشبيه . فلا يجوز على الله ، إلا ما أجازه العلماء ، وحسن من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا .

ومن غيره :

لا يوصف الله تعالى بالصعود ، ولا النزول .

ولا يقال : حواه مكان، ولا خلا منه مكان ، ولا لازقه مكان ، ولا فارقه مكان ـ سبحانه ! لم يزل قبل المكان، فاستغنى ربنا عن المكان .

ولا يوصف بالقعود ، ولا القيام ، ولا الكسل ، ولا التوانى ، ولا الخلوة ، ولا الفترة ، ولا السهو ، ولا الغفلة ، ولا اللهو ، ولا الشك، ولا الجهل، ولا الندم ولا النطق ، ولا السكوت .

ولا يقال : أفسد ، إذ خلق الفساد . بل خلقه لجميع ما خلق ، صلاح منه لا فساد ، وعدل منه لا جور .

ولا يقال: جار، ولا أربى ، ولا أزنى ، ولا أسرق ، ولا أقذر . وهو تعالى خلق جميع ذلك « سبحانه له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .

ولا يوصف بالضجر ، لأن الضجر فيه اغتمام، فيه كلام وتضجر . ومنه: ضجر الناقة . وهو أن تكثر الرغاء . ويقال : إنها الضجور .

ولا يوصف بالملَل، ولا الملال ولا السآمة. وكله واحد. ومعناه: أن يمل شيئا ويعرض عنه . يقال : رجل ملول ، وامرأة كذلك .

فإن قيل بالخبر الذى روى عن النبى ﷺ أنه قال : تكلفوا من العمل ماتطيقون؛ إن الله لا يمل حتى تملوا . فإن صح الخبر، فإن معناه : أن الله لا يغضب عليكم، ولا يقطع عنكم ثوابه ، حتى تتركوا العمل ، وتزهدوا فى سؤاله، والرغبة إليه ، مللا . وليس بملل فى الحقيقة .

ووجه ثان : أن الله لا يمل إذا مللتم .

ومثل هذا : قولك فى كلام العرب : هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل ، يريد بذلك لا يفتر إذا فترت الخيـل . ولو كان المراد هذا ، ما كان له فضل عليها ، إذا فترت . والمراد بهذا أنها لا تفتر ، إذا فترت .

قال تأبط شرا . ويقال لخلف الأحمر :

صُلِيَتْ مِنِى هُذيلٌ بِخِرْقٍ   لا يَمَلُّ الشرَّ حتى يَمَلُّوا

ولم يرد أنه يمل الشر ، إذا ملوه . ولو أراد كذلك ، ما كان فيـه مدح ، لأنه بمنزلتهم . وإنما أراد أنهم يملوا الشر . وهو لم يمله . وقوله : بخرق الخرق : الظريف ، فى سماحة ونجدة .

فصل

قال النقاش : لا يدخل فى أسماء الله الحسنى كثير ، ممـا وصف به نفسه . وإن كان الفعل مضافا إليه ، فليس يُدعَى زارِعا ولا زرّاعا . وإن كان قال : « أم نحن الزارعون » . ولا يُدعى ماكرا ولا مكارا . وإن كان قال : « ومكروا ومكرَ اللهُ واللهُ خير الماكرين » . ولا يُدعَى خادعاً ولا خدّاعا . وإن كان قال : « يخادعون اللهَ وهو خادعهم » . ولا بانياً ، ولا بناء ، ولا فارشا ، ولا فراشا ، ولا ماهدا ولا مهّاداً . وإن كان قال : « والسماء بنيناها بأيد وإنّا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون » . ولا يُدعَى مستقرضاً ، ولا مشتريا . وإن كان تعالى قال : « وأقرضوا الله قرضا حسنا » . وقال : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ونحو ذلك ، مما يكثر إحصاؤه .

ولا يقال: يا جلد .

ومن غير الضياء :

ولا يقال : بقى فلان بين الله والشمس .

مسألة :

ولا يرقى الراقى بكلام لا يعرفه ؛ لأنه لا تأمين له .

ولا يقول : أخذت بكذا وكذا ، إلا أن يقول : أخذت بالله .

ولا يقال: المستعان بالله . ولكن يقال: الله المستعان .

ولا يجوز أن يقال : ليس وراء الله منتهى . فليس لله وراء ولا قدام .

ويكره أن يقال: لا والحمد لله . ولكن يقال: لا ولله الحمد .

ولا يقولن أحدكم : عبدى وعبدتى ولكن يقول. فتاىَ وفتاتى .

ويكره أن يقول : قوس قزح . وقزح : اسم شيطان . ولكن يقول قوس الله .

ولا يقال : كنت فى جنازة فلان . ولكن يقال : تبعت جنازة فلان .

ويقال لله : المنفرد وحده .

ولا يجوز أن يقال : ما أجرأ فلان على الله ؛ فإن الله أعز من أن يجترأ عليه. ولكن يقال : ما أغر فلانا بالله .

ولا بأس أن يقول الإنسان : إن الله عزيز فى ملكه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والثمانون والمائتان

فى الكيفية والأينية واللمية والكمية

فلا تجوز على الله تعالى الأينية والكمية والكيفية . فهو كذلك؛ لأن الأينية إنما هو سؤال عن المكان . يقال : أين هو ؟ والله يستحيل أن يكون فى مكان . كيف وهو الخالق للمكان ؛ لأن من كان له مكان ، فله حد. والمحدود مخلوق .

وأما اللمية ، فهو طلب العلة . ومعناه : لم كان كذلك ؟ وأراد به : لم كان وجود البارىء سبحانه ؟ فهذا محال ؛ لأنه تعالى واجب الوجود ، لا أول لوجوده. وهذا إنما يقال لمن لم يكن فكان .

وإن أراد أن الله لأى علة فعل هذه الأفعال ؟ فمحال أيضا ، لأنه لو كان لفعله علة ، لكان لا تخلو تلك العلة ، إما أن تكون قديمة ، فاقتضت قدم معلولها . وهذا محال وجود الأفعال ، فيما لم يزل . وإن كانت تلك العلة محدثة ، افتقرت تلك العلة إلى علة أخرى ، لكونها فعلا ، فيؤدى إلى ما لا نهاية له . وهذا محال . وإن استغنت العلة عن العلة ، استغنت الحوادث كلها عن العلة وقال تعالى : « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون » .

وأما الكيفية ، فهو استخبار عن الهيئة والصورة واللون . والله تعالى لا هيئة له ، ولا لون لا يقدره فهم ، ولا يصوره فكر . وما خطر فى القلب ، أنه كذلك . فاعلم أنه تعالى بخلاف ذلك .

وأما الكمية، فهو عبارة عن المقدار والعدد ومحال أن يكون البارىء سبحانه

ذا عدد ومقدار . وقد تقدم بطلان هذا .

قال المؤلف : لعل غلطا من الـكاتب ، فى المسألة .

لا يجوز أن يقال: إن الله تعالى مباين للعالم ، ولا مفارق للعالم، ولا مماس للعالم، ولا مجاور للعالم .

قال أبو سعيد : لا يعجبنى أن يقال : إن الله كلف العباد ما يكتسبونه . ولـكن يعجبنى أن يقال : كلف العباد ما يطيقون . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والثمانون والمائتان

فى الحروف

لا يجوز أن يوصف الله تعالى، ولا أن يذكر بخمسة أشياء . وهى : كيف . وأين ، وحيث ، ولِمَ ، ولو .

فمن وصَفه ، أو ذكره بكيف ، فقد طلب له عيانا .

ومن وصفه أو ذكره بأين ، فقد طلب له مكانا .

ومن وصفه ، أو ذكره بحيث ، فقد أثبت له حلولا واستمكانا .

ومن وصفه ، أو ذكره بلِمَ ، فقد سأله عن فعله . والله تعالى : لايجوز أن يسأل عن فعله ، لأنه تعالى قال : « لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون » .

ولا يجوز أن يقال لله : لم يزل ، ولا يزال ، حتى يوصل ذلك بصفة من صفات الله ؛ لأن هذا الكلام ، إذا لم يوصل ، كان منثورا ، لا معنى له . ولكن يقال : لم يزل الله عالما . ولا يزال عالما . ولم يزل قادرا ، حتى يصح الوصف له . ويكون له معنى .

مسألة :

لا يجوز أن يقال : إن الله غاب عن العيون ، وحل مكنونا . إلا أن يقول : غابت العيون عن نظره .

ولا يجوز أن يقول : مكنون .

مسألة :

الحمد لله ، حمد الشاكرين . لا يجوز .

ويجوز : الحمد لله حق حمده .

وقيل : لا يجوز أن يقال: لم يزل إلٰها مطلقا ، حتى يقول : لم يزل إلٰها المألوه سيكون .

وقيل: جائز أن يقال : لم يزل إلٰها .

ولا يجوز أن يقال لله : يستمع .

مسألة :

فى العلى الأعلى :

قال : يريد بذلك ، رفع المقدار ، وارتفاع المنزلة .

لا يجوز أن يريد : فى مكان رفيع . وإنما يريد رفع المنزلة والشأن .

مسألة :

ولا يجوز: يا عماد من لا عماد له ، ويا ظل من لا ظل له،ويا كنز من لا كنز له

وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والثمانون والمائتان

فى ليت

وسألته عن قول القائل : ياليت كان كذا وكذا . هل يجوز ؟

قال : هذا تمنى أن يفعل الله به الخير .

قلت : فالتمنى المكروه ما هو ؟ يتمنى ما رزق غيره ، من المسلمين ، أن يرزق مثلهم . فجائز .

الدليل على إجازته: قول مريم ـ عليها السلام ـ : « يا ليتنى مت قبل هذا ».

مسألة :

وجائز للإنسان قول : ليت شعرى ، عن كذا وكذا ، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال : ليت شعرى ما فعل أبواى . فأنزل الله ـ عز وجل ـ عليه :« ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم » .

ومعنى ليت شعرى : أى ليت علمى . وما يشعرك : أى وما يدريك .

وسمى الشاعر شاعرا ، لأن الشاعر يفطن ، بما لا يفطن به غيره ، من معانيه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التسعون والمائتان

فى الملائكة وما جاء فى ذلك

قيل : إن الله تعالى ، خلق الملائكة من نور .

وقيل : من ريح . والجان من النار . والنار من النور .

وسميت ملائكة ، لتبليغها رسائل الله تعالى إلى أنبيائه ـ عليهم السلام ـ أخذ من الألوك . وهى الرسالة .

ومن الملائكة، من لو أمره الله أن يبتلع السموات والأرضين جميعا، ومافيهن، لابتلع ذلك .

مسألة :

واختلف الناس فى الملائكة . هل هم مكلفون ؟ أم لا ؟

فقال بعض المسلمين : مأمورون منهيون ، لقوله تعالى : « ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين » وقوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » .

وقال بعضهم : هم مقصورون مضطرون إلى طاعة الله .

قال بعض المسلمين: وقولنا إنهم مجبولون على الطاعة، لايعصون الله ماأمرهم، ويفعلون ما يؤمرون . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الحادى والتسعون والمائتان

فى الملائكة

هل يعصون الله أم لا ؟

قال بعض المسلمين : وقولنا : إنهم مجبولون على الطاعة ، لايعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

قال أبو سعيد : وقد عرفنا من قول الشيخ أبى الحسن ، فى قول الله تعالى : « يعلّمون الناس السحر » إنما أولئك الشياطينُ « وما أُنزل على الملكين » يعنى وما أنزل السحرُ « على الملكين ببابِلَ هاروت وماروت » أى لم ينزل عليهما « وما يعلّمان من أحد » وما يعلمان هما أحداً . وإنما كانا يقولان : السحر كذا وكذا . « فلا تكفر » أى فلا تفعل كذا وكذا فتكفر . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والتسعون والمائتان

فى الملكين الحافظين

قال الله تعالى : « وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين » .

قيل : لكل واحد من بنى آدم ـ عليه السلام ـ ملكان : عن يمينه مَلَكٌ ، وعن شماله مَلَكٌ .

فالذى عن يمينه ، يكتب الحسنات . والذى عن شماله ، يكتب السيئات قلمهما : لسانه . ومدادها : ريقه . ومجلسهما : على شاربه .

فإذا عمل العبد حسنة ، كتبها المَلَك ، صاحب اليمين عشرا . ولم يشترط شيئا على صاحب الشمال .

وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين: قف سبع ساعات، لعله يستغفر، أو يتوب.

فإذا لم يستغفر ولم يتب ، من بعد سبع ساعات ، كتبها واحدة . ووكل الله بكل عبد ، ملكين بالنهار ، وملكين بالليل ، يتعاقبان . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثالث والتسعون والمائتان

فى إبليس — لعنه الله — والجن والشيطان وما جاء فيهم

قال المؤلف : إبليس — لعنه الله — أبو الجن ، كما أن آدم — عليه السلام — أبو البشر .

وقيل : إن أبا الجن غير إبليس. وإبليس ليس من الملائكة ، لأن الملائكة لا يعصون الله . والجن مكلفون كالإنس .

ودليل تكليفهم — فى سورة الرحمن — : قوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس » وقوله: « سنفرغ لكم أيها الثقلان» وهم الجن والإنس. والشياطين. وهم كفرة الجن .

وحجة المسلمين على تكليفهم قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أى لآمرهم أن يعبُدُونِ . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والتسعون والمائتان

فى الجن

هل يدخلون فى بنى آدم أم لا ؟

قال بعض المسلمين : محال أن يدخل الجسم فى الجسم ، فيكون جسمانِ فى حيز واحد . فيسكن الجنسان ، فى حيز واحد . محال سكون الجنس إلى غير جنسه .

وقال بعضهم : محال أن يكون أيضا جنسان من جنس واحد ، فى حيز واحد .

وقال آخرون: يجوز دخول الجن فى الناس . واحتجوا بقوله تعالى : «يتخبطه الشيطان من المس » فله علم منهم بالتأويل .

وقال آخرون : يجوز هذا . ويجوز هـــذا ، إلا أنه لا علم لنا بذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والتسعون والمائتان

فى الجن

هل يعلمون الغيب أم لا ؟

قال بعض المسلمين : إن ذلك محال ، لأن فى ذلك فساد دليل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وقد قال الله تعالى فيهم : « أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » .

وقال بعضهم : يجوز ذلك فى أحاديث لهم ذكروها .

واختلف الناس فى الشياطين . هل يعلمون ما فى قلوب الناس أم لا ؟

فقال بعض المسلمين : يعلمون ما يحدث فى القلب . وليس ذلك بغيب ؛ لأن الله تعالى ، جعل عليه دليلا . ومحال أن يدخل قلب الإنسان مثل ذلك . فإذا حدثت نفسك بالصدقة ، عرفوا ذلك بالدلائل ، فينهونك عن ذلك .

وقال آخرون : إن ذلك غيب . ولا يعرفونه . وأنت إذا حدثت نفسك بالصدقة ، نهاك عنها الظن بالتخصيص .

وقال بعض : يدخلون قلب ابن آدم ، فيعرفون ما يريد ، فينهونه . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والتسعون والمائتان

فى إلقاء الشياطين الكلام على الكهان

وأما إلقاء الشياطين الأحاديث على الكهان ، فإنه قد قيل ذلك ، أن يسترقوا السمع ، قبل مبعث رسول الله ﷺ . كانت الشياطين ـ لعنهم الله ـ تسترق السمع من السماء ، وتلقيه على الكهان . فتزيد الكهان فيه كلاما ، من قبلهم . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والتسعون والمائتان

في رؤية الجن وغرورهم

قال المؤلف : قد قيل : إن أبا الجن سأل الله : أن يرَى ولا يُرَى ، وأن يكون مسكنه تحت الثرى ، فجعل له ذلك .

فمن قال : إن الجن يُرَوْنَ ، فقد كذب القرآن ، لأن الله تعالى يقول : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم » .

مسألة :

ومن قال : إن الجن يراهم بنو آدم ، ويكلمونهم ، وأن السحرة ينقلبون حماما.

قال أبو محمد : إن تاب وإلا برئ منه .

قال الشيخ أبو محمد : قد قال بعض : إن الجن يراهم بنو آدم ويكلمونهم ، وأن السحرة ينقلبون حماما .

قال : وأقول : من تاب ، ورجع عن قوله هذا ، وإلا برئ منه .

قال الشيخ أبو محمد : لا يجوز لأحد أن يقول : إن أحدا من بني آدم ، يرى إبليس ــ لعنه الله ــ لأن الله تعالى يقول : « إنه يراكم هــو وقبيله من حيث لا ترونهم » والله أعلم . وبه التوفيق .

* * *

الباب الثامن والتسعون والمائتان

فى ذكر انقلاب إبليس والجن والشياطين والسحرة عن صورهم

قال الشيخ أبو سعيد : ومن قال : إن الجن يتصورون فى صورة الدواب ، فمعى أن ظواهر الأخبار : أن الجن قد يكون منهم ذلك ، أن يتشبهوا بصور الإنس والدواب والطير، وأنهم يطيرون ، على معنى الطير ، فى معنى صور الطيور .

وكذلك بعض الإنس ، ممن يضاف إليه السحر ، ممن يكون منهم نحو هذا. وليس ذلك عندى بمعدوم من الإنس ، كما ليس بمعدوم من الجن . ولسنا ممن يدعى ذلك ، على الحقيقة . ولا ينفيه على الحقيقة ، إلا أن يصح معنا ذلك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والتسعون والمائتان

فى اختفاء إبليس والجن
والحكمة فى تغييبهم عن الأبصار

من كتاب المجالس :

الجواب : من ذلك أن الله تعالى خلق الشياطين ، فى أقبح صورة ، وأشنع هيئة . فلو جعله الله ظاهرا ، لخافه بنو آدم . فأخفاه لئلا يخافوه . وجعله بحيث استهان بهم ونحو مكرهم . وأيضا فإن للمؤمنين أعداء ظاهرين . وهم الكفار ، فأمروا بالجهاد معهم ظاهرين . وجعل الشياطين مستورين ، فأمروا بالجهاد معه فى السر ، لينالوا أجر الجهاد الظاهر ، والجهاد الباطن . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثلاث المائة

فى خلق إبليس – لعنه الله – والحكمة فى ذلك وذكر معصيته لله عز وجل

فإن قال قائل : أخبرنى عن إبليس ، من خلقه ؟

قلنا : الله خالقه .

فإن قال : هو خير ؟ أم شر ؟

قلنا : إن كنت تعنى أن بدن إبليس وخلقه شر ، تعنى أطاعة ذلك أم معصية ؟ فبدن إبليس ليس طاعة ، ولا معصية .

وإن كنت تعنى أشر هو ، تعنى كثير الشر . ومحب للشر . فنعم فعله شر .

قال المؤلف : وقد كان إبليس عبداً صالحا مؤمنا ، فانتقل من الإيمان إلى الكفر ، بسوء اختياره . ولم ينتقل عن خلقته إلى غيرها ، وأنه عبد الله تعالى ، قبل خلق آدم بثمانين ألف سنة ، يعبد الله . ثم كفر بسبب عدم سجوده لآدم . وتلك السجدة كانت طاعة لله تعالى ، لو سجد . فكفر وتولى . فولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم ، وساءت مصيرا . وإنما خلقه الله ، كما خلق غيره من الخلق ؛ ليأمرهم بعبادته أمرا اختياريا . فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر . وكلا الفريقين من المؤمنين والكافرين ، فعل ما فعل باختياره ، من غير جبر من الله – تعالى الله عن ذلك . وبه التوفيق .

* * *

الباب الحادى والثلاث المائة

فى الاستعاذة من إبليس ـ لعنه الله ـ ومعانيها والحكمة فى ذلك

قال الله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطـان الرجيم » . ومعنى الاستعاذة فى اللغة : هو الامتناع . وقوله تعالى : « قل أعوذ برب الناس وبرب الفلق » . أى أمتنع به . فأعوذ بالله : ألوذ بالله . وأستعيذ بالله : أستعين بالله . وقولهم : معاذ الله : أى أعوذ به . فأمرنا الله : أن نستعيذ من إبليس . وأمر الله واجب . علينا أن نفعله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثانى والثلاث المائة

فى استدلال إبليس ـ لعنه الله ـ على العبد إذا همّ بالطاعة وكيفية ذلك

سألت بشيرا عمن يهم بالحسنة يفعلها . كيف يصل إبليس إلى علم ذلك ، إن كان يصل ؟

قال : اختلف فى ذلك .

فأما المعتزلة ، فإنهم يقولون : إن إبليس إنما يصل إلى ذلك بالآلة . مثل أن يتناول الرجل بالرمح وغيره .

وقال آخرون غير ذلك .

وأصح ما سمعت : أن قلب ابن آدم ، مثل القارورة ، فى جوفها نار ، أو قال: نور يبصر من خارجها . فإذا همّ العبد بالحسنة ، سطــع ذلك النور إلى دماغه ، فيفترق على ثلاثة أقسام . والشهوة مركبة فى ابن آدم . وهى طبــع فيه ، على قدر الجوع .

فإذا كان كذلك ، أظل إبليس على ذلك النور ، وأعان الشهوة على تضعيف ذلك النور ، فغلبت الشهوة .

وقال سعيد بن محمد : يوجد فى الحديث : أن الإنسان إذا أراد فعل الطاعة ، سطع فى جوفه إلى دماغه نور ، فيراه إبليس . فيحول بينها وبينه ، ويمنيه بالأمانى ، حتى يمنعه من فعل الطاعة .

وقال : إن جوفه مثل القارورة . فإذا فعل الطاعة ، انفتح لها فم ، يسطع منه ذلك النور .

قيـل : فأجاب بهذا لما قيل : كيف يعلم إبليس بما فى الإنسان ، إذا أراد فعل شىء من الطاعة ؟ والله أعلم . وبه التوفيق .

* * *

الباب الثالث والثلاث المائة

فى مكايد إبليس ووسواسه وتزيينه ودعائه إلى المعاصى

قيل: إن الشيطان قاعد فى جانب القلب الأيسر، واضع خرطومه على فم القلب يوسوس . فإذا ذكر الله خنس . وإذا لم يذكر الله وسوس . فهذا الوسواس الخناس ، الذى ذكره الله تعالى . وخرطومه كخرطوم الكلب – فيما قيل – فمن أطاعه فى وسواسه ، ضل وغوى . ومن خالفه ، اهتدى ، ورجع الشيطان منهزماً .

ومعنى إضلال الشيطان : الدعاء إلى الضلالة ، والتزيين للكفر . فمن أطاعه ضل وغوى . ومن عصاه ، سلم واهتدى . وليس إليه من الضلالة شىء ، كما ليس للنبى ﷺ من الهداية شىء . ولو كانت الضلالة إليه ، لأضل الخلق أجمعين .

فإذا أطاع العبد الشيطان فى وسوسته ، واتبع ذلك قيل : أضله الشيطان . كل ذلك لأجل ما دعا إليه وزينه ، من فعل الكفر . فإبليس داع لذلك الكفر .

فالبارىء تعالى ، خالق أفعال العباد ، من ذلك الكفر والضلال . فإذا ضل العبد ، بسوء اختياره ، تركه الله تعالى ، فى ضلاله . ولم يوفقه ولم يعصمه . وخلق الضلال على يديه ، من فعله للضلال والكفر . فهذا إضلال الله للعبد .

وإضلال الشيطان : التزيين والدعاء والوسوسة . وقد تقــدم ذلك وكفى . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الرابع والثلاث المائة

فى إرسال إبليس اللعين على ابن آدم

وتسليطه عليه وبيان ذلك

الإرسال فى كلام العرب ـ على ثلاثة أوجه :

أحدها : إرسال الخبر ، كإرسال الريح العقيم قال تعالى: « إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » .

وإرسال التخلية ، كما يقول الرجل لصاحبه: أرسلت دوابك على هذا العلف، أى لم تمنعها منه بالحبس .

وإرسال إبليس ـ لعنه الله ـ : هو إرسال التخلية قال الله تعالى:« إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين » أى خليناهم ، فلم نمنعهم بالقسر والاضطرار .

وذلك أنه ـ عز وجل ـ نهى إبليس وجنوده عن الكفر والدعاء إليه ، والأمر به ، من غير جبر منه تعالى لذلك .

فالبارئ ـ تعالى ـ لم يأمر إبليس وجنوده ، ويرسلهم على الناس ، تسليطا عليهم بالكفر والفساد ؛ لأنه تعالى يقول : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية . ولو سلطه وجنوده على العباد ، آمرا لهم بذلك ، كما يأمر عباده بالحذر من الشيطان ، بقوله تعالى : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا » لأن الله تعالى، لا يوقع العداوة بين إبليس وجنوده وبنى آدم ويؤرش بينهم . هذا لا يفعله حكيم عليم إله عظيم ـ تعالى الله عن ذلك .

مسألة :

وعن إبليس ـ لعنه الله ـ والعباد كيف يظفر بالعباد من الشرق إلى الغرب ؟

قال : قد ذكر الله : أن له قبيلا ، وهم أعوانه . وقد سمى الشياطين أقرانه .

قلت : وعلى الجن ، له دخول وسلطان ، كما على الإنس ؟

قال : العصاة كلهم ، له عليهم سلطان . وأما القرآن فلم يأت بفرق ذلك .
وبالله التوفيق .

* * *

الباب الخامس والثلاث المائة

فى الفرق بين الوسواس والخاطر

قيل : إن الخاطر خاطران : خاطر الإلهام ، وخاطر الوسواس .

فخاطر الإلهام: ما حملك على معالى الأخلاق والإصابة فى جميع الأسباب .

وخاطر الوسواس : ما يوقعك فى الأباطيل ، ويصرفك عن الحق ، ويلقيك فى الحسابات الكاذبة ، والظنون الردية ، والأخلاق الدنية . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السادس والثلاث المائة

في كيفية الوسوسة والإلهام في القلب

الوسوسة إذا دخلت القلب، فكالدخان في البيت. فما دام الدخان في البيت، فالبيت مظلم، حتى يخرج الدخان منه فيضيء . فكذلك القلب. فما دامت الوسوسة فيه ، فهو قايس مظلم . فإذا خرجت الوسوسة من القلب، وثبت فيه الإلهام ، يكون القلب منورا ، يبصر الحق من الباطل .

والوسوسة من الشيطان . والإلهام من الملك الملهم ، قاعد عن يمين القلب . وإبليس نحو يسار القلب ومسكنهما: الصدر. وقد ذكرنا شرح ذلك، في كتاب التاج . وبالله التوفيق .

* * *

الباب السابع والثلاث المائة

فى الخواطر وأقسامها

من كتاب المجالس :

قال : الخواطر على أربعة : خاطر من الله ، يدعو العبد إلى الانتباه . وخاطر من الملك، يدعو إلى الطاعة . وخاطر من النفس: يدعو إلى التزين والتنعم فى الدنيا. وخاطر من الشيطان ، يدعو إلى الحقد والحسد والعداوة . وبالله التوفيق .

* * *

الباب الثامن والثلاث المائة

فيما يخطر على القلب من الإلحاد فى الله

قال المؤلف : كل شىء خطر ، أو تصور فى الأوهام ، فالبارئ بخلافه ؛ فإن ذلك مخلوق ؛ لأن من اطمأنت نفسه إلى موجود ، ينتهى إليه فكره ، فهو كافر مشبه . وإن اطمأنت نفسه إلى النفى المحض ، فهو معطل كافر .

فمن اطمأنت نفسه إلى شىء ، ينتهى إليه فكره وخاطره ، مما يلحد فى الله ويكفره ، فينفى ذلك عنه . وليقل « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » هذه جملة التوحيد ، يقولها ويعتقدها بعد نفيه ، ما خطر فى قلبه ، من الكفر والإلحاد . وإلا فهو هالك . وبالله التوفيق .

* * *

الباب التاسع والثلاث المائة
فى ذكر طاعة الله تعالى وطاعة الشيطان
وشرح ذلك وأحكامه

قال القاضى أبو محمد نجـاد بن موسى بن نجـاد : وقد قيل : من أجاب ناطقا فقد عبده .

قال : إن كان الناطق عن الله، فقد عبد الله . وإن كان الناطق عن إبليس، فقد عبد إبليس .

فمن قال غير هذا ، فعليه إقامة الدليل .

مسألة :

وأما قولك: إن قوما يعبدون الشيطان . فإن عنيت بالعبادة ، أنهم يطيعون الشيطان فصدق. وإن كنت تزعم أنهم يتخذونه إلها بطاعتهم إياه ، فكذب . ولكنه وليهم . وهم أولياؤه ، بطاعتهم إياه ، فيما أعد الله عليه من النـار . وزعم أنهم لو كانوا يعبدون الله ما عذبهم وبالله التوفيق .

الجواب : أنهم قد عبـــدوا الله ، ببعض عبادته . وذلك أنهم وحدوه ، وأطاعوه ببعض طاعته ولم يعبدوه حق عبادته . وحق عبادته أن يطيعوه فيما أمرهم بتركه ، مما أعد لهم من النار ، على فعله ، ويعملوا ويقولوا جميع ما أمرهم به ، مما أعد لمن فعل ذلك الجنة .

غـــيره :

قال : إن عبادة إبليس ليست عبادة سجود . ولـكن عبادته طاعته .

فمن طاعته الـكذب والزنا واللواطة وشرب الخمر ، وأدق من ذلك ، حتى الغيبة والنميمة ؛ وخيانتك لأخيك فى ماله . وبالله التوفيق .

* * *

الباب العاشر والثلاث المائة

فى خاتمة الكتاب ببداية الهداية وبداية الضلالة

قال المؤلف : فبداية الهداية : أن يطيع الله وحده ، ويكفر بالشيطان وحزبه ويخالفه فى جميع ما يدعو إليه ، مما يورد النار . وتنزّه قولك وعملك واعتقادك ، من العيوب : دقيقها وجليها ، وأعظمها ، وأصعبها ، وأوضحها .

وعلى المريد الهداية ، رفض المدح ، وحب السمعة . فما حُب المدح والسمعة إلا من الرياء . والله تعالى يقول : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » فما دام المرء فى قلبه هذا ، فهو غير مهتد .

وبداية الهداية فى علاج ذلك : أنه إذا دخل قلبه حب المدح والسمعة . وعرف ذلك من نفسه ، نفى ذلك عن قلبه . وعلم أن ليس له عذر ، فى قبول حب المدح والرياء والسمعة ، وإن قل ذلك . ففريضة على المكلفين أجمعين ، كراهية المدح وحب السمعة .

وعلى من أحس بذلك ، أو بشىء من ذلك فى قلبه ، أن ينفيه عن نفسه ، ويستغفر ربه ، من حبه للمدح ، وقبوله له . يقول : اللهم إنى أستغفرك ، وأتوب إليك ، من كل ما خالفت فيه رضاك .

وبداية الضلالة والردى : هى ضد ما وصفنا ، من بداية الهداية . ولهذا شرح طويل ، لو استقصينا عليه . والمريد قد يكفيه هذا ودونه ، لمن أراد الله له الهداية ؛ لأن هذه النكتة التى نكتناها ، فى هذا الباب ، تكفى عن كتب كثيرة ، من كتب الواعظين .

والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله . وسلم تسليما كثيرا . ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

فصل

قيل : إن الليل والنهار والماء والنار والرياح ، كلها أجسام ميتة . وتحركها القدرة .

ولهب النار .

قال بعض : إنه جسم . والريح من ابن آدم : عرض . والرماد جسم .

والسحاب والنجوم والشمس والقمر والسماء والأرض : أجسام . وهى مسخرة .

والبرق والنجاسات : أجسام . والهواء جسم .

قيل لأبى الحسن : مم هو ؟

قال : لا أدرى .

والعلم : علمان . والعقل : عقلان . وكلاهما عرض .

والظل وظلام الليل وضوء النهار ، والحركات فى الإنسان . والسحر والمرض والفعل والقوة والضعف والنوم والخدمة والأعمال، كلها أعراض. وكل ما كان من أحداث الدهر ، فهو عرض : مثل الموت والأمراض ، وما أشبه ذلك .

وأجمعوا أن الشهوة مخلوقة . وهى عرض .

فصل

عن سلمان الدارى قال : لطف الله بعباده ، أن قصّر لهم كنهمعرفته ، حتى لا تتكدر عليهم نعماؤه .

وذلك أنه لو لم ينزل عليهم فى صفته إلا آيةواحدة ، ويجعلها جملة لهم كافية . وهى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » وأنزل فى صفته ألف سورة بسورة البقرة . وجعل لهم أن لايسعهم إلا حفظها ، وإلا كفروا بدون ذلك ، لهلكوا إلا أن يشاء الله . منهم إن شاء نجاه آخر . ولتكدرت عليهم الحياة، كما قال فلما كان فى كل ذلك لا يبلغون إلى كنه معرفته ، وكان فى الاختصار كذلك أيضا . فآلَ كله إلى معنى واحد ، كان التخفيف على العباد فى الحكمة ، أولى من التكليف ، فيما لايطاق . وبالله التوفيق . وهو حسبنا ، ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبى ، وعلى آله وصحبه وسلمْ تسليما .

* * *

وقع الفراغ ، من كتابة هذا الكتاب . وهو كتاب « النور » ومختصر فى توحيد الله الغفور الشكور .

ألفه الشيخ العالم الفقيه عثمان بن أبى عبد الله الأصم عن الفحشاء .

وكان سبب تأليفه : سأله إياه أخوه إبراهيم بن محمد السمالى ، لما نشأ ولده أحمد متعلما .

والحمد لله .

وكان تمامه يوم الخميس، لليلة بقيت من شهر جمادى الأولى، سنة ستة وسبعين سنة ومائة سنة وألف سنة من الهجرة .

على يدى مالك قرطاسه ، الفقير لله تعالى : عبد الله بن بشير بن مسعود بن سعيد بن عمر الحضرمى الصحارى بيده .

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ١٤٠٦
الرقم الخاص : ٢١٤/١

فهرس كتاب النور

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الأول :
	فى التوحيد واختلاف الناس فى البارئ عز وجل .
٧	الباب الثانى :
	فى جملة التوحيد .
٨	الباب الثالث :
	فى الإلحاد .
٩	الباب الرابع :
	فى لزوم النظر والاستدلال على الله عز وجل .
١١	الباب الخامس :
	فى معرفة الله عز وجل .
١٢	الباب السادس :
	فى كيفية استدلال المنقطع عن الناس أو فى أرض الكفرة .
١٣	الباب السابع :
	فى بيان معرفة الله تعالى أنها تقع اضطرارا أو اكتسابا .
١٤	الباب الثامن :
	فى كيف استدل بالشاهد على الغائب .

الصفحة	الموضوع
١٥	الباب التاسع :
	فى البارىء عز وجل هل عرف برسله أم رسله عرفوا به ؟
١٧	الباب العاشر :
	فى الدليل على أن الله تعالى شىء موجود .
١٨	الباب الحادى عشر :
	فى الدليل على أن الله تعالى شىء لا كالأشياء .
٢٠	الباب الثانى عشر :
	فى الدليل على حدث العالَم .
٢١	الباب الثالث عشر :
	فى الدليل على أنه لابد للعالَم من محدث أحدثه .
٢٢	الباب الرابع عشر :
	فى الدليل على أن خالق الأشياء واحد .
٢٣	الباب الخامس عشر :
	فى الدليل على أن الخالق لايشبه المخلوق.
٢٤	الباب السادس عشر :
	فى الموات التى ذكرتها الديصانية أنها عند الله .
٢٥	الباب السابع عشر :
	فى الرد على من قال : إن هذه الأجسام يحدثها محدث أحدثه الله .

الصفحة	الموضوع
٢٦	الباب الثامن عشر :
	فى الرد على من قال : إن الله خلق خلقه لعلة .
٢٧	الباب التاسع عشر :
	فى حدث الجواهر التى هى أصول الأجسام المركبة ، وعرض وحدث الأعراض الفانية بالجوهر .
٢٨	الباب العشرون :
	فى الدليل على المجتمع أنه مجتمع باجتماع هو غيره والمفترق مفترق بافتراق هو غيره .
٢٩	الباب الحادى والعشرون :
	فى الدليل على حدث الاجتماع والافتراق .
٣٠	الباب الثانى والعشرون :
	فى المكان والدليل على حدثه .
٣١	الباب الثالث والعشرون :
	فى الزمان والدليل على حدثه .
٣٢	الباب الرابع والعشرون :
	فى الوقت والدليل على حدثه من كتاب الأكلة .
٣٣	الباب الخامس والعشرون :
	فى الهواء والاختلاف فيه والدليل على حدثه والرد على الهوائية .
٣٥	الباب السادس والعشرون :
	فى الفلك والرد على الفلكية .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٦	الباب السابع والعشرون :
	فى الدليل على حدث النجوم والرد على أصحاب النجوم .
٣٧	الباب الثامن والعشرون :
	فى الرد على من احتج بقدم العالَم بأن لانطفة إلامن إنسان ولا إنسان إلا من نطفة ولا بيضة إلا من طير ولاطير إلا من بيضة .
٤٠	الباب التاسع والعشرون :
	فى الرد على الدهرية الذين ذكرهم الله فى القرآن .
٤٢	الباب الثلاثون :
	فى الرد على أهل الطبائع .
٤٣	الباب الواحد والثلاثون :
	فى الرد على من قال : بالظلمات والنور من المجوس وهم المانوية .
٤٦	الباب الثانى والثلاثون :
	فى الرد على من قال من النصارى : إن الله جوهر ـ تعالى الله عن ذلك.
٤٩	الباب الثالث والثلاثون :
	فى الرد على من يقول من اتخاذ الكلمة بجسد المسيح .
٥١	الباب الرابع والثلاثون :
	فى الرد على من قال : إن الإيجاد هو الادراع .
٥٦	الباب الخامس والثلاثون :
	فى الرد على من قال من النصارى باللاهوت والناسوت . معنى قولهم : عيسى لاهوتى ناسوتى لاهوتى للأب ناسوتى للأم أى هى من الناس.

رقم الصفحة	الموضوع
٥٧	الباب السادس والثلاثون :
	فى الرد على اليعقوبية من النصارى .
٦٠	الباب السابع والثلاثون :
	فى الرد عليهم لقلبهم اسم المسيح عن معانى الحق والعدل .
٦٣	الباب الثامن والثلاثون :
	فى الرد على أهل السبت من النصارى وهم النسطورية .
٦٨	الباب التاسع والثلاثون :
	فى الرد على من زعم من النصارى أن المسيح ابن الله. تعالى الله عن ذلك .
٧٢	الباب الأربعون :
	فى الرد على النصارى قولهم : إذا جاز أن يكون إبراهيم خليلا جاز أن يكون عيسى ابنا لله .
٧٣	الباب الواحد والأربعون :
	فى معنى ما قال الله تعالى فى عيسى ـ عليه السلام ـ : إن روحه وكلمته ألقاها إلى مريم .
٧٤	الباب الثانى والأربعون :
	فى التشبيه ومعانيه وبيان ذلك .
٧٥	الباب الثالث والأربعون :
	فى نفى التشبيه عن الله عز وجل .

رقم الصفحة | الموضوع

٧٦ الباب الرابع والأربعون :
فى القول فى ذات البارئ : أشخص هو ؟ أم لا ؟ والرد على المشبهة .

٧٩ الباب الخامس والأربعون :
فى نفى جوارح الصورة عن الله عز وجل .

٨١ الباب السادس والأربعون :
فى النفس وتفسيرها والرد على من قال : إن لله نفسا منفوسة ــ تعالى الله .

٨٣ الباب السابع والأربعون :
فى الروح وتفسيرها ونفى الروح المعقولة عن الله . والرد على من يثبت لله روحا .

٨٥ الباب الثامن والأربعون :
فى العين وتفسيرها والرد على من زعم أن لله عينا كالأعين المعقولة تعالى الله .

٨٧ الباب التاسع والأربعون :
فى الوجه وتفسيره والرد على من قال : إن لله وجها حقيقيا ــ تعالى الله .

٨٩ الباب الخمسون :
فى السمع ونفى السمع المعقول عن الله عز وجل .

٩٠ الباب الواحد والخمسون :
فى البصر وتفسيره والرد على من قال : إن لله بصرا كالمحدثين .

٩١ الباب الثانى والخمسون :
فى النظر إلى البارئ وتفسيره والرد على من أضافه إلى الله وحققه عليه .

رقم الصفحة	الموضوع
٩٤	الباب الثالث والخمسون :
	فى اليد وتفسيرها والرد على من زعم من المشبهة أن لله تعالى يدا معقولة.
٩٦	الباب الرابع والخمسون :
	فى اليمين وتفسيرها والرد على من أثبت لله تعالى يمينا معقولة .
٩٧	الباب الخامس والخمسون :
	فى القبضة وتفسيرها والرد على من أضافها إلى الله تعالى .
٩٩	الباب السادس والخمسون :
	فى الأصابع وتفسيرها ونفيها عن الله عز وجل .
١٠٠	الباب السابع والخمسون :
	فى الجنب وتفسيره ونفى الجنب المعقول عن الله عز وجل .
١٠١	الباب الثامن والخمسون :
	فى الساق وتفسيرها ونفى الساق المعقولة عن الله عز وجل .
١٠٣	التاسع والخمسون :
	فى القدم وتفسيرها ونفى القدم المعقولة عن الله عز وجل .
١٠٤	الباب الستون :
	فى القيام ونفى الانتصاب على الأقدام عن الله عز وجل .
١٠٥	الباب الواحد والستون :
	فى الكلام ونفى الكلام المعقول عن الله عز وجل .
١٠٦	الباب الثانى والستون :
	فى الضحك وتفسيره ونفى الضحك المعقول عن الله عز وجل .

رقم الصفحة — الموضوع

١٠٧ الباب الثالث والستون :
في القوة وتفسيرها ونفي القوة العرضية المعقولة عن الله تعالى .

١٠٨ الباب الرابع والستون :
في النور وتفسيره ونفي النور المعقول عن الله عز وجل .

١٠٩ الباب الخامس والستون :
في الأمكنة والنواحي والأقطار ونفيها عن الباريء تعالى .

١١٠ الباب السادس والستون :
في الزوال والمجيء المعقولين ونفيهما عن الله رب العالمين .

١١١ السابع والستون :
في الحجاب وتفسير ذلك ونفيه عن الله عز وجل .

١١٣ الباب الثامن والستون :
في الارتفاع ونفيه والعلو المعقولين بالمسافة عن الله تعالى .

١١٤ الباب التاسع والستون :
في عند ومع وإلى والدنو والتقرب والرد على المشبهة فيما احتجت به من جواز المكان على الله .

١١٦ الباب السبعون :
في الاستواء على العرش ونفي القعود المعقول عليه عن الله عز وجل . وذكر الكرسي .

١١٨ الباب الواحد والسبعون :
في معنى استحياء الله عز وجل وإحصائه للخلق وحسابهم .

رقم الصفحة	الموضوع
١٢٠	الباب الثانى والسبعون :
	فى الرد على زعم أن الله تعالى خلق لنفسه الجوارح .
١٢١	الباب الثالث والسبعون :
	فى كلام الله عز وجل أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟
١٢٤	الباب الرابع والسبعون :
	فى كلام الله عز وجل لموسى بن عمران ﷺ .
١٢٦	الباب الخامس والسبعون :
	فى شى من الفروق .
١٢٩	الباب السادس والسبعون :
	فى علم البارئ أزلى هو أم محدَث .
١٣٠	الباب السابع والسبعون :
	فى البارئ تعالى أنه عالم بنفسه أو أنه عالم بعلم هو غيره ؟
١٣١	الباب الثامن والسبعون :
	فى علم الله هو الله أم غير الله ؟
١٣٢	الباب التاسع والسبعون :
	فى الرد على الجهمية قولهم : إن الله لم يعلم ما يكون قبل أن يكون .
١٣٣	الباب الثمانون :
	فى علم الله السابق فى عباده من خير وشر ونفع وضر هل ساق العباد إلى ما عملوا ؟ أم لا ؟

الصفحة	الموضوع
١٣٤	الباب الواحد والثمانون :
	فى التوفيق والخذلان قيل : إن التوفيق هو القدرة على الطاعة .
١٣٥	الباب الثانى والثمانون :
	فى العلم والقدرة والإرادة والمشيئة أزلى ذلك ؟ أم محدث ؟
١٣٧	الباب الثالث والثمانون :
	فى بيان أقسام مشيئة الله تعالى وإرادته فى جميع مخلوقاته ـ من الضياء .
١٣٩	الباب الرابع والثمانون :
	فى الاستطاعة والدليل أنها مع الفعل والرد على من قال : إنها قبل الفعل .
١٤٢	الباب الخامس والثمانون :
	فى أن العبد مستطيع باستطاعة هى غيره .
١٤٣	الباب السادس والثمانون :
	فى الكفار هل يستطيعون الإيمان أم لا ؟
١٤٤	الباب السابع والثمانون :
	فى الجبر على الطاعة والمعصية والرد على المجبرة .
١٤٦	الباب الثامن والثمانون :
	فى التفويض .
١٤٨	الباب التاسع والثمانون :
	فى القضاء والقدر والرد على القدرية .

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٠	الباب التسعون :
	فى الرد على القدرية .
١٥٣	الباب الحادى والتسعون :
	فى أعمال بنى آدم وأقوالهم من خير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية والدليل على أن الله تعالى قضى ذلك وقدره وتصرف القضاء والقدر ووجوهه وأقسامه .
١٥٧	الباب الثانى والتسعون :
	فى من قال : إن الله أمر بالإيمان ولم يرده ونهى عن الكفر وأراده .
١٥٨	الباب الثالث والتسعون :
	فى من قال : إن الله أراد الإيمان ولم يرد الكفر .
١٥٩	الباب الرابع والتسعون :
	فى مقالة المعتزلة فى إرادة الله تعالى .
١٦٠	الباب الخامس والتسعون :
	فى بيان النهى عن المعصية مع إرادة الله لها وعلمه بها .
١٦١	الباب السادس والتسعون :
	فى قضاء الله الكفر ثم يعذب عليه .
١٦٢	الباب السابع والتسعون :
	فى قضاء الله الكفر ثم يعذب عليه أيضا .
١٦٣	الباب الثامن والتسعون :
	فى خلق الله أفاعيل العباد والرد على القدرية فى إنكار ذلك .

رقم الصفحة	الموضوع
١٦٨	الباب التاسع والتسعون : في الدليل على خلق الفعل من السنة .
١٧٠	الباب المائة : في تفسير قولهم : يجب الإيمان بالقضاء خيره وشره .
١٧١	الباب الواحد والمائة : في بيان من استحق أن يلقب بالقدر ومن أولى بذلك .
١٧٢	الباب الثانى والمائة : فى الامتحان وجهه والحكمة فيه والرد على من أبى حكمه .
١٧٣	الباب الثالث والمائة : فى التكليف ووجهه والحكمة فى ذلك .
١٧٦	الباب الرابع والمائة : فى لزوم التكليف وأقسام اللازمات فيه .
١٧٩	الباب الخامس والمائة : فى تكليف المنفرد عن الناس وشبه ذلك وما يجب عليه من ذلك .
١٨٠	الباب السادس والمائة : فى تكليف الكفار .
١٨٢	الباب السابع والمائة : فى بيان ما كلفه الله الكفار .

رقم الصفحة الموضوع

١٨٣ الباب الثامن والمائة :

في الحكمة في تكليف من علم الله أنه لايؤمن من خلقه وهو يعلم أنه لايؤمن وبيان ذلك .

١٨٤ الباب التاسع والمائة :

في الرد على من قال : إن أهل الجنة مكلفون في الجنة .

١٨٥ الباب العاشر والمائة :

في الرد على من قال : هل ابتدأ الله الخلق ؟ في الجنة وأرواحهم من التكليف .

١٨٦ الباب الحادى عشر والمائة :

في القول في ترك الله منع المعاصى مع القدرة على ذلك .

١٨٧ الباب الثانى عشر والمائة :

في العبادة واختلاف الناس في كيفية خلق الله الخلق لعبادته .

١٨٨ الباب الثالث عشر والمائة :

في كيفية اعتقاد تأدية العبادة لله عز وجل .

١٨٩ الباب الرابع عشر والمائة :

في حق الله على عباده المكلفين .

١٩٠ الباب الخامس عشر والمائة :

في أن الله تعالى كلف العباد استطاعتهم وطاقتهم ، وذكر تكليف ما لا يطاق ونفى ذلك عن الله عز وجل .

الصفحة	الموضوع
١٩٢	الباب السادس عشر والمائة :
	فى التخفيف بعد التثقيل والتثقيل بعد التخفيف .
١٩٣	الباب السابع عشر والمائة :
	فى حجج الله تعالى على عباده المكلفين .
١٩٥	الباب الثامن عشر والمائة :
	فى القول بالرسل واستحسان إرسالهم إلى عباده المكلفين .
١٩٦	الباب التاسع عشر والمائة :
	فى بيان ثبوت حجة الرسل وبم يلزم تصديقهم وتكون حجة الله تعالى عند ذلك .
١٩٧	الباب العشرون والمائة :
	فى تثبيت نبوة محمد عليه السلام والرد على من أنكر نبوته والحجة فى ذلك .
١١٩	الباب الحادى والعشرون والمائة :
	فى الرد على اليهود فى إنكارهم لنبوة نبينا محمد ﷺ .
٢٠١	الباب الثانى والعشرون والمائة :
	فى الرد على من قال كيف لزمت حجة القرآن الهند والترك والعجم .
٢٠٢	الباب الثالث والعشرون والمائة :
	فى الرد على من قال من اليهود : إن رسول الله لم يبعث بعد وأنه عليه السلام سيبعث .

رقم الصفحة	الموضوع

٢٠٤	الباب الرابع والعشرون والمائة :
في شرائع الدين وأحكام الدين وتناسخ الشرائع وماذا على من أدرك النبي الثاني وهو على ملة النبي الأول . والخلاف على اليهود في إنكارهم النسخ عن أبي سعيد محمد بن سعيد .

٢١١	الباب الخامس والعشرون والمائة :
في تناسخ الشرائع والرد على اليهود في إنكارهم النسخ إذ هو عندهم بد وأن من كتب أهل الخلاف مكتوب عليه: موافق .

٢١٢	الباب السادس والعشرون والمائة :
في الفرق بين البدا والنسخ من الكتاب مكتوب عليه : موافق .

٢١٣	الباب السابع والعشرون والمائة :
في الرد على من قال بالأوصياء بعد رسول الله ﷺ .

٢١٥	الباب الثامن والعشرون والمائة :
في من لم يصدق بالأخبار المذكورة من معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام .

٢١٧	الباب التاسع والعشرون والمائة :
في الأنبياء هل يجوز أن يقال فيهم : إنهم يعصون الله ؟

٢٢٠	الباب الثلاثون والمائة :
في التوفيق والعصمة والخذلان والختم والطبع والأكنة والوقر .

٢٢٣	الباب الواحد والثلاثون والمائة :
في الهدى والضلال والرد على القدرية في ذلك

رقم الصفحة الموضوع

٢٢٦ الباب الثانى والثلاثون والمائة :

في الرضى والمحبة والسخط والغضب من الله لعباده .

٢٢٧ الباب الثالث والثلاثون والمائة :

فى حب العباد لله عز وجل .

٢٢٨ الباب الرابع والثلاثون والمائة :

فى تكليف العباد من علم الله أنه لايؤمن . والرد والبيان لمن تشبه في ذلك .

٢٣١ الباب الخامس والثلاثون والمائة :

فى الوعد والوعيد والرد على الشكاك .

٢٣٣ الباب السادس والثلاثون والمائة :

فى الرد على من قال : إن الخلود فى النار خاص لأهل الشرك وأما الموحدون فلا .

٢٣٥ الباب السابع والثلاثون والمائة :

فى المنزلة بين المنزلتين .

٢٣٦ الباب الثامن والثلاثون والمائة :

فى التائب هل يجوز أن يأمن من العذاب ؟

٢٣٧ الباب التاسع والثلاثون والمائة :

فى الآجال والرد على المعتزلة فى ذلك .

رقم الصفحة — الموضوع

٢٣٨ الباب الأربعون والمائة .
في البعث والرد على الدهرية ومن لايعتقد الخلق وبعث المخلوقين .

٢٣٩ الباب الواحد والأربعون والمائة :
في اختلاف الموحدين هل يبعث الله جميع الخلق أم لا ؟

٢٤١ الباب الثاني والأربعون والمائة :
في الرد على من قال : إن قبل يوم القيامة بعثا قبل يوم البعث .

٢٤٢ الباب الثالث والأربعون والمائة :
في عذاب القبر ومنكر ونكير .

٢٤٤ الباب الرابع والأربعون والمائة :
في ذكر ذهاب السموات السبع والأرضين السبع يوم القيامة .

٢٤٥ الباب الخامس والأربعون والمائة :
في الحساب والجزاء يوم القيام ودخول الجنة والنار .

٢٤٧ الباب السادس والأربعون والمائة :
في الشفاعة ومن يستحقها .

٢٤٨ الباب السابع والأربعون والمائة :
في الصراط والرد على من قال: إنه صراط مستقيم محدود كحدالسيف،

٢٤٩ الباب الثامن والأربعون والمائة :
في الميزان والرد على من قال : يوم القيامة ميزان حقيق .

الموضوع	رقم الصفحة
الباب التاسع والأربعون والمائة .	٢٥١
فى الورود وهو المرور بالنار والرد على من قال : إنه الدخول نفسه .	
الباب الخمسون والمائة :	٢٥٢
فى الخلود فى النار والرد على من قال بالخروج منها .	
الباب الواحد والخمسون والمائة :	٢٥٤
فى الحكمة فى خلود أهل النار والتفاضل فى الثواب والعقاب .	
الباب الثانى والخمسون المائة :	٢٥٥
فى الجنة والنار أخلقتا أم لا ؟	
الباب الثالث والخمسون والمائة :	٢٥٦
فى خلود أهل الجنة والنار كيف بقوا ؟ هل بقوا كبقاء الله ؟ والحكمة فى بقائهم .	
الباب الرابع والخمسون والمائة :	٢٥٧
فى سؤالات أهل العناد والعنت للمسلمين .	
الباب الخامس والخمسون والمائة :	٢٥٨
فى الرد على من قال : إن الجنة التى دخلها آدم إنما كانت بستانا من بساتين الدنيا .	
الباب السادس والخمسون والمائة :	٢٥٩
فى الرد على من قال من الجهمية : إن الجنة والنار تفنيان فى الآخرة ، وأن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنى ، وأنه إلى مدة .	

رقم الصفحة | الموضوع

٢٦٠ الباب السابع والخمسون والمائة :
في خلق الله الخلق . لِمَ خلقهم ورزقهم وأماتهم وحاسبهم وأثابهم وعذبهم ؟
٢٦٢ الباب الثامن والخمسون والمائة :
في أن الله خلق الخلق لينفعهم .
٢٦٣ الباب التاسع والخمسون والمائة :
في نعمة الله تعالى على العباد .
٢٦٤ الباب الستون والمائة :
في الرزق والرد على المعتزلة في ذلك .
٢٦٥ الباب الواحد والستون والمائة :
في الأسعار ممن هي ؟
٢٦٦ الباب الثاني والستون والمائة :
في كيف جعل الله أبدان المكلفين تغتذى بالحلال والحرام ؟
٢٦٧ الباب الثالث والستون والمائة :
في الحكمة في ذبح الحيوانات وإيلامها .
٢٦٨ الباب الرابع والستون والمائة :
في إيلام الدواب والبهائم والأطفال والحكمة في ذلك .
٢٧٠ الباب الخامس والستون والمائة :
في إيلام المكلفين والحكمة في ذلك .

رقم الصفحة   الموضوع

٢٧١ الباب السادس والستون والمائة :
في خلق السباع والهوام والأمراض والأرانيج المكروهة والآلام .

٢٧٢ الباب السابع والستون والمائة :
في أطفال الكفار والمنافقين ، أمؤمنون هم أم كافرون ؟

٢٧٣ الباب الثامن والستون والمائة :
في السؤال في الأطفال كيف يدخلون الجنة ، ولا عمل لهم . والجنة لا تدخل إلا بعمل ؟

٢٧٤ الباب التاسع والستون والمائة :
في النسيان ، أمن البارئ هو أم من الشيطان ؟

٢٧٥ الباب السبعون والمائة :
في حكم ما يوجبه العقل في التوحيد . هل يؤخذ به أم لا ؟ إذا أوجبه عقل السامع له والقارئ له . والفُتيا بما يوجبه عقل السامع والقارئ ، ونحو ذلك .

٢٧٦ الباب الواحد والسبعون والمائة :
في الأسماء ومعانيها واشتقاقها ، وما يدل على مسمياتها .

« الباب الثاني والسبعون والمائة :
في أقسام أسماء الله تعالى

٢٧٨ الباب الثالث والسبعون والمائة :
في بيان أقسام أسماء الله ووجوبها ، أنها هي هو ؟ أم غيره ؟ أم هي لا هي هو ولا غيره ؟

الصفحة	الموضوع
٢٧٩	الباب الرابع والسبعون والمائة :
	فى أسمائه تعالى أمحدثة هى أم قديمة ؟
٢٨١	الباب الخامس والسبعون والمائة :
	فى اختلاف الناس فى أسماء الله تعالى . هل هى هو ؟ أم غيره ؟ أم لا هى هو ولا هى غيره ؟
٢٨٢	الباب السادس والسبعون والمائة :
	فى من قال : إن اسم الله هو الله .
٢٨٣	الباب السابع والسبعون والمائة :
	فى قول من يقول : إن اسم الله هو غيره .
٢٨٥	الباب الثامن والسبعون والمائة :
	فى من يقول : إن اسم الله تعالى لا هو هو ، ولا هو غيره .
٢٨٦	الباب التاسع والسبعون والمائة :
	فى بيان الأسماء من الصفات .
٢٨٧	الباب الثمانون والمائة :
	فى أسماء الله الذاتية والصفاتية والفرق بين أسماء الذات وأسماء الصفات.
٢٨٩	الباب الواحد والثمانون والمائة :
	فى ذكر اسمه عز وجل : الله .
٢٩١	الباب الثانى والثمانون والمائة :
	فى الرحمن الرحيم .

الصفحة	الموضوع
٢٩٣	الباب الثالث والثمانون والمائة :
	فى ذكر اسمه عز وجل : الرب .
٢٩٥	الباب الرابع والثمانون والمائة :
	فى المالك والملك والمليك .
٢٩٦	الباب الخامس والثمانون والمائة :
	فى السلام .
٢٩٧	الباب السادس والثمانون والمائة :
	فى المؤمن .
٢٩٨	الباب السابع والثمانون والمائة :
	فى المهيمن .
٢٩٩	الباب الثامن والثمانون والمائة :
	فى العزيز .
٣٠١	الباب التاسع والثمانون والمائة :
	فى الجبار .
٣٠٢	الباب التسعون والمائة :
	فى المتكبر .
٣٠٣	الباب الواحد والتسعون والمائة :
	فى ذكر الخالق والخلاق .

رقم الصفحة الموضوع

٣٠٥ الباب الثانى والتسعون والمائة :
في ذكر البارىء .

٣٠٦ الباب الثالث والتسعون والمائة :
فى المصور .

٣٠٧ الباب الرابع والتسعون والمائة :
فى الرءوف .

٣٠٨ الباب الخامس والتسعون والمائة :
فى الأول والآخر .

٣١٠ الباب السادس والتسعون والمائة :
فى الظاهر والباطن .

٣١١ الباب السابع والتسعون والمائة :
فى الفتاح .

٣١٢ الباب الثامن والتسعون والمائة :
فى الحكيم .

٣١٣ الباب التاسع والتسعون والمائة :
فى العليم والعالم والعلّام .

٣١٤ الباب المائتان :
فى الحليم .

رقم الصفحة　　　　　　　　　　　　الموضوع

٣١٥　الباب الواحد والمائتان :
في القديم .
٣١٦　الباب الثاني والمائتان :
في السميع .
٣١٧　الباب الثالث والمائتان :
في البصير .
٣١٨　الباب الرابع والمائتان :
في سبوح .
٣٢٠　الباب الخامس والمائتان :
في ذكر قدوس .
٣٢١　الباب السادس والمائتان :
في ذكر الجواد .
٣٢٣　الباب السابع والمائتان :
في الكريم .
٣٢٤　الباب الثامن والمائتان :
في الودود .
٣٢٦　الباب التاسع والمائتان :
في الحي .

رقم الصفحة الموضوع

٣٢٧ الباب العاشر والمائتان :

في العلى الجليل العظيم الرفيع الشريف .

٣٣٠ الباب الحادى عشر والمائتان :

في العظيم .

٣٣١ الباب الثانى عشر والمائتان :

في القيوم .

٣٣٢ الباب الثالث عشر والمائتان:

في القادر والقدير والمقتدر .

٣٣٤ الباب الرابع عشر والمائتان :

في ذكر القاهر والقهار .

٣٣٥ الباب الخامس عشر والمائتان :

في الوتر .

٣٣٦ الباب السادس عشر والمائتان :

في البارّ .

٣٣٧ الباب السابع عشر والمائتان :

في اللطيف .

٣٣٨ الباب الثامن عشر والمائتان :

في ذكر القوى .

الصفحة	الموضوع
٣٣٩	الباب التاسع عشر والمائتان : في المقيت .
٣٤٠	الباب العشرون والمائتان : في العفوّ .
٣٤١	الباب الواحد والعشرون والمائتان : في الغفور والغفار .
٣٤٢	الباب الثانى والعشرون والمائتان : في الحجيب .
٣٤٣	الباب الثالث والعشرون والمائتان : في ذكر الشكور .
٣٤٤	الباب الرابع والعشرون والمائتان : في الحميد .
٣٤٥	الباب الخامس والعشرون والمائتان : في الواسع .
٣٤٦	الباب السادس والعشرون والمائتان : في الماجد والمجيد .
٣٤٧	الباب السابع والعشرون والمائتان : في الوكيل .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٩	الباب الثامن والعشرون والمائتان : في الكفيل .
٣٥٠	الباب التاسع والعشرون والمائتان : في الباعث .
٣٥١	الباب الثلاثون والمائتان : في الديان .
٣٥٢	الباب الواحد والثلاثون والمائتان : في المنان .
٣٥٣	الباب الثانى والثلاثون والمائتان : في الحنأن .
٣٥٤	الباب الثالث والثلاثون والمائتان : في السند .
٣٥٥	الباب الرابع والثلاثون والمائتان : في فالق الحب .
٣٥٦	الباب الخامس والثلاثون والمائتان . في ذى الطّول .
٣٥٧	الباب السادس والثلاثون والمائتان : في الوهاب

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥٨	الباب السابع والثلاثون والمائتان :
	فى الرازق والرزاق
٣٥٩	الباب الثامن والثلاثون والمائتان :
	فى الجليل .
٣٦٠	الباب التاسع والثلاثون والمائتان :
	فى الحق المبين .
٣٦١	الباب الأربعون والمائتان :
	فى الصادق .
٣٦٢	الباب الواحد والأربعون والمائتان .
	فى الغنى .
٣٦٣	الباب الثانى والأربعون والمائتان :
	فى الوارث .
٣٦٤	الباب الثالث والأربعون والمائتان :
	فى الشهيد .
٣٦٥	الباب الرابع والأربعون والمائتان :
	فى الخبير .
٣٦٦	الباب الخامس والأربعون والمائتان :
	فى الأمين .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٦٧	الباب السادس والأربعون والمائتان : في الكبير .
٣٦٨	الباب السابع والأربعون والمائتان : في الدائم .
٣٦٩	الباب الثامن والأربعون والمائتان : في الباقي .
٣٧٠	الباب التاسع والأربعون والمائتان : في السيد .
٣٧١	الباب الخمسون والمائتان : في القريب .
٣٧٢	الباب الواحد والخمسون والمائتان : في المقسط .
٣٧٣	الباب الثاني والخمسون والمائتان : في الطالب المدرك .
٣٧٤	الباب الثالث والخمسون والمائتان : في المفضل
٣٧٥	الباب الرابع والخمسون والمائتان : في المولى والولي

الصفحة	الموضوع
٣٧٦	الباب الخامس والخمسون والمائتان : في النصير .
٣٧٧	الباب السادس والخمسون والمائتان : في المتين .
٣٧٨	الباب السابع والخمسون والمائتان . في الهادى .
٣٧٩	الباب الثامن والخمسون والمائتان : في شديد العقاب .
٣٨٠	الباب التاسع والخمسون والمائتان : في الناصر المؤمنين .
٣٨١	الباب الستون والمائتان : في العدل والعادل .
٣٨٣	الباب الواحد والستون والمائتان : في الواحد الأحد .
٣٨٥	الباب الثانى والستون والمائتان : في الفرد .
٣٨٦	الباب الثالث والستون والمائتان : في الصمد .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٨٧	الباب الرابع والستون والمائتان : في ذكر لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .
٣٨٨	الباب الخامس والستون والمائتان : في الإشارة كقوله : قل هو الله أحد وفى قوله : هـو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة .
٣٨٩	الباب السادس والستون والمائتان : في ذكر الأسماء الحسنى . وتفضيل الأسماء بعضها على بعض .
٣٩١	الباب السابع والستون والمائتان : فى الدعاء ومدحه وفضله وما يجوز فيه ، وما لا يجوز .
٣٩٣	الباب الثامن والستون والمائتان : فى ما يستحب أو يكره فى الدعاء من الحركات والأصوات .
٣٩٤	الباب التاسع والستون والمائتان : فى ما يجوز أن يدعَى الله به وما لا يجوز .
٣٩٦	الباب السبعون والمائتان : فى الحاجات والمآرب والأمور التى يجوز أن يسألها الله تعالى ، أو لا يجوز .
٣٩٧	الباب الواحد والسبعون والمائتان : فى سؤال المحال عن حقيقته وصفاته الذاتية والفعلية .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩٨	الباب الثانى والسبعون والمائتان : فيما يجوز وما لايجوز فى الدعاء من أسماء الله الذاتية والفعلية .
٤٠٢	الباب الثالث والسبعون والمائتان : فى نفس البارئ وذاته يذكره الراعى فى دعائه . وما يجوز من ذلك ، وما لا يجوز .
٤٠٤	الباب الرابع والسبعون والمائتان : مايجوز فى الدعاء وما لايجوز .
٤٠٩	الباب الخامس والسبعون والمائتان : فى الاستخارة والاستشارة ، وبيان ذلك .
٤١٠	الباب السادس والسبعون والمائتان : فى السؤال بأسمائه التى دعاه بها أنبياؤه — عليهم السلام .
٤١١	الباب السابع والسبعون والمائتان : فى مايدعى الله به على الحقيقة والمجاز ، وبيان ذلك .
٤١٢	الباب الثامن والسبعون والمائتان : فى من يسأل الله برحمته ومنّه وكرمه .
٤١٥	الباب التاسع والسبعون والمائتان : فى من يسأل الله تعالى بحق أنبيائه عليه ، أو بحرمتهم ، أو أحد من خلقه .

رقم الصفحة　　　　　　　　　الموضوع

٤١٨　الباب الثمانون والمائتان :
في إجابة الدعاء ورده وسرعته وتأخيره .
٤٢٠　الباب الواحد والثمانون والمائتان :
في من يذكر الله بلا معنى ، أو يدعوه بلا معنى ، أو يذكره في غير موضع الذكر .
٤٢١　الباب الثاني والثمانون والمائتان :
في الصفات ومعانيها وأقسامها وأحكامها .
٤٢٤　الباب الثالث والثمانون والمائتان :
في الدليل على أن الله تعالى لا يوصف بصفة إلا بعد أن يعرف بها معنى ما يتكلم به ويصف به البارىء تعالى أو غيره وأحكام ذلك .
٤٢٥　الباب الرابع والثمانون والمائتان :
في ما يجوز من الصفات حقيقة ومجازا ، وما يجوز أن يوصف الله تعالى به ، وما لا يجوز .
٤٣٨　الباب الخامس والثمانون والمائتان :
فيما يجوز من الصفات ، ومالا يجوز .
٤٤٧　الباب السادس والثمانون والمائتان :
في التعجب .
٤٥٦　الباب السابع والثمانون والمائتان :
في الكيفية والأينية والامية والكمية .

٤٥٨ الباب الثامن والثمانون والمائتان :
في الحروف .
٤٦٠ الباب التاسع والثمانون والمائتان :
في ليث .
٤٦١ الباب التسعون والمائتان :
في الملائكة وما جاء فيهم .
٤٦٢ الباب الواحد والتسعون والمائتان :
في الملائكة هل يعصون الله أم لا ؟
٤٦٣ الباب الثاني والتسعون والمائتان :
في الملكين الحافظين .
٤٦٤ الباب الثالث والتسعون والمائتان :
في إبليس ـ لعنه الله ـ والجن والشياطين ، وما جاء فيهم .
٤٦٥ الباب الرابع والتسعون والمائتان :
في الجن هل يدخلون في ابن آدم أم لا ؟
٤٦٦ الباب الخامس والتسعون والمائتان :
في الجن هل يعلمون الغيب ؟
٤٦٧ الباب السادس والتسعون والمائتان :
في إلقاء الشياطين للكلام على الكهان .
٤٦٨ الباب السابع والتسعون والمائتان :
في رؤية الجن وغزوهم .

رقم الصفحة	الموضوع
٤٦٩	الباب الثامن والتسعون والمائتان :
	فى ذكر انقلاب إبليس والجن والشياطين والسحرة عن صورهم .
٤٧٠	الباب التاسع والتسعون والمائتان :
	فى اختفاء إبليس والجن ، والحكمة فى تغييبهم عن الأبصار .
٤٧١	الباب الثلاثمائة :
	فى خلق إبليس ـ لعنه الله ـ والحكمة فى ذلك ، وذكر معصيته لله تعالى .
٤٧٢	الباب الواحد والثلاثمائة :
	فى الاستعاذة من إبليس ـ لعنه الله ـ ومعانيها ، والحكمة فى ذلك .
٤٧٣	الباب الثانى والثلاثمائة :
	فى استدلال إبليس على العبد إذا همّ بالطاعة ، وكيفية ذلك .
٤٧٥	الباب الثالث والثلاثمائة :
	فى مكايد إبليس ووسواسه وتزيينه ودعائه إلى المعاصى .
٤٧٦	الباب الرابع والثلاثمائة :
	فى إرسال إبليس اللعين على ابن آدم، وتسليطه عليه ، وبيان ذلك .
٤٧٨	الباب الخامس والثلاثمائة :
	فى الفرق بين الوسواس والخاطر .
٤٧٩	الباب السادس والثلاثمائة :
	فى كيفية الوسوسة ، والإلهام فى القلب .

رقم الصفحة	الموضوع
٤٨٠	الباب السابع والثلاثمائة :
	فى الخواطر وأقسامها .
٤٨١	الباب الثامن والثلاثمائة :
	فى ما يخطر على القلب من الإلحاد فى الله .
٤٨٢	الباب التاسع والثلاثمائة :
	فى ذكر طاعة الله تعالى وطاعة الشيطان ـ لعنه الله ـ وشرح ذلك .
٤٨٤	الباب العاشر والثلاثمائة :
	فى خاتمة الكتاب : بداية الهداية وبداية الضلالة .

رقم الإيداع ٤٦١٢ – ١٩٨٤